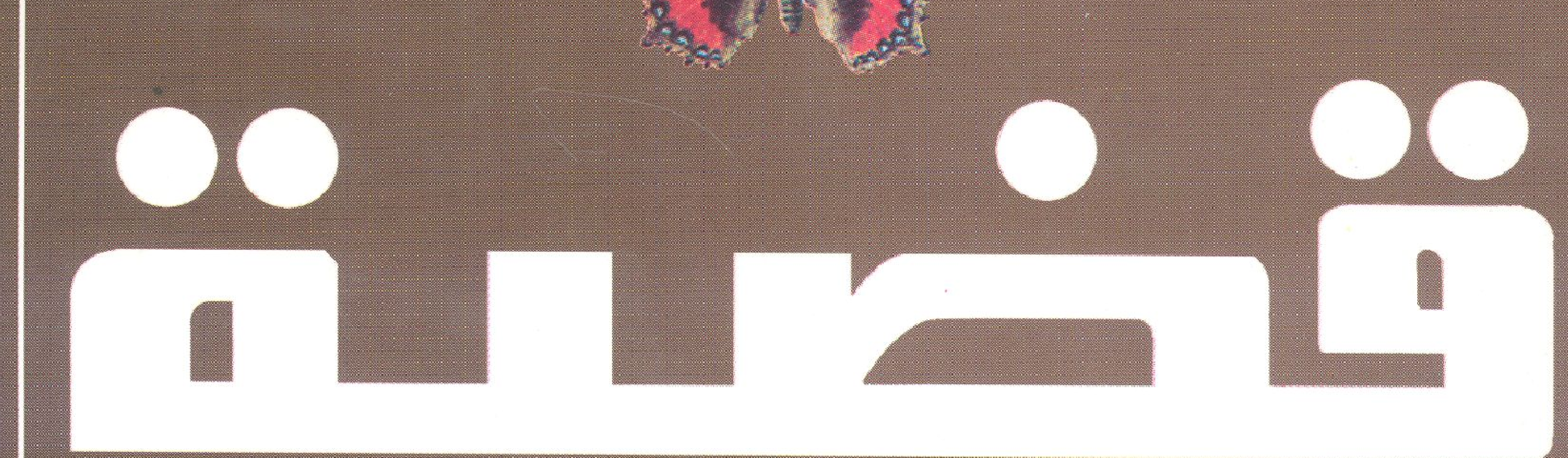
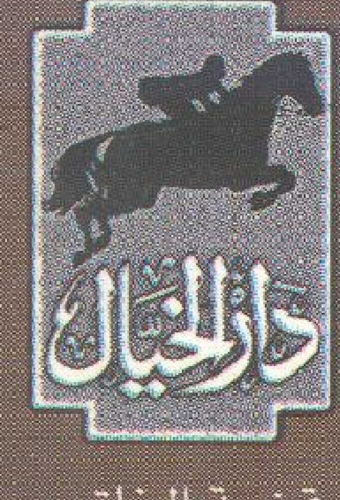
من الوحي إلى دارون



قضية الخلق



قضية الخلق
الطبعة الأولى
الغلاف: محمد الصباغ
الناشر: دار الخيّال



د. حسن حامد عطية



من الوحي إلى دارون

قضية الخلق

من الوحى إلى دارون
قضـــية الخلـــــق

الطبعة الأولى: يناير ١٩٩٩
رقم الإيـــداع: ٩٨/١٤٢٥٢

دار الخيَّـــال

تصميم الغلاف: محمد الصباغ
صورة الغلاف عن كتاب:
Man's Place in Evolution
British Museum (Natural History)
London - 1980
جرافيك: محمد كامل مطاوع:
خطوط الغلاف: لمعى فهيم
مراجعة لغوية: سيد عبدالمعطى
كمبيوتر: كرينور كمبيوتر

الدكتور حسن حامد عطية

من الوحي إلى دارون

قضية الخلق

مطبوعات: دار الخيَّال

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١٩) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) ﴾

صدق الله العظيم

(العنكبوت: ١٩ ـ ٢٠)

إهـــداء

إلى روح المغفور له المفكر الإسلامي الحر الأستاذ خالد محمد خالد أهدى هذا الكتاب..

لقد أعطى «رحمه الله» لهذا الكتاب عنواناً(*) إذ اقتنع بما جاء فيه، وكان قد شرع في كتابة مقدمة له قبل أن يلبي نداء ربه.

لقد قال لي فضيلته:

جاء في الوحي (القرآن الكريم) قول الحق تبارك وتعالى:

﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾

لم يقم أحد من علماء المسلمين بتنفيذ هذا الأمر، غير أن دارون، دون أن يطّلع على القرآن المجيد (على مايبدو) قد قام بتنفيذ ذلك، إذ استقل السفينة «بيجل» وطاف بها حول العالم جامعاً لعينات الأحياء من نبات وحيوان، ثم أخذ يبحث ويدقق ويتأمل كيف بدأ الخالق الكريم خلق تلك الأنواع.. اهتدى دارون إلى نظريته الشهيرة التي أقامت الدنيا ولم تقعدها والتي يقول فيها بأن الحياة بدأت بكائنات بسيطة من خلية واحدة ثم أخذت ترتقي وتتطور نوعاً وراء نوع، بل نوعاً من نوع إلى أن ظهر الإنسان، أرقى المخلوقات.

المؤلف

(*) اقترح ــ رحمه الله ــ لهذا الكتاب عنوان «من الوحي إلى دارون».

(*) الوحي تعني القرآن الكريم

قبل أن تقرأ هذا الكتاب

هذا الكتاب لايرتاب قارئه فى صدق إيمان مؤلفه، فهو لايكف عن تمجيد إلهه سبحانه وتعالى، ونسبة الأمر كله لله والخلق كله إليه، ولاينى لحظة واحدة عن إثبات سعة علم الله عز وجل وإحاطته بكل شىء، وإشادته بقدرته سبحانه وباجتماع العلم والقدرة فى الخلق، والاستدلال بقوله تعالى: ﴿**إنا كل شىء خلقناه بقدر**﴾ (القمر: ٤٩).

ومع ذلك فهو يفسر بعض آيات القرآن الكريم فى ضوء بعض النظريات العلمية فى خلق الإنسان والحيوان والعلاقة بينهما فى المراحل الأولى للخلق.

وفى ذلك نرى أننا نختلف معه أحياناً ونتفق أحياناً، وذلك شىء طبيعى مادمنا بصدد تفسيرات بشرية للقرآن الكريم مع التسليم المطلق منا ومن الكاتب والقارئ على السواء بالنص القرآنى المعصوم من الخطأ وبالعقائد الإسلامية الثابتة بنصوص القرآن الكريم، والتى لاينال من صحتها وثبتها على وجه الزمن، خطأ الأفهام أو غلط التفسيرات، فهى حق فى ذاتها، وحق فى طريق ثبوتها.

وبخصوص خلق الإنسان فإن العقيدة الإسلامية والفكر الإسلامى النابع من هذه العقيدة لا يمارى فى أن الله هو الخالق للإنسان ولغيره وللكائنات كلها

على الإطلاق ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ (الأعراف: ٥٤)، فلا يقبل من الإنسان اجتهاد بالتحول عن هذه العقيدة بأى فهم أو تفسير.

ومع ذلك فهناك نظريتان فى الخلق الذى هو خلق الله ابتداء:

١ ـ نظرية الخلق المستقل التى تقوم على أن خلق الكائنات بأجناسها وأنواعها خلق مستقل، كلٌ على حدة فى مسار واحد متصل منذ البدء وإلى يوم الدين.

٢ ـ ونظرية التطور، أو نظرية وحدة الخلق، فالمخلوقات الحية خلقت من ماء من أصل واحد ثم تطور بعضها من بعض إلى أنواع صارت مستقلة ينشأ كل نوع فى داخله متطوراً حتى وصلت إلى أرقى أنواع الكائنات وهو الإنسان الذى جعله الله على قمة خلقه وكرمه على سائر هذا الخلق.

والثابت منذ عصور الإسلام الأول وحتى الآن أن الأقرب إلى نصوص القرآن هى النظرية الأولى (الخلق المستقل)، فالله خلق آدم ـ عليه السلام ـ خلقاً مستقلاً لم يتطور عن مخلوق سبقه. وهكذا كل الأنواع.

ومنذ نزل القرآن الكريم كان كل عصر يرى فى القرآن رؤية جديدة بما يحصله من ثقافة وما يعينه على فهم الآيات من آفاق العلم والمعرفة السائدة، وكل إنسان يقرأ القرآن فيفهم منه بما وهبه الله من قدرة على الفهم وبما أسبغه عليه من علوم وثقافة وبما اتسع به أفقه من دراية بالحياة وشئونها، فيستخرج كلٌ من القرآن مايهديه أو يهتدى إليه.

القرآن مع ذلك يسع الجميع، بعموم ألفاظه، وثراء معانيه. ولقد نبه الدكتور «موريس بوكاى» فى كتابه «دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة» إلى إعجاز القرآن البالغ فى أنه هو الكتاب السماوى الوحيد الذى لايوجد به خطأ علمى واحد، وعلل ذلك بأن القرآن ـ على حد قوله ـ لم يتورط فى التفاصيل بل عرض الحقائق بأسلوب عام يسع كل الأفهام ويفتح الباب للاجتهاد، ويظل مع ذلك متفقاً مع الحقائق العلمية الثابتة حيث يثبت كونها حقائق علمية ثابتة.

والمؤلف فى هذا الكتاب يقف عند آيات كثيرة يفهم منها وحدة الخلق والتشابه بين المخلوقات. . مثل:

قوله تعالى: ﴿**والله خلق كل دابة من ماء**﴾ (النور: ٤٥).

وقوله تعالى: ﴿**وجعلنا من الماء كل شىء حى**﴾ (الأنبياء: ٣٠).

وقوله سبحانه: ﴿**وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم**﴾ (الأنعام: ٣٨).

وقوله سبحانه: ﴿**وقد خلقكم أطواراً**﴾ (نوح: ١٤).

وقوله سبحانه: ﴿**وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً**﴾ (الفرقان: ٥٤). . وغير ذلك من الآيات.

ثم يؤكد إيمانه بقدرة ربه، ويعرض فهمه الراسخ لديه أن الله هو الذى خلق الأجناس الحية من الماء والطين اللازب المتخمر، وهو الذى نوّع الأنواع، وجعل بينها صلات فى التكوين (وحدة الخلق تدل على وحدة الخالق).

ولفت النظر إلى أن هذه الصلات بين الأنواع الحية وأجناسها، بين الإنسان وغيره من الأحياء لحكمة أرادها الخالق منها، يتمكن العلماء من تجارب الأدوية على بعض الحيوانات المناظرة فى التركيب، لخدمة الإنسان كالضفادع والفئران والأرانب ثم القردة.

ويذهب المؤلف إلى أنه ليس معنى ذلك أن الإنسان تطور من هذه الحيوانات أو من القردة على وجه خاص، بل معناه عنده أن الإنسان والقردة وغيرهما من الكائنات الحية تنوعت أنواعاً مستقلة ونشأت من أصل بعيد، فالقرد لم يتحول إنساناً، والإنسان لم يكن قرداً، وإنما أصل القرد قرد، وأصل الإنسان إنسان، لكن التطور فى سلسلة الإنسان بدأ بإنسان هو آدم، فآدم أبو البشر سبقه أوادم كثيرة. كما قال بعض المفسرين، ولكن آدم أو النوع الإنسانى كان بشراً سوياً بدأ الله خلقه عبر سلسلة آبائه السابقين من طين. . كما قال القرآن الكريم.

فالنص القرآنى ﴿**وبدأ خلق الإنسان من طين**﴾ (السجدة: ٧)، يشير إلى

البداية البعيدة كما نقول اليوم أن فلاناً من الناس زيداً أو عمراً مخلوق من طين وهو حق، وإن كـان زيد هذا بالذات أو عـمـرو لم يخلق أحـدهمـا من طين مباشرة بل خلق من ماء مهين.

ويرتاح المؤلف لهذا الاستنتـاج ويفسر به قوله تعالى حـين قال للملائكة: **﴿إني جاعل فى الأرض خليفة﴾** (البقرة: ٣٠) فأجاب الملائكة: **﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾** (نفس الآية: ٣٠)، ويعلل هذه الإجابة بأن الأوادم السابقين أو الأناسى الذين كانوا آباء لآدم لم يكونوا بشراً سـوياً بل كانوا ذوى عنف ومفـسدة لقلة العقل والعلم (صـغر حجم المخ)، فظنوا أن آدم الخليفة الجديد سـيكون كآبائه هؤلاء ولذلك أخبرهـم الخالق عز وجل بأنه ميـزه بالعلم وأنه جعله بشراً سوياً **﴿إنى خالق بشراً﴾** وأنه سواه ونفخ فيه من روحه، وبذلك بدأت سلسلة البشر السوى أو الإنسان العاقل العالم الذى نفخ فيه من روح الله **﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾**.

***

على كل حـال هذه الفكرة المحورية فى الكتـاب مع أفكار أخرى مـساندة لها. . وهى فكرة يجب أن تناقش، لا أن تصادر.

فمادامت تعتمد على الإيمان بالخالق وعلى عموم النص القرآنى والاعتراف بقداسة هذا النص فلا حرج بعد ذلك أن يخطىء العلم البشرى أو يصيب.

ولئن كنا ندرك أن ربط التفسـير القرآنى بالنظريات العلميـة تحوطه المخاوف عند الكثيرين، مخافة أن تبطل النظرية فيهـتز الإيمان بحقيقة النص، فإننا نرى أن الاجتهاد ـ أيًـا كان ـ فى فهم النص هو غير النص، فلئن تبين خطأ الاجتهاد فلا ضـرر ولا ضرار، لأن النص باق عـلى اعتبـاره والإيمان به، لا يخـتلف التفسير العلمى فى ذلك عن سواه من التفسيرات ولطالما تعددت أقوال المفسرين بغير العلم عـبر العصور، ثبت منها ما ثبت وبطل منهـا ما بطل، وبقى القرآن ثابتاً، رغم تغير الآراء، فـليكن التفسير العلمى إذن واحداً من هذه التـفاسير، يجرى عليه مـا جرى على غيره من الخطأ والصواب، ويبـقى القرآن بمنجاة من

الخطأ والصواب في كل حـال. على أن هناك علماء أفذاذاً فـتحوا مجـالاً لهذه التفـسيرات العلمـية فى تراثنا، من أقـدم هؤلاء إمام المفسـرين بالرأى، الإمام الفخر الرازى حيث امتلأ تفسيره الكبيـر «مفاتيح الغيب» بالتفسير الكونى حيث كـان العلم بالكون فى زمنه مـجـال بحث وجدال. وكـذلك الشـيخ طنطاوى جوهرى عـمدة المفسـرين العلميين فـى عصرنا، ثم يأتى الشـيخ محمـد فريد وجدى على رأس الذين فتـحوا المجال لنظرية التطور، خاصة أن مـؤكداتها لا تمس قـاعدة من قـواعد الدين ولا تهـز نصاً من نصـوص القرآن أو الحـديث، يذكرنا برأى ابن مسكويه والفارابى وابن خلدون فى ترتيب الأنواع. وعلى هذا الدرب سار الأستـاذ عباس العقاد مـتعجباً من فزع البـعض من النظرية وقلقهم على الدين بينما الدين فى مأمن من هذه النظرية وغيرها من النظريات.

وفى هذا الإطار ينبـغى أن يكـون موقـفنـا من هذه النظرية وغـيـرها من الاجتهـادات لا تشنجاً ولا فزعاً أو مصادرة، بل فـحصاً بالموضوعية، مـقارعة بالحجة وجدالاً بالتى هى أحسن، ولا ضرر ولا ضرار على الدين لأنه بمثل هذا الجدال يقوى فى القلوب وتشـتد به العقول ولا ينال منه رأى أخطأ صـاحبه أو أصاب.

دكتور/ عبدالمعطى محمد بيومى

عميد كلية أصول الدين/ جامعة الأزهر

وانتصر للعلم رجال الدين..
ولكن بعد أن مضى حين من الدهر

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين الذى أرسله الخالق الكريم هداية ورحمة للعالمين.. وبعد

هذا الكتاب يتضمن خواطر لرجل قد يكون له إلمام ببعض العلوم، عندما يقرأ بإمعان كتاب الله الكريم فيجد فى كثير من آياته، بل فى ألفاظه، معانى دقيقة عميقة تصل فى عمقها إلى أغوار بعيدة ربما لم يصل إليها ماتوصل إليه الإنسان من علم إلا قريباً جداً، بل منها مالم يصل إليه علمنا بعد.. قد تكون بعض هذه المعانى بعيدة عن خواطر علماء الدين ليس إلا بسبب بعدهم، أو على الأقل بعضهم عن مجال العلوم.

وأحب أن أؤكد أننى لا أدعى لغيرى أننى عالم دين أو فقه، ولكنى أزعم لنفسى أننى باحث عن الحقيقة أو الصواب، علىّ إذن ألا أكتفى بأن أطفو على السطح بل علىّ أن أغوص فى الأعماق.

إن ظواهر الأمور قد تخفى حقيقتها فى قليل أو كثير من الأحوال.

تطلع علينا الشمس ثم تغيب ثم تطلع وتغيب ويتعاقب الليل والنهار وتطلع الشمس كل صباح بعد أن أذن الديك وصاح معلناً ميلاد فجر جديد، وهنا تسكت شهرزاد عن الكلام المباح وربما غير المباح ويذهب شهريار «لينخمد» فى فراشه، ولا تحكى لنا القصة هل يظل مبتهجاً أو تفاجئه نوبة من بكاء ونواح إذ تطارده الأشباح،

أشبـاح من أزهق من أرواح وما سـال بين أصابعـه من دماء وسـاح، تصيخ شـهرزاد السمع: أنواح ذاك أم نباح.

وتطلع الشمس على الأرض فى كل صبـاح، فهل تجىء الشمس إلى الأرض أم تذهب الأرض إلى الشمس؟

إن ظاهر الأمر يقول أن الشمس هى التى تجىء غير أن حـقيقته تقول أن الأرض هى التى تتحرك أمام الشمس.

جاء فى كتاب «خلق السموات والأرض فى ستة أيام».. للمؤلف:

«قد تمكن قدماء المصريين وأهل بابل من ملاحظة مايسمى بالسيارات السبع بين أجرام السمـاء وهى: الشمس، القمر، عطارد، الزهرة، المريخ، المشـترى، زحل. وكان قدماء المصريين وأهل بابل يعـتقدون أن الأرض مسطحة ثابتة وأن السمـاء قبة صلبة تتحرك بالنجوم الثابتة فيها وبالسيارات حول الأرض وفوقها. وقد جاء بعدهم علماء الإغريق وبفضل تفـوقهم فى علم الهندسة أحرزوا تقـدماً كبيراً فى الـبحوث النظرية الخاصة بحـركة الأجرام السمـاوية، وكان ذلك قبل الميـلاد بنحو خمسـة قرون. وقد انقـسموا فـريقين، فـريق يقول بأن الأرض ثـابتة وأنهـا واقعة فـى مركز العـالم وأن الشـمس والسيـارات تدور حـولها، وفـريق يقول بـأن الشمس ثابتـة وتدور الأرض والسيـارات حولها، وأن الأرض تدور حـول محورها، وبذلك يتـولد الليل والنهار، ويعـرف هذا الفـريق الأخـير باسم «الفـيـثـاغـوريـين» نسـبـة إلى العـالم اليـونانى «فيثاغورث»، غير أن أرسطو ـ قـبل الميلاد بنحو ثلاثة قرون ـ كان يأخذ بالرأى الأول ويعـارض الرأى الثانى، وهكذا ظل الرأى بـسكون الأرض ومركـزيتهـا سائداً نحـو عشرين قرناً، لأن أرسطو كـان ينتصر له. وماكان ينتصر له أرسطو كان قـضية مسلماً بها يجب الأخذ بها وعدم التفكير فى معارضتها.

ثم جاء «كـوبرنيق»، وهو قـسيس وعالـم فلكى بولندى، فى النصف الأول من القرن السادس عشـر وقدم نظرية يقول فيها بأن الأرض غير سـاكنة وأنها والسيارات تدور حـول الشمس فى أفـلاك دائرية، فعـارض رأى أرسطو ورأى الكنيـسة وأحـيا نظرية الفـيـثاغـوريين بعـد إهمالهـا نحـو عشـرين قـرناً. ولم تكن الأحـوال مواتيـة

لكوبرنيق لكى تنتشر نظريته خوفاً من غضب الكنيسة ولكنها نشرت بعد موته فى منتصف القرن السادس عشر.

فى مساء السابع من يناير عام ١٦١٠ ميلادية صوّب العالم الإيطالى «جاليليو» أول منظار إلى السماء، وكان هذا المنظار يجمع ويُدخِل فى العين من الشعاع مائة مرة قدر ماتجمعه العين المجردة، وبذلك بدأ ميلاد علم الفَلك الحديث.

أثبت «جاليليو» بالمشاهدة الفعلية صحة ماقاله الفيثاغوريون بأن الشمس هى المركز، تدور الأرض حولها كما تدور حولها بقية الكواكب.

غير أن الكنيسة عارضت هذا الرأى، وأجبرت جاليليو على أن يعلن تراجعه عن رأيه وإلا أهدرت دمه.

ومما تقدم نرى أن العلم قد خسر المعركة أمام الفلاسفة ورجال الدين قروناً عدة، ولكنه لم يخسر الحرب.

وأخيراً.. وفى أواخر عام ١٩٩٤ أصدر بابا الفاتيكان بياناً بصحة ما قاله جاليليو وقرر أن تصدر الكنيسة طابعاً بريدياً يحمل صورته رداً لاعتباره.

إن ظاهرة مانراه فى كل يوم أمام أعيننا من تحرك الشمس فى السماء حقيقته أن الأرض بمصرها وولاياتها المتحدة ومملكتها المتحدة وصينها وسنغالها ومحيطاتها الأطلنطى والباسفيكى تدور حول نفسها أمام الشمس فيتعاقب الليل والنهار وتدور حول الشمس فتتعاقب الفصول.

إن العلم والدين لا يتعارضان فهما توأمان أنجبتهما الحقيقة، والحقيقة هى الحق والحق هو الله جل جلاله.

لقد آثرت أن يكون هذا الكتاب على شكل حوار، ليمثل ما قد يدور فى ذهن القارىء من أسئلة، إنه حوار بين رجل علم وعالم دين. وإذا كان علماء الدين عند الإجابة عن أى سؤال يختمون قولهم بعبارة: «والله تعالى أعلم»، فإننى فى بدء الكتاب أقول أن الله سبحانه وتعالى أعلم. كما أضيف أن فيما يقوله رجال العلوم «إن إجابتهم هى حسب أقصى ماتوصلوا إليه من علم "To the best of our

"knowledge" مايحمل المعنى أن إجاباتهم فى رأيهم صحيحة ولكنها تحتمل الخطأ وأنه بغير شك، هناك من يعلم الصواب.

إنه الخبير العليم، هو وحده الأحد ﴿ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء﴾.. صدق أصدق القائلين.

وبعد الانتهاء من إعداد هذا الكتاب للنشر اطّلعت على نسخة من طبعة الكتاب المقدس صدرت عن الجمعية العالمية للكتاب المقدس "The International Society of The Bible" فى ميتشجان بالولايات المتحدة الأمريكية فى سنة ١٩٩١ تحت عنوان «الكتاب المقدس للطالب»، وقد جاء فى الإصحاحين الثانى والثالث من سفر التكوين أن الله خلق آدم من تراب ثم نفخ فى أنفه فصار كائناً حياً ثم خلق حواء من أحد أضلاعه، وفى نفس الصفحة جاء تعليق [ملحق رقم (١)] ملخصه كما يلى: شرح أستاذ البيولوجيا نشأة الإنسان الحالى وتطوره على مدى بضعة ملايين من السنين من إنسان يسبقه وموقع ذلك فى خريطة التطور، وهنا احتج أحد التلاميذ قائلاً أنه يؤمن بما جاء فى الكتاب المقدس عن خلق آدم وحواء. أجاب الأستاذ بأن كل إنسان حر فيما يعتقد، غير أن العلم قد أثبت أن التطور حقيقة. مثل هذه المشاهد قد ألقت ـ وماتزال ـ لبساً على الإصحاحات الثلاثة الأولى من التوراة "Scenes like this have thrown confusion over the first three chapters of the Bible" إذ من المستحيل أن نقرأ ماجاء بها عن خلق آدم وحواء دون أن نفكر كيف يتمشى ذلك مع اكتشاف العظام التى أعلن علماء الإنسانيات أنها للإنسان الأول «الذى يسبق الإنسان الحالى».

وقد جاء فى ملحق جريدة الأهرام الصادرة فى يوم ٧ فبراير ١٩٩٧ رأى للأستاذ الدكتور عبدالصبور شاهين (الأستاذ بكلية دار العلوم/ جامعة القاهرة) فى قضية الخلق.. إذ جاء بتلك الصحيفة مايلى: «إن الفكر الدينى يرى أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم من تراب جمعه من الأرض على يد أحد ملائكته وصنعه على هيئة تمثال عرض لمدة أربعين سنة، ثم نفخ فيه من روحه فتحرك وسجدت الملائكة لجلال الله وعظمته حين رأت هذا التحرك، وكان آدم وذريته التى بدأت تدب على الأرض منذ سبعة آلاف أو عشرة آلاف سنة.. هذا ماجاء فى روايات المفسرين وإمامهم فى

ذلك ابن جرير الطبرى، وهو فيما ذهب إليه ناقل عن إسرائيليات فى الكتاب المقدس، وقد تعرض الفكر الدينى للنقد والتهجم من جماعات العلمانيين الذين نسبوا إلى القرآن الكريم احتواءه للأساطير والخرافات اعتماداً على هذه التصورات الشائعة الموجودة فى مختلف المصادر التراثية التى تورد ماتورده على أنه من القرآن الكريم، والقرآن الكريم منه براء.. ويمضى الفكر العلمى عكس الاتجاه، فيرى أن وجود الإنسان على الأرض قد استغرق ملايين السنين، وأن الدلائل العلمية تتواصل فى اكتشافات الجيولوجيا لجماجم وعظام فى قلب الصخور وعلى قمم جبال الثلج وتحت طبقاتها المترسبة منذ ملايين السنين، وقد أدى هذا الوضع إلى وجود حالة تخاصم بين الفريقين، واكتفى كل منهما بعدم التعرض للفريق الآخر على طريقة (لا مساس) ولكل وجهته».

ويأتى التفسير الجديد لقصة الخلق مستخدماً أدوات التحليل اللغوى التى كشفت عن رؤية الدكتور عبدالصبور شاهين الجديدة حين تعرض للآيتين الكريمتين من سورة (ص): ﴿إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من طين * فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾ وهما أول نص قرآنى تعرض لوقائع قصة بدء الخليقة، وفى الآيتين كل مقومات الفهم الجديد القائل أن خطاب الله تعالى للملائكة أفضى إليهم بخبر خلق (البشر) من (طين) وليس هذا البشر (آدم) كما فهم الأقدمون وإنما هو الجد البعيد لآدم الذى تولت العناية الإلهية تسويته عبر الأحقاب السحيقة حتى صار (بشراً سوياً) يختلف عن سائر المخلوقات، ثم نفخ الله تعالى فى هذا البشر من روحه بمعنى أنه زوده خلال مئات الآلاف من السنين بالملكات العليا وهى العقل واللغة والدين، فتحول من وحش طليق فى مجاهل الأرض إلى مخلوق يعرف ماحوله ويستخدم الصوت ليتواصل مع الآخرين ومن ثم أصبح عاقلاً وناطقاً، ثم حان وقت الدين باعتباره الملكة الأخيرة التى نشأت من روح الله ونفخه، وقال الله ﴿إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾ وأنكرت الملائكة.. وتساءلت ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ لأنها لم تكن تر للبشر على الأرض سوى هذه الأفعال المروعة، فقال الله سبحانه وتعالى للملائكة ﴿إنى أعلم ما لا تعلمون﴾ ثم اصطفى «آدم» الذى لم تكن الملائكة تدرى أمره، فعلَّمه بالوحى الأسماء كلها واصطفاه لحمل

رسالة الدين وكانت المواجهة بين آدم العالم والملائكة الذين قالوا: ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾، قال الله تعالى: ﴿يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون﴾. وهنا سجدت الملائكة لآدم النبى المصطفى الذى يعتبر طليعة الخليقة الإنسانية التى اختارها الله عهداً للتكليف الدينى والذى سبقت ظهوره عهود وأحقاب من التسوية والتزويد بالملكات والقدرات التى منحه الله إياها كى مايوحد الله توحيداً خالصاً ويعبده عبادة صحيحة.. هذا ماجاء فى جريدة الأهرام. لقد اعتبر التطور نظرية فقط إلى عهد قريب، والآن وقد ثبت أنه حقيقة علمية فما موقفها من القرآن الكريم؟

هذا.. مانحاول أن نوضحه فى الكتاب الحالى.

المؤلف

١

رؤيــة علميــة
فى آيات الخلــق

بين الطـين والنـار

قال له صاحبه: جاء فى كتاب الله الكريم أن الجان خلقوا من نار والإنسان خلق من طين. . إذ جاء على لسان إبليس:

﴿قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين﴾ (الأعراف: ١٢).

ويقول جل من قائل: **﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار * وخلق الجان من مارج من نار﴾** (الرحمن: ١٤، ١٥).

فما هو الطين.. وماهى النار؟

إن الطين له أنواع عديدة، فـفى التربة الزراعـية توجد أراض طينيـة ثقيلة وأخرى طينيـة خفيـفة وأخرى غـدقة وغيـرها جيرية إلى غير ذلك مما يعـرفه المشتـغلون بالزراعة. كـما أننا نشـاهد النار كل يوم فى الأفران وعندمـا نطهو بالكيروسـين أو الغاز الطبيـعى أو «بقوالح» الذرة أو عـيدان الحطب ومع ذلك لانشاهد جناً ولا شيطاناً؟

أجاب: ربما كانت ألفاظ طين وصلصال ونار ألفاظاً مجازية؟

يقول العلماء أن الكون يتكون من شيئين رئيسيين المادة والطاقة، والمادة هى كل شىء له وزن ويشـغل حيـزاً. أما **الطاقة** فقد أثبت العلمـاء أنها إشعاع فى الأثيـر (الفضـاء)، وهذا الإشـعاع له أنواع مـتعـددة تخـتلف باختـلاف طول

موجاتها. والموجة هي تلك الحركة المتكررة في الوسط الذى تنتشر فيه مثل موج البحر. ولا يمكننا أن نرى معظم الإشعاعات بل نميزها بآثارها مثل الأشعة فوق البنفسجيــة والأشعة تحت الحمراء وأشعة إكس، أما أشـعة الطيف ويطلق عليها الضوء الأبيض فيمكن للعين البشرية أن تراها. . وإليك على سبيل المثال أطوال بعض الإشعاعات بالميكرون (واحد من ألف من المليمتر).

* **الأشعة الكونية:** $١٠^{-١٠}$ إلى $١٠^{-٧}$ (أى واحد من عشـرة آلاف مليون إلى واحد من عشرة ملايين من الميكرون).

* **أشعة جاما:** $١٠^{-٧}$ إلى $١٠^{-٤}$ (أى واحد من عـشرة مـلايين إلى واحد من عشرة آلاف من الميكرون).

* **الأشعة فوق البنفسجية:** $١٠^{-١}$ (أى واحد من عشرة من الميكرون).

* **الأشعة تحت الحمراء:** ١ إلـى $١٠^{٣}$ (أى من مـيكرون واحـد إلى ألف ميكرون).

* **أمواج الرادار:** $١٠^{٣}$ إلى $١٠^{٤}$ (أى من ألف مـيكرون إلى عشـرة آلاف ميكرون).

وتنتقل جميع تلك الطاقات فى الأثير (الفـضاء) بسرعة الضوء التى تساوى ثلاثمائة ألف كيلومتر فى الثانية.

هل يمكننا رؤية الطاقة؟

الإجابة: أنه وكـما سـبق أن ذكرنـا لايمكن للعيـن البشـرية أن ترى تلك الإشعاعــات فيما عدا أشــعة الضوء الذى يقع بين الأشعــة البنفسجيــة والأشعة الحــمراء ويســمى ذلك بالضوء الأبـيض، ومكوناته الرئيسـيــة هى البنفســجى والأزرق والأخضر والأصفر والبرتقـالى والأحمر. أما باقى الطاقات، أى باقى الإشعاعات فتعرف بآثارها، فالأشعة فوق البنفسجية تعرف بآثارها على الجلد، كما تمتـاز الأشعة تحت الحمراء بأنهــا ترفع درجة حرارة الأجســام التى تتعرض لها، ولذلك يمكن تمييزها عن طريق حاسة اللمس.

أما عن المادة. . فإن أبسط صورها هى الذرة ولايمكن رؤيتــها إلا بالتكبير آلاف المرات، وأبسط الذرات هى ذرة الأيـدروجـين ويقـدر وزنهـا ١,٦٦ من

مليون مليار مليار جزء من الجرام. ويحوّل الخالق جل علاه فى الفضاء الخارجى الطاقة إلى مادة أبسطها ذرة الأيدروجين، وتتكون ذرة الأيدروجين من بروتون واحد كوّن نواة يدور حولها إلكترون واحد، ويحدث ذلك فى الفضاء الرهيب، ويتجمع الأيدروجين ثم يتحول إلى هيليوم فى النجوم والشموس التى تعد بملايين الملايين فى الكون الواسع من صنع الخالق الكريم.

وقد تكوّنت الأرض (وغيرها من الكواكب) عن طريق انفصالها عن الشموس تحت درجات حرارة فائقة الارتفاع وسرعات خيالية تحت ضغط يصعب تخيله (خلق السماوات والأرض فى ستة أيام فى العلم والقرآن.. للمؤلف). وفى الأرض وغيرها تكونت ذرات العناصر الأخرى وعددها فى الأرض ١٠٤ عناصر، وباتحاد الذرات تكونت الجزيئات التى تكوّن المعادن والصخور والتى تكوّن بدورها قشرة الأرض وجوفها، وما ذكرت هو ملخص بسيط لنشأة الأرض التى يقول فيها الخالق الكريم: ﴿**أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما**﴾ (الأنبياء: ٣٠)، إذن فالأرض تتكون من العناصر المختلفة بعد أن قام الخالق الكريم بتحويل الطاقة إلى مادة، ومن الطبيعى أن تختلف مكونات قشرة الأرض التى نعيش عليها من بقعة إلى بقعة على سطح الأرض، ونعود إلى خلق الإنسان وخلق الجان، خلق الإنسان من تراب كما خلق من طين، ويتكون الطين من التراب إذا خلط بالماء.. ويقول الخالق الكريم:

﴿**وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً**﴾ (الفرقان: ٥٤).

﴿**ومن آياته أن خلقكم من تراب**﴾ (الروم: ٢٠).

﴿**وبدأ خلق الإنسان من طين**﴾ (السجدة: ٧).

فما هو التراب؟

حسب تعريف مجمع اللغة العربية: **التراب** هو ما نَعُمَ من أديم الأرض، أى أنه مسحوق ناعم من قشرة الأرض، ليس بالضرورة - حينئذ - أن يكون ذا نسَبٍ واحدة ثابتة من العناصر إذ لابد أن يختلف باختلاف الجهات على سطح الأرض، ولكن من المؤكد أنه من عناصر الأرض أى أنه من مادة الأرض.

أما الماء.. فنعلم جميعاً أنه يتكون من ذرتين من الأيدروجين وذرة من الأكسجين، ويختلف بعد ذلك باختلاف مابه من أملاح ذائبة ومن مواد أخرى عالقة. أى أنه هو الآخر من مادة الأرض. إذن فالمقصود «**بالطين**» أنه طين الأرض، مادة الأرض. أى أن الإنسان مادة وليس طاقة، ويعنى ذلك حسب تعريف المادة أنه يمكن للعين البشرية رؤيته ولحواسنا المختلفة أن تدركه، وأن تميزه عن غيره من المخلوقات التى خلقت بدورها من مادة وليس من طاقة، إذ أن الطاقة كما ذكرت لايمكن للعين البشرية (فيما عدا أشعة الضوء الأبيض) رؤيتها وهى تتحرك بسرعة الضوء.. فهل خلق الجان من طاقة؟ لقد حذرنا الخالق الكريم من الجان والشياطين وأنهم يروننا ولا نراهم، يأتوننا عن أيماننا وعن شمائلنا ومن بين أيدينا.

إن خلَق الجان من طاقة يؤيده ما جاء فى الكتاب المجيد فى سرعتها وعدم رؤيتها وكذا خلقها قبل الإنسان.. لقد قال عفريت من الجان لسليمان ـ عليه السلام ـ عن عرش بلقيس ملكة سبأ: **﴿قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإنى عليه لقوى أمين﴾** (النمل: ٣٩).

حيث إن سرعة الطاقة مساوية لسرعة الضوء (ثلاثمائة ألف كيلومتر فى الثانية)، هذا من ناحية عدم رؤيتنا للطاقة وسرعتها الفائقة، أما من ناحية ترتيب الخلق فقد أوضح العالم «أينشتاين» أن المادة خلقت من الطاقة، مما يعنى أن الطاقة خلقت قبل المادة أى أن الجان قد خلقوا قبل الإنسان.

يقول عز من قائل:

﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون[1] * والجان خلقناه من قبل من نار السموم﴾ (الحجر: ٢٦، ٢٧).

لم يوضح القرآن الكريم ماهية الجان، أما خلق الإنسان من تراب أو طين، فإنما يعنى مكونات التراب والطين ولايعنى التراب بذاته أو الطين بذاته، دليل ذلك أن عنصر السيليكون وهو مكون أساسى من مكونات التراب والطين لايمثل فى جسم الإنسان إلا آثاراً ضئيلة لاتكاد تذكر. إن العناصر فى التراب أو الطين أو الإنسان إنما هى أبسط مظاهر المادة.

---

(١) سوف نوضح الفرق بين الطين والطين اللازب والصلصال كالفخار والصلصال من حمأ مسنون فى أحد الفصول القادمة.

والجدول التـالى يوضح النسب المئوية لـلعناصر الهامـة فى التراب (قـشرة الأرض)[1] مقارنة بجسم الإنسان[2]:

	النسبة المئوية	
العناصر	قشرة الأرض	الإنسان
* أكسجين	٦٠,٥٪	٦٣,٠٣٪
* سليكون	٢٠,٤٪	آثار
* ألمونيوم	٦,٢٪	–
* صوديوم	٢,٥٪	٠,١٠٪
* حديد	١,٩٪	٠,٠١٪
* كالسيوم	١,٨٪	٢,٤٥٪
* ماغنسيوم	١,٨٪	٠,٠٧٪
* بوتاسيوم	١,٤٪	٠,١١٪
مجموع	٩٦,٥٪	

ويستبعد[3] الدكتور عبدالفتاح طيرة فى كتابه «خلق الإنسان» أن يكون خلق آدم قد تم على هيـئة تمثـال من طين ثم نفخ فيه من روح الـله بقوله: «إن هذا التصور السطحى إنما هو طريقـة تريح العقل القاصر، فهى لاتحـتاج إلى إجهاد فكر أو بحث وإن قـدرة الله عند أولئك البـسطاء تتـمثل فـقط فى صنع ذلك التمثال ثم نفخ الروح فيه».

(١) عن كتاب «خلق الإنسان» ـ د. عبدالفتاح طيرة.
(٢) عن كتاب «أبى آدم» ـ د. عبدالصبور شاهين.
(٣) عن كتاب «التطور وأصل الإنسان من منظور إسلامى» ـ محمد فوزى جاب الله.

بين نطفة ونطفة

قـال له صاحـبه: وردت كلمـة نطفة فـى كثـير من المواضع فى الكتـاب الكريم. . فماذا تعنى؟ وهل لها فى جميع الآيات دلالة واحدة؟

أجاب: علينا إذن أن نسترجع جميع الآيات التى ذُكرت بها علّنا نجد فروقاً فى معانيها أو مراميها.

قال: لقد وردت كما يأتى:

﴿خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾ (النحل: ٤).

﴿أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً﴾ (الكهف: ٣٧).

﴿يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البـعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة﴾ (الحج: ٥).

﴿ولقـد خلقـنـا الإنسـان من سـلالة من طين * ثم جـعلناه نطفة فى قـرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة﴾ (المؤمنون: ١٢ ـ ١٤).

﴿والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً﴾ (فاطر: ١١).

﴿أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾ (يس: ٧٧).

﴿هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً﴾ (غافر: ٦٧).

﴿وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى * من نطفة إذا تُمنى﴾ (النجم: ٤٥، ٤٦).

﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى * ألم يكُ نطفة من منى يُمنى * ثم كان علقة فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾ (القيامة: ٣٦ـ ٣٩).

﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً﴾ (الإنسان: ٢).

﴿قتل الإنسان ما أكفره * من أى شىء خلقه * من نطفة خلقه فقدره﴾ (عبس: ١٧ ـ ١٩).

أجاب: يتضح مما سبق أن كلمة نطفة قد وردت فى الكتاب الكريم فى إحدى عشرة سورة، إذ وردت ألفاظ ﴿من نطفة﴾، ﴿ثم من نطفة﴾، ﴿من نطفة إذا تُمنى﴾، ﴿نطفة من منى يُمنى﴾، كما ورد ﴿من نطفة أمشاج﴾ فى سورة الإنسان، ﴿نطفة فى قرار مكين﴾، ﴿ثم خلقنا النطفة علقة﴾ فى سورة المؤمنون.. ولقد جاء فى معجم ألفاظ القرآن الكريم (مجمع اللغة العربية) أن لفظ نطفة (فى جميع الآيات السابقة) يساوى «منى» بغير تمييز. وجاء فى تفسير الجلالين أن لفظ «نطفة» يساوى «مَنى» وأن «نطفة فى قرار مكين» تعنى «مَنى» يصب فى الرحم. وأن «نطفة أمشاج» تعنى أخلاطاً، أى ماء الرجل وماء المرأة المختلطين الممتزجين، وجاء أيضاً أن قوله تعالى: ﴿ألم يكُ نطفة من مَنى يُمنى﴾ فى سورة القيامة تكون بالياء والتاء (يُمنى، تُمنى) وأن المنى يصب فى الرحم.

وجاء فى القرطبى:

النطفة هى المنى، وسمى نطفة لقلته وهو القليل من الماء وقد يقع على الكثير منه، كما جاء فى النطفة وهو لماءٍ يخرج من بين الصلب والترائب، أى الذى يخرج من ظهور آبائكم، وأن كَلمة تُمنى تعنى تصب فى الرحم وتراق،

كما جاء: يقال منى الرجل أمنى وسميت منى بهذا الاسم لما يمنى فيها من الدماء أى يراق.

وجاء فى التفسير الواضح:

النطفة: المنى وهو مايخرج من صلب الرجل.

النطفة ذرة من المنى، وإن خلق الزوجين الذكر والأنثى فى الإنسان والحيوان خلقهما من نطفة إذا تمنى، وهذه النطفة لايفرق فيها بين الذكر والأنثى فليس هناك شك فى أنه وحده هو الخالق للذكر والأنثى.

كما جاء:

نطفة: القليل من الماء، أمشاج: أخلاط.

مما سبق.. يتضح أن المفسرين يعتبرون أن النطفة هى المنى يقذف من الرجل إلى رحم المرأة، وأن بعضهم قد اعتبر النطفة الأمشاج خليطاً مما سموه ماء الرجل وماء المرأة.. ولنا أن نتساءل إذا قصرنا لفظ النطفة على أنها المنى فهل يعتبر ذلك تفسيرا صحيحاً أو ـ على الأقل ـ كاملاً؟

وأين دور المرأة إذن فى عملية الخلق؟

للإجابة على ذلك.. يجدر بنا أن نستعين بما يذكر عن التكاثر فى الكائنات الحية بجميع صورها نباتية وحيوانية سواء أكانت أجسامها تتكون من خلية واحدة مثل البكتريا والبروتوزوا (مثل الأميبا) أو كانت عديدة الخلايا دنيئة أو راقية.

تتكاثر الكائنات المكونة أجسامها من خلية واحدة نباتية أو حيوانية بأن تنقسم تلك الخلية إلى نصفين متماثلين وبذلك تنقسم أيضاً نواة الخلية (وهى العضو الرئيسى الذى تعتمد عليه حياة الخلية فى الكائن الحى على اختلاف درجاته) إلى قسمين أى أن كل كروموزوم فى الخلية ينقسم طولياً إلى قسمين متماثلين. وبذلك يصبح الكائن كائنين، وهكذا. ويسمى ذلك التكاثر تكاثراً لاجنسياً. أما الكائنات عديدة الخلايا نباتية وحيوانية فالقليل منها يعتبر دنيئاً، ولا تنقسم صور أفراده إلى ذكور وإناث فيتكاثر أيضاً تكاثراً لاجنسياً بطريقة

تشبه بصفة عامة تكاثر الكائنات ذات الخلية الواحدة كأن تنقسم الخلية إلى خليتين أو تكوّن مايسمى بالبراعم وهى خلايا جديدة إما تظل عالقة بالكائن الأم أو تنفصل عنه، وبعضها «ينكسر» إلى أجزاء صغيرة ثم يكوّن كل جزء منها كائناً جديداً، وتعتبر جميع تلك الحالات تكاثراً لاجنسياً حيث لا ذكر ولا أنثى. أما النباتات وكذا الحيوانات الراقية (بما فيها الإنسان) فإنها تتكاثر تكاثراً جنسياً حيث يوجد الذكور والإناث، وقد خص الله سبحانه وتعالى الأنثى سواء فى النبات أو فى الحيوان وهيأها بأن تقوم بالدور الرئيسى فى التكاثر، فى النبات تحمل الزهرة أعضاء مذكرة وعضواً واحداً مؤنثاً وتنتقل مادة اللقاح من أعضاء التذكير إلى عضو التأنيث وبعد خطوات متتالية تحدث فى النهاية عملية تسمى الإخصاب تحدث فى داخل المبيض، إذ تندمج حبوب اللقاح (نطفة الذكر) مع بويضات المبيض (نطفة الأنثى) وبذلك تتكون بذور الجيل الجديد.

وبعض النباتات تحمل أزهاراً مذكرة وأخرى مؤنثة على نفس النبات مثل الذُّرة، وبعضها يحمل تلك الأزهار على نباتين مختلفين مثل النخيل. وفى جميع تلك الحالات نجد أن مبيض الأنثى هو المهيأ لإنتاج الجيل الجديد، وبعبارة أدق تقوم البويضات داخل المبيض بالدور الرئيسى فى التكاثر لإنتاج بذور الأجيال المقبلة، وكذلك فى الحيوان تتكاثر الغالبية العظمى من الحيوانات عديدة الخلايا تكاثراً جنسياً بالذكور والإناث. تنتج الأعضاء المتخصصة بجهاز الذكر التناسلى مايسمى بالحيوانات المنوية، وتنتج أعضاء الأنثى بجهازها التناسلى مايسمى بالبويضات ويتكون الجيل الجديد كما فى النبات بعملية الإخصاب، تندمج فيها نواة الحيوان المنوى بنواة البويضة. ويتم ذلك بتخطيط دقيق من خالق أنواع يكاد لايحصرها العدّ من حيوانات متباينة. . وعلى سبيل المثال تُلقِى إناث الأسماك أعداداً هائلة من البويضات فى الماء وتكون الذكور فى انتظارها لإلقاء الحيوانات المنوية لملاقاتها. وفى الضفادع يمسك الذكر بالأنثى التى تضع بيضها فى مجاميع ليصب عليها حيواناته المنوية فور وضعها ويطلق على هاتين الطريقتين ومايشبههما إخصاباً خارجياً (خارج جسم الأنثى)، وفى حيوانات أخرى يكون الإخصاب داخلياً بداخل جسم الأنثى ففى الطيور وفى الحيوانات

الولودة وكذلك فى بعض الكائنات مثل الحشرات والعناكب يكون للذكر عضو متخصص للإيلاج (القضيب) يدخله فى جسم الأنثى من فتحتها التناسلية إلى القناة التناسلية الأمامية (المهبل) ويقوم ذلك العضو بقذف الحيوانات المنوية سابحة فى سائل منوى يساعدها على الحركة ضماناً لوصولها إلى أهدافها (بويضات الأنثى فى الحيوانات الولودة) أو تحتفظ بها أنثى الحشرة أو العنكبوت فى عضو يسمى القابلة المنوية لكى يخصب بويضاتها واحدة واحدة عندما تضعها بيضاً. ويطلق على البويضة المخصبة فى جميع الحالات «زيجوت»، وفى جميع تلك الحالات يساهم الذكر برأس حيوان منوى واحد يخترق البويضة، وفى جميعها أيضاً تحتوى البويضة على مواد غذائية (تسمى المُح) تقوم بتغذية الزيجوت وتوفير جميع أسباب حياته وتطوره.

من ذلك نرى أن البويضة بمكوناتها، هى التى تتحول إلى زيجوت بعد أن تستقبل رأس الحيوان المنوى، وهى بذاتها وموضعها فى جسم الأنثى هى التى تكوّن جيل المستقبل.

ولا يختلف الإنسان فى طريقة تكاثره عن غيره من الحيوانات الثديية الولودة. . يقذف الرجل سائلاً منوياً يحتوى على ملايين من الحيوانات المنوية، إذ يقذف فى كل مرة من سنتيمترين إلى أربعة سنتيمترات من المَنى يحتوى كل ملليمتر مكعب فيها من الرجل السليم على ما لايقل عن عشرين ألف حيوان منوى (كمال مرعى: «الرجل والمرأة والجنس»). يبدأ الرجل فى إفراز ذلك المنى فى سن أربع عشرة إلى مايقرب أو يزيد على السبعين، أما المرأة فتنتج بويضة واحدة من أحد مبيضيها بالتوالى يقذفها إلى الرحم فى كل شهر قمرى، ويبدأ التبويض فى الأنثى من سن الثانية عشرة ويستمر إلى مايقرب من الخامسة والأربعين (وأحياناً إلى الخمسين) (كمال مرعى: «الرجل والمرأة والجنس»).

كيف يحدث الحمل؟

تتسابق تلك الملايين من الحيوانات المنوية فى كل لقاء جنسى بين الرجل وزوجته سابحة فى السائل المنوى لكى يحظى أسبقها بالوصول إلى البويضة - إذا وجدها - لإخصابها، إذ أن البويضة كما ذُكر لاتوجد بالرحم على الدوام بل

مرة كل شهر، إذ تقـذف بعد أسبوعين تقريبـاً من بداية الطمث وتظل حية لمدة ثمان وأربعين سـاعة ثم تتلاشى. إذن فلابد لحدوث الحمل من وجـود الحيوان المنوى للرجل والبويضة للمرأة (نطفة الذكـر ونطفة الأنثى). ولكن أيهما يسهل تواجده وأيهـما يصعب؟ لاشك أن فـرصة وجود الحيـوان المنوى فى كل مرات اللقاء الجنسى أضعاف أضعاف فرصة وجـود البويضة. لذلك يقول كمال مرعى (الرجل والمرأة والجنس): إذا رغب الزوجـان فى الحمل يحسن أن يـكون اللقاء بينهما ابتداء من اليوم الثانى عشر من بدء الدورة الشهرية إلى اليوم الثامن عشر من بدء الدورة. وينتـهى دور الحيـوان المنوى بأن تختـرق نواته (رأس الحـيوان المنوى) نواة البـويضة.. وهنا.. هل ينتـهى دور البويضة أيـضاً؟.. الواقع أن دورها يبدأ، تنقسم البـويضة المخصبة عدة مرات مكوّنة كـرة جوفاء من الخلايا تقوم فى اليوم الخامس بالتعلق بجدار الرحم، وذلك هو الطور الذى يُسمى فى القرآن الكريم العَلقة، وتتوالى الأطوار إلى مضغة غير مخلقة ثم مخلقة إلى أن يتم اكتمال الجنين.

قال له صاحبه: إذا كانت الحيوانات المنوية مـتوافرة دائماً والبويضة تتواجد على الدوام.. فهل يقتصر السبب فى عدم الإنجاب على المرأة فقط؟!!

وهناك سؤال آخر: كيف يَهَبُ اللهُ الإناث ويَهَبُ الذكور؟

أجاب: السبب فى عدم الإنجاب قد يكون من أحـدهما أو من كليهما، قد يكون هناك عـيب خلقى فى الرجل بأن يكون السـائل المنوى خـالياً تمامـاً من الحيوانات المنوية أو تكون قليلة العدد أو ضعـيفة يصعب على أى منها الوصول إلى البويضـة كمـا قد لاينتج مبـيض المرأة أى بويضات أو قـد يوجد مـايعوق وصول البويضات إلى الرحم. وفى حالة سلامة الزوج يكون إنتاج النوعين من الحيوانـات بالتساوى فى العدد والقـوة، وبذلك يكون احتمال إنتـاج أى نوعين ذكـراً أو أنثى فى كل حمـل على حدة خـمسين فـى المائة. أما إذا كـان هناك انحراف عن التـساوى فمن الطبـيعى أن تتجـه فرصة الإنجاب إلى ناحـية دون أخرى.

ويقول الله سبحانه:

﴿يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور * أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً﴾ (الشورى: ٤٩، ٥٠).

والآن.. بعد أن وضحت لنا الصورة من الناحية العلمية نعود إلى كتاب الله الكريم لنبحث عن دلالة اللفظ «نطفة» وهل يقتصر معناه على أنه الحيوان المنوى، كما جاء فى معجم ألفاظ القرآن الكريم، وكما جاء فى كثير من كتب التفسير؟.. يقول الحق سبحانه:

﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى * ألم يكُ نطفة من منى يُمنى﴾ (القيامة: ٣٦، ٣٧).

كما يقول:

﴿وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى * من نطفة إذا تمنى﴾ (النجم: ٤٥، ٤٦).

فلندقق النظر.. هل هناك مايشير إلى الفرق فى معنى اللفظ «نطفة» فى السورتين؟.. فى سورة النجم يقول سبحانه: ﴿من نطفة إذا تمنى﴾ وفى سورة القيامة يقول: ﴿نطفة من منى يمنى﴾، فى السورة الأولى ﴿نطفة إذا تُمنى﴾، وفى الثانية ﴿مَنى يُمنى﴾، فى الأولى نطفة واحدة تقذف بمفردها وفى الثانية نطفة تقذف ولكن ليس بمفردها بل هى واحدة من الملايين من النطف. فى الأولى النطفة هى التى تمنى وفى الثانية المنى هو الذى يمنى. ولقد علمنا أن النطفة التى تقذف منفردة هى البويضة وأن النطفة التى لاتقذف منفردة بل مصحوبة مع ملايين غيرها هى الحيوان المنوى. إذاً فالنطفة التى ورد ذكرها فى سورة النجم هى بويضة الأنثى، أما التى ذكرت فى سورة القيامة فهى الحيوان المنوى.. يؤيد ذلك:

أولاً: النطفة فى سورة النجم.. قال عنها ﴿إذا تمنى﴾، أما فى سورة القيامة فهى من منى، والمعروف طبعاً أن الأنثى لاتقذف منياً وأن الذكر هو الذى يقذف منياً.

ثانياً: اقترن لفظ «نطفة» فى سورة النجم بكلمة ﴿إذا تمنى﴾، وإذا أداة

شرط وبذلك تعنى أن الله سبحانه يخلق الذكر والأنثى من تلك النطفة شرط أن تمنى، وقد علمنا أن بويضة الأنثى لاتقذف على الدوام بل تمنى فى أوقات محددة مرة كل شهر قمرى، ولهذا السبب أيضاً لم يقل الله تعالى من نطفة تُمنى، أما الحيوان المنوى فقال عنه المولى الكريم ﴿**نطفة من منى يُمنى**﴾ ولم يقل «نطفة من منى إذا يُمنى»، لأن المَنى يُمنى من الرجل دائماً فى كل لقاء بين الزوج وزوجته، وهذا المنى رغم مايحوى من ملايين النطف لايخلق شيئاً إلا إذا كانت بالرحم ﴿**نطفة إذا تمنى**﴾. وبينما ينص القرآن الكريم على خلق الإنسان ذكراً وأنثى من نطفة الأنثى فى سورة النجم ترى فى سورة القيامة أن الإنسان (الذكر والأنثى) كان نطفة من منى، كان حيواناً منوياً. كما أن الله لم يقل أنه قد خلق تلك النطفة علقة بل قال أن الإنسان هو الذى أصبح علقة، انتقل الإنسان من طور النطفة إلى طور العلقة وبعد ذلك سوى الله ذلك الإنسان وأخرجه ذكراً وأنثى.

الآن.. يتأكد لنا أن الإنسان لم يخلق من نطفة من منى يمنى، لكنه خلق من نطفة إذا تمنى، لم يخلق من حيوان منوى من الأب ولكنه خلق من بويضة من الأم غير غافلين أنه كان حيواناً منوياً من الأب. تطابق رائع بين ماجاء بالقرآن الكريم وما توصل إليه المشتغلون بالعلم، فإنهم يقولون أن الجنين هو بويضة الأنثى أخصبها حيوان منوى من الذكر.

بعد أن علمنا تعريف «النطفة» فى سورة النجم و«النطفة» فى سورة القيامة يمكننا أن ننتقل إلى باقى السور التسع. لقد اقترن فيها جميعاً لفظ نطفة بعملية الخلق.. إذ جاء:

﴿**خلق الإنسان من نطفة**﴾ (النحل: ٤).

﴿**أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة**﴾ (الكهف: ٣٧).

﴿**فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة**﴾ (الحج: ٥).

﴿**ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة**﴾ (المؤمنون: ١٣ ـ ١٥).

﴿**خلقكم من تراب ثم من نطفة**﴾ (فاطر: ١١).

﴿**أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة**﴾ (يس: ٧٧).

﴿**خلقكم من تراب ثم من نطفة**﴾ (غافر: ٦٧).

﴿**إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج**﴾ (الإنسان: ٢).

﴿**من نطفة خلقه فقدره**﴾ (عبس: ١٩).

من ذلك نرى أنه لايمكننا أن نعرّف اللفظ «نطفة» فى جميع السور السابقة بأنه الحيوان المنوى بل يجب أن نعرّفه بأنه البويضة، غير غافلين بأن تلك البويضة لكى يتم الله خلقها إنساناً لابد لهـا أن تُخَصّب بنطفة الرجل، ويؤيد ذلك ماجاء فى سورة الإنسان. إذ وصفت النطفة التى خلق منها الإنسان بأنها نطفة أمشاج وتعنى «أخلاط» مما يعنى أنها خليط من نطفتى الأب والأم، إنها البويضة بعد أن أخصبها الحيوان المنوى، وهى بلغة العلوم «الزيجوت».

وفى سورة المؤمنون.. يقول الحق:

﴿**ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة**﴾ (المؤمنون: ١٢ ـ ١٤).

من ذلك نرى أن لفظ نطفة ورد مرتين، الأولى ﴿**فى قرار مكين**﴾ والثانية اقترن فيها اللفظ نطفة بالخلق ﴿**ثم خلقنا النطفة علقة**﴾، بذلك يمكننا أن نفسر النطفة الأولى بأنها نطفة الأم ونطفة الأب منفصلتان، البويضة والحيوان المنوى، كلاهما فى قرار مكين فى المبيض وفى الخصية، أما لفظ نطفة الثانى فهى النطفة الأمشاج بعد أن امتزجت نطفة الأب ونطفة الأم.

من كل ماتقدم نرى أن تفسير لفظ نطفة كما جاء فى معجم ألفاظ القرآن الكريم ـ مجمع اللغة العربية ـ وكما فسره المفسرون (السابق ذكره) بأنه الحيوان المنوى يعتبر تفسيراً غير صحيح. إنه ينطبق فقط على ﴿**نطفة من منى يمنى**﴾. أما لفظ «نطفة» فالأصح هو أنه البويضة، نطفة الأنثى، آخذين فى الاعتبار أنه لكى تتحول تلك النطفة إلى علقة لابد لها أن تخصب بنطفة الذكر ﴿**نطفة من منى يُمنى**﴾ بأن تتحول إلى نطفة أمشاج. وفى تعريف النطفة الأمشاج لايصح

أن نقول أنها حيوان منوى من الأب أخصب بويضة من الأم ولكن العكس هو الصحيح. إنها بويضة الأم أخصبها حيوان منوى من الأب. ولعل ما نعلمه من أن الأم تساهم فى الجنين بالبويضة كاملة فى حين يساهم الأب برأس الحيوان المنوى فقط الذى يفقد عنقه وذيله عند امتزاجه فى البويضة لإخصابها، يعتبر مبرراً آخر لضرورة الدقة فى التعبير.

كما يلاحظ أن بعض القراء يقرأون:

﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى * ألم يكُ نطفة من منى تُمنى﴾[1].

وفى قراءة أخرى:

﴿ألم يكُ نطفة من منى يمنى﴾.

ويمكننا أن نؤكد أن القراءة الثانية هى الصحيحة لأن تلك النطفة لاتقذف منفردة بل ضمن ملايين يحتويها المنى الذى يمنى.

قال: وهل يمكن للبويضة أن تتطور جنيناً بغير إخصاب من حيوان منوى؟

أجاب: يحدث ذلك فى الكائنات غير الإنسان.. وعلى سبيل المثال تضع ملكة النحل بيضاً غير مخصب بحيوانات منوية من الذكور وفى جميع الحالات تكون الذرية من الذكور. كما توجد كائنات أخرى تتوالد جيلاً بعد جيل من بويضات غير مخصبة (حيث لايوجد لها ذكور) ويسمى ذلك التوالد توالداً بكرياً.

أما فى الإنسان فقد حدث ذلك مرة واحدة بمعجزة من الخالق الكريم بولادة عيسى ـ عليه السلام ـ من السيدة مريم البتول.

إن الله القوى القدير يخلق الكائنات بقوانين تسرى على جميع الأحياء منها أن الأنثى هى عماد استمرار الحياة، والبويضة هى عماد تتابع الأحياء،

---

(١) عدد الحيوانات المنوية فى المنى الذى يقذفه الزوج فى كل مرة يقدر بأربعمائة مليون فرد من الحيوانات المنوية (النطف)، يذهب ٣٩٩,٩٩٩,٩٩٩ فرداً سدى، ولايخصب البويضة (نطفة الأنثى) إلا حيوان منوى واحد (نطفة واحدة).

سواء أكانت هذه الأحياء زهرة حمراء من نبات تنتج بذوراً أو أرملة سوداء من عنكبوت تضع بيضاً أو أرملة طروب من البشر قد ولدت أو تلد أحياء.

قال: جاء فى الذكر الحكيم.. قول الخالق عز شأنه:

﴿أفرأيتم ماتمنون * أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾ (الواقعة: ٥٨، ٥٩).

ألا يتضح من هذا القول أن الله سبحانه وتعالى يخاطبنا نحن الرجال دون النساء بقوله **﴿ما تمنون﴾**.. أى أن الإمناء صفة تخص الرجال دون النساء. يؤيد ذلك ماجاء فى تفسير الجلالين بأن **﴿ما تمنون﴾** تعنى ماتريقون من منى فى أرحام النساء، كما جاء فى تفسير الطبرى أيضاً قوله: بأنها النطف التى تمنونها فى أرحام نسائكم.

أجاب: من الخطأ أن نعتبر أن المولى سبحانه وتعالى حين يخاطبنا بصيغة الجمع المذكر إنما يعنى أنه يخاطب الرجال فقط دون النساء. من أمثلة ذلك قوله عز وجل: **﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾**، وقوله عن شهر رمضان الكريم: **﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾**، أو قوله: **﴿قل ياأيها الكافرون * لا أعبد ماتعبدون﴾**.. إن الخالق عز وعلا - وبغير أدنى شك - يخاطب النساء والرجال على حد سواء فى الآيات السابقة أى أن قوله يشمل أيضاً: «لاتقربن الصلاة وأنتن سكارى، فمن شهدت منكن الشهر فلتصمه، يا أيتها الكافرات لا أعبد ماتعبدن».

إن المولى الكريم فى آيات الكتاب المجيد إنما يخاطب الناس جميعاً ذكوراً وإناثاً، إلا إذا كان القول موجهاً إلى الرجال بعينهم كما فى قوله على سبيل المثال: **﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء﴾**، **﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾**، و**﴿نساؤكم حرث لكم﴾**.. تلك العبارات الكريمة تعنى مخاطبة الرجال فقط.. ونعود الآن إلى القول الكريم: **﴿أفرأيتم ماتمنون﴾** ونستنتج أن ذلك القول يضم بين طياته «أفرأيتن ماتمنين، أأنتن تخلقنه أم نحن الخالقون».

لقد سبق أن ذكرنا أن اللفظ يمنى = يقذف، ومن ذلك نرى أن الله تبارك

اسمه يقول لنا أفرأيتم أيها الرجال ماتقذفون من منى، يحتوى على الملايين من الحيــوانات المنوية «النطف»، أفــرأيتن أيتهــا النساء مــاتقذفن فى أرحــامكن من بويضات «نطف» هى اللبنة الأولى فى خلق الأبناء، ويؤيد ذلك ماجاء فى نفس سورة الواقعة فى قوله الكريم:

﴿أفرأيتم الماء الـذى تشربون * أأنتم أنزلتـمـوه من المُزن أم نحن المنزلون﴾ (الواقعة: ٦٨، ٦٩).

وبديهى أن الماء تشربه النساء كما يشربه الرجال.

ويجدر بنا أن ننــوه أن إمناء الرجال يدخل فى مجــال الإرادة بعكس إمناء المرأة فهو عملية لا إرادة فيها بل تقذف البويضة من المبيض بإرادة خالقها.

قال: يفسر بعض رجال العلم لفظ أمشاج فى قوله تعالى:

﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج﴾ (الإنسان: ٢).

بأن الأمشاج هى الكروموزومات فى داخل النطفة سواء كانت حيواناً منوياً أو بويضة.

أجاب: لايعتبــر هذا تفسيراً صحيحــاً إذ أن الخالق الكريم يقول: **﴿خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج﴾** ولم يقل «خلقنا الإنســان من نطفةِ أمــشاج» أى أن كلمة أمشاج صفةٌ لكلمة نــطفة وليست مضافاً إليه[1]، كما أنَ النطفة الأمشاج هى أخلاط بين نطفتى الذكر والأنثى.

---

(١) بالضبط كمــا نقول على سبيل المثــال هذا كتابٌ جميلٌ فى الحــالة الأولى وهذا كتابُ كيـمياءٍ فى الحالة الثانية.

خلــق الإنسان مـن علــق

قال له صاحبه: يقول الخالق الكريم:

﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق﴾ (العلق: ١، ٢).

﴿ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة﴾ (المؤمنون: ١٤).

فماذا تعنى كلمة «العلق»؟

أجاب: جاء فى معجم ألفاظ القرآن الكريم (مجمع اللغة العربية) أن العلق هو الدم الجامد الغليظ الذى يعلق بما يمسه.

وجاء فى تفسير الجلالين: العَلَق جـمع علقة وهى القطعة اليسيرة من الدم الغليظ.

وجاء أيضـاً فى المصحف المفـسر (محـمد فريد وجـدى): العلق هو الدم المتجـمد كـما جـاء فى المنتخب من تفـسير القـرآن (المجلس الأعلى للشـئون الإسلامية) أن العلقة هى نقطة دم.

قال: نعلم أن بدء خلق الإنسان يكون بملاقاة زوج مع زوجـته عملاً بقول الخالق الكريم: **﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم﴾**، يساهم الرجل بنطفة من لَدنه «الحيوان المنوى» وتساهم المرأة بنطفـة من لدنها «البويضة»، فمن أين أتى ذلك الدم الغليظ الذى يحكى عنه المفسرون؟..

لقد كنت فى زيارة لمتحف التاريخ الطبيعى فى الولايات المتحدة الأمريكية فى نيويورك، ولعل هذا المتحف هو أكبر متاحف العالم يؤمه الملايين فى كل سنة. لقد خصص المتحف إحدى نوافذه للتحدث عن الإسلام وضع فيها نسخة للمصحف الشريف وذكر فيها أن محمداً ﷺ هو نبى المسلمين، وقد كان راعياً للغنم نزل عليه الوحى وهو يتعبد قائلاً له: **﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق﴾**.. وجاءت كلمة علق مترجمة بأمانة بما يقوله المفسرون بأنها قطعة من دم جامد.

أجاب: لاشك أن مايقوله المفسرون بأن العلقة هى دم جامد أبعد مايكون عما يقوله العلم بفروعه المختلفة التى تشمل علوم الوراثة وعلوم الأجنة.. لا أقصد بذلك أن أقلل من شأن المفسرين بل أقصد أن أوضح أنه من الخطأ الجسيم أن نعزل آيات القرآن الكريم عما يتوصل إليه الإنسان من معرفة ومن علم حديث يقول فى شأنه الخالق الكريم: **﴿ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء﴾**.. لقد شاء المولى عز وجل أن يكشف للإنسان من علمه الواسع اللامحدود بأن الإنسان قد خلق من علق وأن العلقة قد بدأت بنطفة هى بويضة الزوجة بعد أن أخصبت وصارت نطفة أمشاجاً ثم انقسمت إلى عدة خلايا أثناء مرورها بقناة المبيض، ثم تعلقت بجدار الرحم فأصبحت علقة تعلق بجدار الرحم فى اليوم الخامس من امتزاج البويضة بالحيوان المنوى، وذلك فى كل المخلوقات الولودة سواء أكانت الأنثى امرأة حسناء أم قطة سوداء.

﴿فخلقنا العلقة مضغة﴾ (المؤمنون: ١٤).

تنقسم خلايا العلقة ويزداد عدد الخلايا بها، ولذلك يقول المفسرون عن المضغة بأنها بقدر مايُمضع فى الفم.

قال: يقول الحق جل وعلا:

﴿يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة﴾ (الحج: ٥).

فماذا تعنى المضغة المخلقة وغير المخلقة؟

أجـاب: عندما تتـشكل الخـلايا بالجنين لكى تكوّن الأعـضـاء والأجهـزة المختلفة فإن ذلك يعنى المضغة التى أخذت فى التخلق.. وعلى سبيل المثال يبدأ ظهور القلب عندما يكون عمر الجنين أربعة أسابيع ويتكوّن حينئذ من حجرتين.

ومثل آخـر.. تبدأ الأعضاء الجنسـية فى التشكل إلى ذكـر أو أنثى عندما يكون عمر الجنين ستة أسابيع ويكون طوله حينئذ اثنى عشر ملليمتراً.

إن خير من يجيبنا فى هذا الصدد هم عُلماء الأجنة ورجال التشريح.

قال: إن مـعنى ذلك أن المضغة تكون غـير مخلقـة أولاً ثم تصبح مضـغة مخلقة، ولكن المولى سبحانه وتعالى يقول: **﴿مضغة مخلقة وغير مخلقة﴾**.

أجاب: ربما كان القصد أن المضغة فى عمر معين يكون قد تخلق بها بعض الأعضاء فـى حين لم يبدأ تخلق أعضـاء أخرى، وبذلك تكون المضغة مـخلقة وهى فى نفس الوقت غير مخلقة الأعـضاء التى لم يبدأ تكوينها. وأترك الباب مفتـوحاً للمتخـصصين الذين يوضحـون الخطوات التى يسلكها الجنين من بدء تعلقه بجدار الرحم إلى أن تتم ولادته طفلاً.

خلـق من ماء دافـق

قال له صاحبه: جاء في الذكر الحكيم. . قوله سبحانه وتعالى:

﴿فلينظر الإنسان مم خُلق * خُلق من مـاء دافق * يخرج من بين الصلب والترائب * إنه على رجعه لقادر * يوم تُبلى السرائر﴾ (الطارق: ٥ ـ ٩).

فما هو ذلك الماء الدافق الذى قد خلق منه الإنسان؟

أجاب: جاء فى تفسيـر الجلالين خلق من ماء دافق ذى اندفاق من الرجل وإلى المرأة فى رحـمهـا، يخرج من بين الـصلب والترائب للمـرأة وهى عظام الصـدر، وقيل التـرائب التـراقى وهى عظام الحلق، وقيل أضـلاع الرجل التى أسفل الصـدر، وحُكى عن الزجاج أن الترائب أربعة أضـلاع من يمنى الصدر وأربعة أضلاع من يُسرى الصدر.

وفى التفسيـر الواضح (محمد محمود حـجازى) خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والتـرائب ماء مصـبوب يخـرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة. يوم تبلى السرائر والمراد تظهر السرائر وتعلم المكنونات.

وفى معجم الألفـاظ والأعلام القرآنية: صلب الرجل = ظهـره، والجـمع أصلاب، الترائب = جمع تريبة وهى عظام الصدر وموضع القلادة.

وفى تفسير سيد قطب (فى ظلال القرآن): بين الصلب والترائب ماء المرأة من الترائب وهى عظام صدرها العلوية.

وجاء فى القرآن الكريم ـ مصحف الشروق:

دافق = مدفوق أى مصبوب فى الرحم.

الصلب = صلب الرجل.

الترائب = مافوق الثديين موضع القلادة من صدر المرأة.

ويقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى (تفسير سورة البروج والطارق):

«هذه حقيقة القرآن تعرض لها قبل العلم الحديث مايكشف هذه الحكاية، إن ماء الصلب وماء الترائب، الصلب فقار الظهر، والترائب التى هى عظام الصدر فى المرأة أو موضع القلادة منها. العلم أنهى إلينا أيضا هذه الحقيقة. مما خلق، خلق من ماء دافق، كلمة من ماء دافق هذه أسندت الدفق للماء مما يدل على أنه ليس مدفوقا بإرادتك، لأن العملية لو أن الإنسان لاحظها يجد أنه يغلب على هذه المسألة بحيث لاخيار له فى أن لايدفق منه الماء فكأن الدفق خاصة موجودة فى الماء ذاته وينزل بشدة وقوة بحيث لو أراد الإنسان بإرادته أن يمنعه ما استطاع، ولذلك لم يقل مدفوق. مدفوق يبقى الفعل يضيع، لكن ماء دافق يدل على الخصوصية فيه، حين ينضج الرجل ويصل إلى القمة الجنسية يغلبه ذلك الماء بحيث لايستطيع مطلقا أن يمنعه. يبقى إذن نسبة الدفق إلى الماء هذه تعطينا أنه خرج عن إرادتك، هو له أن يعمل الوسائل التى لاتؤدى لكن إذا صنع الوسائل التى تؤديه يبقى لاقدرة له عليها أبدا. هذه من ماء دافق.. قول الحق سبحانه وتعالى من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب أوهَم كثيرا من الباحثين أن ماء الرجل الذى نسميه من منى يمنى وماء المرأة، يظنون أن ماء المرأة هو الماء الذى يأتى عقب العملية الجنسية.

نقول لا.. ماء المرأة فى العملية الجنسية لادخل له فى التكوين الإنسانى، فإن المرأة تفرز البويضة سواء تعرضت لعملية جنسية أو لم تتعرض، والبويضة لها وقت تنزل فيه فإن صادفت وجود ماء الرجل تنتهى المسألة. إذن فالماء المراد بالماء الدافق يخرج من بين الصلب والترائب هو الماء الذى ينتج فى العملية

الجنسية من الرجل، ولكنه بالنسبة للمرأة ليس الماء الذى يأتى من العملية الجنسية وإنما هو الماء الذى فى البويضة نفسها سواء تعرضت لعملية جنسية أو لم تتعرض».

قال: مما تقدم نرى أن المفسرين يرون أن الماء الدافق هو المنى يخرج من بين صلب الرجل أى بين عظام ظهره وهو البويضة تخرج من بين ترائب المرأة التى هى عظام صدرها وموضع قلادتها، ويجدر بنا أن نتساءل: هل صحيح أن المنى يخرج من بين عظام الظهر فى الرجل وأن البويضة تخرج من بين عظام الصدر فى المرأة؟

أجاب: إن المنى يفرز من خصيتى الذكر فى الإنسان (والحيوان) عندما يصل إلى سن البلوغ، وتنشأ الخصيتان فى الذكر عندما يبلغ الجنين ستة أسابيع من العمر، ويكون موضع الخصيتين آنذاك على جانبى العمود الفقارى، أى على جانبى فقرات الظهر. غير أن الخصيتين تنتقلان بعد ذلك فى عمر متأخر من الجنين إلى خارج الجسم فى كيس يسمى كل منهما بالصفن. أما بويضة الأنثى فتنشأ من المبيضين، ويقع مبيضا الأنثى أيضا على جانبى العمود الفقارى ويبقى المبيضان فى ذلك الموقع لايبرحانه طيلة عمر الأنثى من بدء نشأتها جنينا وإلى أن يختارها الله إلى جواره.

من ذلك نرى أنه حتى لو وافقنا على أن الإنسان يخلق من بين صلب الرجل (الخصيتين) فلا يمكننا أن نوافق على أن الإنسان يخلق من بين صدر المرأة ـ من ترائبها.

قال: عندئذ يجب علينا أن نبحث عن تفسير آخر لقول العزيز الحكيم **﴿يخرج من بين الصلب والترائب﴾**.

أجاب: قد علمنا أن بدء الخلق هو نطفة من الرجل تمتزج بنطفة من المرأة لتكون نطفة أمشاجا تعلق بجدار الرحم. ويحدثنا الخالق الكريم بأنه يخلق النطفة علقة ويخلق العلقة مضغة ويخلق المضغة عظاما ويكسو العظام لحما ثم ينشئه خلقا آخر، وتتم تلك المراحل فى رحم المرأة إلى أن يتم الجنين نموه وتكوينه فتضعه الأنثى وليدا كامل التكوين ذكرا كان أم أنثى.

كيف يتأتى لذلــك الجنين الذى يبدأ بخلية واحدة لاتكاد تزن شـيئا قطرها في المتوسط ثلاثة عشر من المائة (١٣ , ٠) من المليمتر وينتهى بمولود يتكون من ملايين الخلايا يبلغ وزنه مايقرب من ٣ كيلوجرامات ويحمل ذلك المولود أجهزة وأعضاء كاملة نعرفها جميعا.

من أى المواد يتكون ذلك الجنــين ومن أين يحصل عــليهــا؟ ومن ذا الذى يرشده بأى الأعـضاء يبـدأ وبأيها ينتهى؟ هل يُبـدأ بالعين قـبل الأذن، أو يبدأ بالقدم قبل الذراع، أو يبدأ بالكبد قبل القلب. . أسئلة عديدة لاحصر لها.

قال: ينمو الجـنين فى رحم أمه ويتشكل من خلق إلى خلق بقــدرة خالقه الكريم الذى يقول للشيء كن فيكون.

أجاب: ليس مــنا من لديه أدنى شك فيــما تقول، ولكــن الحق جل علاه يطلب منا أن نبحث كيف يحدث ذلك* بقدرته عــز وجل. ألا يقول لنا سبحانه وتعالى: ﴿فلينظر الإنسان مم خُلق﴾.

فى رأيى أن الإنسان من بدء خــلقه نطفة إلى أن تضــعه الأم وليدا يحــتاج أمرين؛ مــادة أو مواد يكون بها جســمه من أعضاء وأحـشاء لاحصر لهــا كما يحتاج إلى من يرشده إلى الطريق الذى يسلكه لكــى يضاف إلى سجل الأحياء سليمــا معافى. أما عن المــادة أو المواد التى يحتاجهــا لتكوين جسده وأعــضائه فيحصل عليها من أمه وهو قابع فى رحمها. يحصل عليها من تيار من دمائها، تيار من الماء الدافق يخرج من قلبها الذى يقبع بين ضلوعها، بين ترائبها، ذلك الماء الدافق الذى إذا انقطع وصوله فى أى من المراحل فقد الجنين حياته فأسقطته أمه، وبذلك يمكننا أن نفسر الماء الدافق بأنه تيار الدم ينتقل من الأم إلى الجنين الذى تحمله وعندمــا تضعه الأم وليدا، عندئذ يبــدأ فى أن يكون له ماؤه الدافق الخاص به، دمــاء تتدفق من قلبــه الصغيــر الذى يقع بين صلبه وترائــبه ويندفع حاملا الحياة إلى جميع أجزائه من قمة رأسه إلى أخمص قدميه.

نتــقل إذاً إلى من ذا الــذى يرشــد تلك النطفــة إلى الطريــق الذى تسلكه لتصبح ولــيدا. . نجيب على ذلك أن من يرشد تلك النطفــة هو الماء المهين، إنه تعالــيم من المولى عز وجل كــتبت وسطرت بحــروف من ذلك الماء على ثلاثة

وعشـرين زوجا من الكرومـوزومات فى داخل النطفـة الأمشاج، تورثـها تلك النطفة إلى جـميع الخلايا المستـقبلة المتكونة بانقسام خليـة وراء خلية عن طريق تلك التـعليمـات ـ كلمات الله ـ إلـى كل خلية مـاذا تعمل ومـتى تبدأ ومـتى تنتهى، قدرة الحى القيوم الذى يقول للشيء كن فيكون(*).

قال: هل من أدلـة أخرى تستند إليـها بأن الماء الدافق هو تـيار الدم الذى يسرى فى عروقنا؟

أجاب: عـلاوة على أن تيـار الدم يخرج من القلب الذى يسكن القـفص الصدرى من بين الصلب والترائب، فإن الدم كما نعلم يتكون من كريات بيضاء وأخـرى حمـراء، بالإضافـة إلى ذلك يقـول العلماء أن كـريات الدم الحمـراء والبيضاء تتكون من نخاع العظام وعلى الأخص النخاع الأحمر، إذ تبدأ نشأتها من خلايا توجد داخل ذلك النخاع، وتعتبر فقار الظهر وضلوع الصدر (الصلب والترائب) المصدر الرئيسى للنخاع الأحمـر وبالتالى للكريات التى تجرى منضمة إلى تيار الدم إلى أن تموت فيتكون غيرها باستمرار.

ولاننسى قول الخالق الكريم: **﴿إنه على رجعه لقادر﴾**.

فـإن ذلك القول الكريـم يعنى أنه سبـحـانه وتعالى قـادر على أن يحـيى الإنسان، يرجعه بعد مماته، فإنه يعنى أيضا أن الخالق ـ عز وعلا ـ قادر على أن يرجع ذلك الماء الدافق من القلب ثم إليه فى دورة مـتصلة متتـابعة، إن توقفت توقفت معها الحياة.

قال: بقـيت نقطة تحتاج منك إلى إيضـاح أن لفظ الخَلق يعنى الإيجاد من العدم، فكيف توفق بين تلك الحقيقـة وبين قولك أن الإنسان قد خلق من دماء أمه أثناء حمله فى رحمها؟

أجاب: إن القول بأن الخلق يعنى فقط الإيجاد من العدم ربما كان هو الخطأ الشائع بعينه، إن الله سبـحانه وتعالى يخلق شيئا من شىء يسبقـه، يخلق شيئا من مخلوق سابق دليل ذلك قوله سبحانه وتعالى:

(*) سنتعرض لهذا التوضيح تفصيلاً فى فصل لاحق.

﴿ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً﴾.

من كل ماتقدم فإننا لانوافق على قـول المفسرين بأن الماء الدافق هو المنى، لأن الإنسان لم يكن المنى جـميعه، بل كان نطفـة من منى يُمنى، فلو كان الماء الدافق هو المنى لجاء القـول أن الإنسان خُلق من نطفة من ماء دافق (بـالإضافة إلى ذلك فقد سـبق أن أوضحنا أن نص الآية: ﴿ألم يكُ نطفة من منى يُمنى﴾ يشيـر إلى أن الإنسان لم يُخلق من نطفة من منى يُمنى، بل إنه كـان نطفة من منى يُمنى).

كـذلك لايمكنـنا أن نوافق على أن الماء الدافق هو مـــاء المرأة، إذ أننا لو سلمنا جدلاً بأن مـاء المرأة يعنى البويضـة، فإن تلك البويضـة لاتخرج من بين ترائب المرأة، وهناك قـرينة أخرى أن الماء الـدافق هو تيار الدم فى قـوله ـ جل وعلا ـ: ﴿يوم تبلى السرائر﴾ أى يوم تختبر ماتكنه القلوب التى فى الصدور. . أى التى فى الترائب.

من نفس واحــدة

قال: جاء بكتاب الله الكريم:

﴿يا أيهــا الناس اتـقــوا ربكم الذى خلقكم من نفــس واحــدة وخلق منهــا زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء﴾ (النساء: ١).

كما جاء:

﴿هو الذى خلقكم من نفس واحــدة وجعل منهــا زوجهــا ليسكن إليــها﴾ (الأعراف: ١٨٩).

﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها﴾ (الزمر: ٦).

﴿وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع﴾ (الأنعام: ٩٨).

فما تفســير تلك النفس الواحدة التى يخاطب المولى الكريم الناس جـميعا بأنهم قد خلقوا منها؟

أجاب: يكاد أن يجمع المفسرون بأن النفس الواحدة التى خلقنا منها جميعا هى آدم ـ عليه السلام ـ، وعند تفـسيرهم للقول الكريم ﴿وخلق منها زوجها﴾ فمنهم من يقول أن المولى سبحانه وتعالى خلق حواء (الزوجة) من آدم (الزوج) بالمد من أحد أضلاعه:

ففى تفسير الجلالين «نفس واحدة أى آدم وخلق منها زوجها أى حواء بالمد من ضلع من أضلاعه اليسرى».

وفى تفسير السيد عبدالله بشير «نفس واحدة هى آدم وجعل منها أى من ضلعها أو فضل طينتها أو من جنسها».

وفى المصحف المفسر (محمد فريد وجدى) «نفس واحدة آدم وجعل منها زوجها أى من جنسها، وفى الجواهر فى تفسير القرآن الكريم (الشيخ طنطاوى جوهرى) ﴿**خلقكم من نفس واحدة**﴾ (آدم) وخلق منها زوجها (حواء).

وفى مختار تفسير القرطبى (توفيق الحكيم، ١٩٧٧) ﴿**والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا**﴾ جعل بمعنى خلق، وقد تقدم من أنفسكم أزواجا يعنى آدم خلق منه حواء وقيل المعنى جعل لكم من أنفسكم أى من جنسكم ونوعكم وعلى خلقتكم.. من ذلك نرى أن المفسرين يعتبرون أن النفس الواحدة هى آدم وأن بعضهم يرى أن حواء قد خلقت من آدم وبعضهم يرى أن حواء قد خلقت من جنس آدم ونوعه. إن القول بأن حواء قد خلقت من آدم قد أخذ عما جاء بالكتاب المقدس ـ العهد القديم سفر التكوين ٢، ٣: «فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم. فقال آدم هذه إذاً عظم من عظامى ولحم من لحمى، هذه تدعى امرأة لأنها من امرىء أخذت. لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسدا واحدا وكانا كلاهما عريانين آدم وامرأته وهما لايخجلان». وجاء فى سفر التكوين ٣، ٤: «ودعا آدم اسم امرأته حواء لأنها أم كل كائن حى، وضع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما».

يقول علماء مجمع البحوث الإسلامية(*):

«إنه يجب الاعتقاد بأن حواء خلقت من زوجها آدم الذى هو النفس الواحدة، لأن الآية صريحة فى ذلك: ﴿**ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها**﴾ أى خلق من النفس الواحدة زوجها،

(*) مذكرة لمجمع البحوث الإسلامية رداً على المؤلف بتاريخ ١٠/ ٤/ ١٩٩٤م.

والله أعلم كيف خلقت من زوجها آدم، هل المراد أنها خلقت من نفس طينته كما قال بعض المحققين، أو خلقت من جنسه، أو خلقت من ضلع من أضلاعه، فالنص يحتمل كل هذه المعانى فتلك مسألة غير مسألة (النشوء والارتقاء) التى لاسبيل إلى تطبيقها فى فهم الآية الكريمة».

ويقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى (تفسير الشعراوى):

«إذن فخلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها هنا، والناس تريد أن تدخل فى متاهة. هل خلق منها المقصود به خلق حواء من ضلع آدم أى من نفس آدم؟ أناس قالوا ذلك، وأناس قالوا: لا، «منها» تعنى من جنسها، ودللوا على ذلك قائلين: حين يقول الله: ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم**﴾ اأخذ الله محمدا ﷺ من نفوسنا وكونه؟.. لا، إنما هو رسول من جنسنا البشرى، وكأنه سبحانه قد أشار إلى دليل، لأن خلق حواء قد انطمست المعالم عنه، ولأنه أعطانا بيان خلق آدم وتسويته من طين ومراحل خلقه إلى أن صار إنسانا، ولذلك لايجوز أن يكون قد جعل خلق آدم هو الصورة لخلق الإنسان الأول، وبعد ذلك تكون حواء مثله، فيكون قوله سبحانه ﴿**خلق منها**﴾ أى من جنسها، خلقها من طين ثم صورها الخ، ولكن لم يعد علينا التجربة فى حواء كما قالها فى آدم، أو المراد من قوله «منها» أى من الضلع، وهذا شىء لم نشهد أوله، والشىء الذى لم يشهده الإنسان فالحجة فيه تكون ممن شهده، وسبحانه أراد أن يرحمنا من متاهات الظنون فى هذه المسألة.. مسألة كيف خلقنا، وكيف جئنا؟

إن كيفية خلقك ليس لك شأن بها، فالذى خلقك هو الذى يقول لك، فاسمع كلامه لأن هذه مسألة لاتتعلق بعلم تجريبى».

يقول فضيلة الشيخ الإمام محمد عبده فى تفسير نفس السورة «تفسير المنار، جـ ٤ - الشيخ رشيد رضا»: «ليس المراد بالنفس الواحدة آدم بالنص ولا بالظاهر. إذا كان المفسرون فسروا النفس الواحدة هنا بآدم فهم لم يأخذوا ذلك من نص الآية ولا من ظاهرها بل من المسألة المسلمة عندهم، وهى أن آدم أبو البشر» (ص ٢٦٦). للأستاذ الإمام فى هذا المقام رأيان:

أحدهما: أن ظاهر هذه الآية يأبى أن يكون المراد بالنفس الواحدة آدم.

وثانيهما: أنه ليس فى القرآن نص أصولى قاطع على أن جميع البشر من ذرية آدم.

وليت شعرى ماذا يقول الذين يذهبون إلى أن المسألة قطعية بنص القرآن فمن يرقى بدلائل قامت عنده بأن البشر من عدة أصول؟

هل يقولون إذا أراد أن يكون مسلما وتعذر عليه ترك يقينه فى المسألة أنه لايصح إيمانه ولايقبل إسلامه وإن أيقن أن القرآن كلام الله وأنه لانص فيه يعارض يقينه؟

على كل حال وكل قول يصح أن جميع الناس هم من نفس واحدة هى الإنسانية فتراهم على اختلافهم فى أصل الإنسان يقولون عن جميع الأجناس والأصناف: أنهم إخوتنا فى الإنسانية، فيعدون الإنسانية مناط الوحدة وداعية الألفة والتعاطف بين البشر سواء اعتقدوا أن أباهم آدم ـ عليه السلام ـ أو القرد أو غير ذلك، وهذا المعنى هو المراد من تذكير الناس بأنهم من نفس واحدة».

أما عن خلق حواء فيقول فضيلة الشيخ الإمام محمد عبده فى تفسير المنار:

«وأما قوله تعالى فى سورة النساء: ﴿**اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها**﴾ وفى سورة الأعراف: ﴿**هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها**﴾ فقد قال غير واحد من المفسرين أن المعنى من جنسها. كما قال فى سورة الروم: ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة**﴾ فإن المعنى هنا أنه خلق أزواجا من جنسنا ولايصح أن يراد أنه خلق كل زوجة من بدن زوجها كما هو ظاهر».

كما يقول فضيلة الإمام فى تفسير المنار أيضا:

«قيل.. أنه خلقها من ضلعه الأيسر وهو نائم، وذلك ماصرح به فى الفصل الثانى من سفر التكوين وورد فى بعض الأحاديث، ولولا ذلك لم يخطر على بال قارئ القرآن».

وبعد أن أورد فضيلته الكثير من الآيات مثل **﴿خلق لكم من أنفسكم أزواجا﴾** و**﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجا﴾** و**﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾**، **﴿إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم﴾** يقول ومن ثبت عنده أن حواء خلقت من ضلع آدم فهو غير ملجأ إلى إلصاق ذلك بالآية وجعله تفسيرا لها وإخراجها عن أسلوب أمثالها من الآيات.

قال: وماذا نخلص من ذلك؟

أجاب: يكاد يجمع المفسرون (ماعدا فضيلة الإمام الشيخ محمد عبده).. على أن آدم أبو البشر جميعا قد خلق بدون أبوين وخلقت حواء من أب (آدم) بغير أم، وخلق عيسى - عليه السلام - من أم بغير أب وخلق الناس جميعا من آباء وأمهات وقد تم ذلك بقدرة الخالق الكريم وإرادته.

قال: وماذا يقول العلم فى هذا الصدد؟

أجاب: إن قدرة الله وإرادته ليست موضع شك فسبحانه وتعالى قادر على كل شىء، يقول للشىء كن فيكون.

غير أن المولى جل وعلا قد خلق الكون بمادته من المجرة إلى الذرة وبأحيائه من الكائنات البسيطة التى يتكون جسمها من خلية واحدة إلى الأحياء جميعا والتى يتكون العديد منها من ملايين الخلايا، خلق الله سبحانه وتعالى جميع هؤلاء بقوانين علمية ثابتة وفى ذلك يقول عز من قائل:

﴿إن ربى على صراط مستقيم﴾.

ومن قوانين الله فى خلق الأحياء أن الذكور لاتنجب، فلا يمكن لآدم الذكر أن ينجب حواء. قد يقول البعض بأن بعض الكائنات تتكاثر تكاثرا لاجنسيا بغير حاجة إلى ذكور وإناث. فنقول بأن ذلك يحدث فى بعض الكائنات البسيطة ويكون التكاثر (كما سبق أن أوضحنا) بانقسام الخلية فتأتى الأبناء مشابهة طبق الأصل للآباء. ومن قوانينه جلّ شأنه فى خلق الذكور والإناث أن النوع الواحد من الأحياء تتناسل ذكوره من إناثه لينجبوا نسلا مستمرا من نفس النوع جيلا وراء جيل فالقط والقطة، والأسد واللبوءة،

والذئب والذئبة، كل منها يكون نوعا واحدا. أما إذا نظرنا إلى الحصان والحمار فهما نوعان مختلفان رغم أن الحصان الذكر يمكن أن يتناسل مع الحمار الأنثى، كما يمكن للحمار الذكر أن يتناسل مع أنثى الحصان وفى كلتا الحالتين يكون الناتج بغلا وهو عقيم لايمكن أن ينجب بغلا أى أن الحصان بذكره وأنثاه يكونان نوعا كما أن الحمار بذكره وأنثاه يكونان نوعا آخر.

فإذا رجعنا إلى قول الخالق الكريم:

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾.

فإن النظرة العلمية إلى تلك الآية تشير بدقة فائقة إلى أن تلك النفس الواحدة هى النوع الواحد هى الإنسان البشر، يتناسل رجل أسود زنجى من أواسط أفريقيا مع امرأة بيضاء ناصعة تسر الناظرين كما يتناسل رجل سكسونى أو رومانى أبيض مع يابانية صفراء أو يتناسل قزم آسيوى مع عملاقة بيضاء أو سوداء.

يبعث الخالق الكريم من كل هؤلاء رجالا ونساء يتتابعون جيلا وراء جيل، إن النفس الواحدة هنا تعنى النوع الواحد، أى أن الوحدة (نفس واحدة) لاتعنى وحدة العدد (آدم) بل تعنى وحدة النوع (النوع الإنسان ـ البشر)، أى أن الوحدة لاتعنى وحدة الكم بل تعنى وحدة الكيف تماما كما نقول أننا سنقيم معرضا للكتاب فإن ذلك لايعنى كتابا واحدا بل يعنى كتبا وإن تعددت فيها اللغات والمواضيع والأشكال وأماكن نشرها، فإنها تقع جميعها تحت وحدة واحدة ـ الكتاب.

ومثل آخر.. إذا قلنا أن المولى الكريم قد خلق حصانا وغزالا وثعبانا وسلحفاة إلى غير ذلك، فليس معنى ذلك حصاناً واحدا ولاغزالا واحدا.

قال: إن المفسرين يقولون إن خلق حواء جاء من ضلع آدم ولم يقولوا عنه قد خلق بالانقسام. أليس الخالق الكريم قادرا على أن يخلق حواء من ضلع آدم كما يقولون؟

أجاب: قد سبق أن ذكرنا أن الله سبحانه العليم القدير قادر على كل شيء، ولكن القول بأن حواء قد خلقت من ضلع آدم لايمكن أن يستند إلى حقيقة علمية، ولهذا السبب قد رأى كثير من المفسرين أن النفس الواحدة هى آدم وأن المراد بقوله سبحانه وتعالى ﴿خلق منها زوجها﴾ أنه قد خلق زوجها (حواء) من جنس تلك النفس الواحدة (آدم).

وإذا أخذنا بذلك الرأى لكان تفسيرهم للنفس الواحدة تفسيرين مختلفين، مرة على أنها آدم والثانية على أنها جنس آدم، إذ أن هاء الغائب فى قوله خلق منها تعود على النفس الواحدة.

قال: إذن.. ما هى المحصلة التى تريد لنا أن نصل إليها؟

أجاب: إن التفسير الذى لايناقض نفسه والذى يتفق مع حقائق العلوم أن تلك النفس الواحدة التي خلق منها جميع الناس والتى خلق منها أزواجهم هى وكما يقول فضيلة الامام الشيخ محمد عبده هى الإنسانية وهى فى نفس الوقت - من الناحية العلمية - نوع واحد «الإنسان البشر».

وهناك دليل آخر على أن النفس الواحدة والتى خلق منها زوجها ليست آدم وزوجته حواء.

يقول الحق سبحانه وتعالى: **﴿هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين * فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون﴾** (الأعراف: ١٨٩ - ١٩٠).

يقول المفسرون أن النفس الواحدة هى آدم وأن زوجه قد خُلقت منه وجُعلت له سكناً.

ويقولون أن حواء كان يولد لها أولاد مشوهون كما يُفهم من قوله: **﴿لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين﴾**، كما يقولون أن إبليس قد أتى لآدم وحواء قائلاً: لو سميتما المولود عبدالحارث (الحارث اسم الشيطان) لأتى المولود

صحيحاً سوياً، فلما جاء المولود صحيحاً سمياه كما طلب الشيطان، وفى ذلك يقول المولى ـ عز وجل ـ: **﴿فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾**.

هذا ماقاله المفسرون.

فهل من المعقـول أن آدم وزوجته بعد أن تاب الله عليهمـا عندما أكلا من الشجرة المحرّمـة حيث يقول ـ جل علاه ـ: **﴿فتلقى آدم من ربه كلمـات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾**.

هل يكون من المقبـول أن يعود آدم وزوجتـه إلى معصيـة الله والإشراك به واتّباع الشيطان بعد أن تاب الله عليهما.

من ذلك نرى أن تلك النفس الواحدة التى جعل منها زوجها لاتـمُت بصلة إلى آدم وحواء..

قال: يقول بـعض المفسرين ليس لنا أن نبحث عن طريقـة خلق حواء من آدم بل ليس لنا أن نبحث عن خلق الإنســان برمته لأن الله سبـحانه وتعالى لم يشهدنا خلق حواء ولا خلق أنفسنا، وهم يستندون إلى قوله سبحانه وتعالى:

﴿ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفـسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا﴾ (الكهف: ٥١).

كمـا يقولون أن المضلين هم بعض رجال العلم الذين يتـحدثون عن خلق الإنسان.

أجاب: لو رجعنا إلى الآية التى تسـبقها وقرأنا الآيتيـن معا ٥٠، ٥١ نجد أن الله عز من قائل يقول:

﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسـجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمـر ربه أفـتتـخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عـدو بئس للظالمين بدلاً * ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفـسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً﴾ (الكهف: ٥٠، ٥١).

من هذا القول الكريم نرى أن اللـه سبحانه وتعـالى إذ يقول **﴿ماأشهدتهم**

خلق السموات والأرض ولاخلق أنفسهم وماكنت متخذ المضلين عضدا﴾ فإنه جل شأنه يعنى بذلك إبليس وذريته ولايعنى الإنسان.

إننا لو أخذنا برأى هؤلاء المفسرين بأن الله سبحانه وتعالى يطلب من الإنسان عدم البحث فى خلق نفسه وأن من يدلى بدلوه فى هذا الشأن يكون من الضالين لكان فى القرآن الكريم تناقض كبير إذ يقول جل شأنه:

﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾ (فصلت: ٥٣).

فكيف يتأتى للإنسان أن يرى آيات الخالق الكريم فى السموات والأرض وفى نفسه بغير أن يبحث كيف خلقت السموات والأرض وكيف خلق الإنسان. بل إن المولى عز شأنه يطلب منا صراحة أن نبحث فى خلق السموات والأرض وفى خلق أنفسنا فى آيات متعددة.. نذكر منها:

﴿وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء﴾ (هود: ٧).

﴿الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ (السجدة: ٤).

﴿فلينظر الإنسان مم خلق * خلق من ماء دافق﴾ (الطارق: ٥، ٦).

ألا يعنى ذلك أن نبحث ماهى تلك الستة أيام التى خلقت فيها السموات والأرض وأن نبحث ماهو ذلك الماء الدافق الذى خلق منه الإنسان. بل إن الآيات التى ذكر فيها خلق الإنسان متعددة، متنوعة إذ جاء أن الإنسان قد خلق من تراب ومن طين لازب ومن صلصال من حمأ مسنون ومن صلصال كالفخار ومن نطفة ومن علقة ومن مضغة مخلقة وغير مخلقة ومن نطفة أمشاج ومن ماء دافق ومن ماء مهين.. حين يقول لنا المولى الكريم كل تلك الأشياء التى خلق منها الإنسان ألا يتحتم علينا نحن بنى آدم أن نبحث فى الطريق الذى سلكه الإنسان فى خلقه ليجمع كل تلك المفردات التى خلق منها الإنسان؟

بل إن الله خالق كل شيء لايطلب منا أن نبحث فى خلق السموات

والأرض فقط بل فى خلق الحيوان والنبات وكل ما يحتويه عالم المادة وعالم الأحياء. . ألا يقول جل شأنه:

﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقت * وإلى السماء كيف رُفعت * وإلى الجبال كيف نُصبت * وإلى الأرض كيف سُطحت﴾ (الغاشية: ١٧ ـ ٢٠).

أما آيات خلق النبات فقد تحدث العديد منها عن الرمان والأعناب والنخيل والزيتون. . وغير ذلك.

قال: وكيف نصف ذلك النوع الذى أطلق عليه المولى الكريم النفس الواحدة؟

أجاب: نجد إجابة ذلك فى الكتاب المجيد حين يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون * فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾ (الحجر: ٢٨، ٢٩).

أى أن الإنسان قد خلق من جسد وروح، جسد خلق من تراب أو طين أو صلصال من حمأ مسنون أى خلق من مادة الأرض وخلق من روح لانعلم كونها، إذ يقول المولى الكريم **﴿قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾**.

إن خلق الإنسان من جسد وروح يؤكده الخالق الكريم حين يقول:

﴿وإذا البحار سُجّرت * وإذا النفوس زُوّجت﴾ (التكوير: ٦، ٧).

فإن تزويج النفوس عند بعثها يوم القيامة إنما يعنى أن تعاد كل روح إلى جسدها.

قال: جاء فى الذكر الحكيم قوله سبحانه وتعالى:

﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ (لقمان: ٢٨). فما تفسير ذلك؟

أجاب: يقول بعض المفسرين إن خلق جميع الأنفس وبعثها، إنما يشبه خلق النفس الواحدة وبعثها وإن تلك النفس الواحدة هى آدم وأن من يخلق

نفساً واحدة قادر على أن يخلق أنفساً أخـرى، وفى رأيى أن هذا التفسير قاصر إذ أنه من لغو القـول أن نقول أن من يقدر على خلق نفس واحـدة إنما هو قادر على أن يخلق غـيرها، إذ أن ذلك أمـر بدهى حتى فى البـشر، فمـن يقدر أن يصنع سيارة أو طائرة أو سـفينة أو صاروخاً فهـو بلاشك قادر أن يصنع ملايين مثلها . . ولاشك أن الخالق الكريم فى كتابه المجيد لايقول لغواً.

إن قوله الكريم: ﴿ماخلقكم ولابعـثكم إلا كنفس واحدة﴾ إنما يعـنى أن المولى الكريم كمـا خلقكم من روح وجسد فـإنما يبعثكم من روح وجـسد بأن تعـاد كـل روح إلى جـسـدها. وليت شـعرى إذا فـسرنا النفس الواحـدة التى خلقنا منها جميعا بأنها آدم. . فهل سنبـعث جميعا يوم القيامة نفس واحدة هى آدم؟

قال: يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع﴾ (الأنعام: ٩٨).

فما معنى المستقر والمستودع؟

أجاب: لاشك أن الإنسان بألوف ملايينه الذين يقطنون الأرض فى الوقت الحالى والذين يختلفـون فيما بينهم فى الشكل والصفـات والذين يختلفون فى ألوانهم وأطوال قـامـاتهم ولون أعـينهم ولون شـعـرهم واخـتـلاف ألسنتـهم وأعـمارهم ومـسقط رءوسـهم ذكورا أو إناثـا رغم تلك الاخـتـلافات، فـإنهم تجمـعهم صفـات واحدة يشتـركون بها جـميعـا، يكونون بها نوعـا واحدا هو الإنسان، يختلف عن غيره من الأنواع، فلن يبلغ فى قوته قوة أسد أو ثور ولن يبلغ فى طول قـامته زرافـة أو شجـرة كافـور، ولن يستطيل أنفـه ويشتـد قوة (كزلومة فيل)، ولن يغطى جسده بريش طير أو فراء دب أو جمل.

إن مجموعة الصفات التى يتميز بها الإنسان كإنسان ويختلف بها عن غيره من أنواع الكائنات إنما تنشـأ عن مجـموعـة من عوامل الصـفات توجـد على كرومـوزومات الخـلايا التى يتكون منها وعـوامل تلك الصفـات هى الجينات، ومجموع الجـينات التى يحملها جميع أفراد البـشر من طول وقصر، من بلاهة

وذكاء، من لون شعر أو بشرة. . إلى غير ذلك، جميع تلك الجينات هى مستقر لذلك النوع، للإنسان البشر.

كل فرد له مستقره من كروموزومات توجد مزدوجة فى داخل كل خلية، وعندما يتزوج رجل بامرأة تمتزج نطفتاهما فى رحم الزوجة، وعن طريق ازدواج تلك الكروموزومات فى النطفة الأمشاج (٢٣) زوجا، تتكون صفات الأبناء حسب قوانين الوراثة. وعن هذا الطريق تختلف الأشكال، ذلك طويل أشقر أزرق العينين ناعم الشعر، وتلك سوداء ضخمة الجثة رفيعة الساقين غليظة الشفتين، يخرج من بينهما صوت كأنه مواء قطة أو فحيح أفعى، وأخرى سوداء اللون أيضا ولكنها ملساء البشرة آسرة البسمة مياسة القد، تتثنى كثعبان، ذات صوت ساحر وكأن حبالها أوتار عود أو كمان.

إن المستقر والمستودع لايقتصران على الإنسان بل يوجدان فى سائر الكائنات. . إذ يقول عز من قائل:

﴿وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها﴾ (هود: ٦).

إن مربى الماشية عندما يريد ـ على سبيل المثال ـ أن يكوّن قطيعا من الأبقار يمتاز بإنتاج عال من اللبن، وقطيعاً آخر يمتاز بإنتاج عال من اللحم، فإنه يبدأ بانتخاب ذكور وإناث تحمل صفة كثرة إدرار اللبن للقطيع الأول، وذكور وإناث تحمل صفة كثرة اللحم للقطيع الثانى. وتعتبر أبقار ذلك الجيل هى المستقر، وعندما يتناسل ذكور وإناث كل قطيع تمتزج نطف الذكور مع نطف الإناث فى رحم إناث الأبقار ـ مستودعها ـ وباتباع تلك الطريقة بانتخاب الأبقار عالية الإنتاج وتزويجها جيلا وراء جيل يزداد إنتاج كل قطيع سنة وراء سنة، أى أن مايحمله جيل الآباء من صفات يعتبر مستقرا كما تعتبر أرحام الإناث مستودعا.

إن كل جيل يحمل عوامل الصفات التى سوف يورثها لأبنائه، أى أنه مستقر لها وهو فى نفس الوقت مستودع من آبائه وأمهاته فى أرحام أمهاته، وبذلك تنتقل عوامل الصفات جيلاً وراء جيل من المستقر إلى المستودع.

إنــى و ضعتها أنثــى

قالت: أخـبرتنى أمى ـ رحـمهـا الله ـ عندما وضـعتنى أنثى وكـانت قد سبقتنى اثنتان وبذلك أصبحنا ثلاثاً متـعاقبات، أخبرتنى ـ رحمها الله ـ أن أبى عندما بُشّر بالنبأ اشتط غضبا واسود وجهه وهو كظيم، وتأزمت الأمور حتى أنه قد راوده الفكر فى الطلاق أو على الأقل فى البـحث عن زوجة أخرى متـهما إياها بأنها لاتنجب إلا إناثا. فهل كانت أمى هى السبب؟

أجاب: نعود إلـى النطفة من الأبوين.. قد ذكرنا أن كل خليـة من خلايا الجسم تحـمل ثلاثة وعشرين زوجـا من الكروموزومات، وفى أعـضاء التذكـير والتأنيث (الخـصيتان والمبـيضان) توجد خـلايا يطلق عليها الخلايا الأمـية، كل خلية تحـمل ٢٣ زوجا. يكون اثنان وعـشرون زوجا من تلك الكرومـوزومات متشابهة، أما الزوج الأخير (الثالث والعشرون) فيكون فرداه متماثلين فى الأنثى (الأم) ويكون هذان الفـردان مخـتلفين فى الذكـر (الأب)، ولسهولة الإيضاح نقول أن الزوجة الأم يكـون تركيب كروموزومـاتها ٢٢ زوجا + زوج تركيبه أأ (أ ترمز إلى الأنثى)، أمـا الأب فيكون تركيب كرومـوزوماته ٢٢ + أذ (ذ ترمز إلى ذكر). وعـندما تتكون البـويضة فى مـبيض الأم تنقـسم الخلية الأمـية إلى خليتين، يذهـب نصف عدد الكروموزومات إلى خلية منهـما ويذهب النصف الآخـر إلى الخلية الأخـرى، وبما أن زوج الكروموزومـات الأخيـر (رقم ٢٣) تركيبه فى الأم أأ، فإن الخليتين الناتجتين يكون تركيب كل منهما ٢٢ + أ.

أما الخلايا الأمية فى الذكر فتركيبها كما ذكرنا ٢٢ زوجا + أذ، وعندما تنقسم تلك الخلايا لتكون الحيوانات المنوية فى الأب تنقسم الخلايا الأمية إلى نصفين، وبذلك تنتج حيوانات منوية نصفها يحمل ٢٢ فردا + أ والنصف الآخر يحمل ٢٢ فردا + ذ، وعندما تحمل الزوجة يندمج أحد الحيوانات المنوية من الأب فى بويضة الأم التى تحمل دائما الكروموزومات ٢٢ فردا + أ. أما الحيوان المنوى الذى قد اندمج مع البويضة فيكون تركيبه إما ٢٢ فردا + أ أو يكون تركيبه ٢٢ فردا + ذ. فإذا كان الأول يكون الجنين أنثى (تركيبها ٢٢ زوجا + أأ). أما إذا اندمج الحيوان الثانى مع البويضة فيكون الجنين ذكرا (تركيبه ٢٢ زوجا + أذ). ونعلم أن الأنثى تنتج بويضة واحدة كل شهر قمرى، أما الذكر فينتج فى كل علاقة جنسية مع الأم ملايين الحيوانات المنوية نصفها كما ذكرنا ٢٢ فردا + أ والنصف الآخر ٢٢ فردا + ذ، تتسابق تلك الحيوانات المنوية جميعها لكى يخصب أحدها البويضة.

وبذلك نرى أن إرادة المولى ـ جل شأنه ـ هى التى تحدد نوع الجنين إن شاء ذكرا أحرز قصب السبق الحيوان المنوى ٢٢ + ذ وإن شاء أنثى أحرز قصب السبق حيوان منوى ٢٢ + أ:

﴿لله ملك السموات والأرض يخلق مايشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور﴾ (الشورى: ٤٩).

قالت فرحة: مما سبق يتضح أن أمى ليست المسئولة عن إنجابنا نحن البنات الثلاث، بل إن المسئولية تقع بعد إرادة الله ـ جل شأنه ـ على أبى الذى لم يكن من حقه أن يَتَّهم بل يُتَّهم.

أضافت قائلة: لى سؤال آخر..

أنجبت إحدى قريباتى مولودا أزرق العينين فى حين أن أبويه عيونهما سوداء، بل إن جدوده الأربعة عيونهم سوداء.. لاأكتمك أن الزوج قد ساوره الشك فى سلوك زوجته رغم معرفتنا جميعا بأنها سيدة فاضلة طاهرة.. ماتفسير ذلك؟

أجاب: يرجع الفضل فيما أجيبك به عن هذا التساؤل إلى عاملين..

الأول: أحد الرهبـان النمساويين يدعى جـريجور مندل، والعـامل الثانى: هو نبات البـسلة. فى سنة ١٨٥٧ أجرى مندل تجـارب فى حديقـة الدير ابتداء من سنة ١٨٥٧ لكى يدرس توارث الصـفـات عند تهـجيـن أصناف مخـتلفـة من البسلة، اختار مندل أصنافاً من البسلة أحدها طويل الساق والثانى قصير الساق، أحدها أزهاره بيضاء والثانى أزهاره قرنفـلية، أحدها أزهاره إبطية (موزعة على طول الساق) والآخر أزهاره طرفية (متجمعة فى قمة النبات).

عندما قام بتهجين نباتات طويلة الساق بأخرى قصيرة الساق كان الناتج فى الجيل الأول نباتات جميعها طويلة السـاق، وعندما قام بتهجين نباتات أزهارها بيضاء بأخرى قـرنفلية الأزهار، كانت نباتات الجيل الأول جمـيعها ذات أزهار قرنفلية.

قام مندل فى العام التالى بزراعة نباتات الجـيل الأول وتركها تتكاثر طبيعيا لدراسة النتائج. على سـبيل المثال عند زراعة نبـاتات الجيل الأول طويلة الساق كانت نباتات الجيل الثانـى بعضها طويل الساق وبعضها قصـير الساق، غير أن نسبة النبـاتات طويلة الساق إلى النباتات قضيرة السـاق كانت ٣ إلى ١. كذلك عند زراعة نباتات الجيل الأول قرنفلية الأزهار وتركـها للتكاثر الطبيعى انعزلت الصفات فى الجيل الثانى بنسبة «٣» ذات أزهار قرنفلية إلى «١» أزهاره بيضاء.

استنتج مندل من نتائج هذه الـتجارب أن كل صفة معـينة مثل طول الساق (طويل وقصير) ومثل لون الأزهار (أزهار قـرنفلية وأزهار بيضاء).. استنتج أن كل صفة يحكمها عاملان، فالنبـات القصير يحمل عاملين هما (ق ق) والنبات الطويل يحمل عاملين هما (ط ط) وذلك فى جيل الآباء، فإذا انتقلنا إلى الجيل الأول (جيل الأبناء) تأخـذ النباتات أحد العاملين من الأب والعـامل الثانى من الأم، أى أنهـا تحمل العـاملين (ق ط) غيـر أن عامل الطول (ط) يتـغلب على عامل القصر (ق) فـتكون النباتات طويلة جميعها ويطـلق على صفة الطول أنها سائدة وعلى صفـة القصر أنها متنحـية، أى أن صفة الطول تتـغلب على صفة القصر فتحجبها.

وبالمثل فى دراسة لون الأزهار. نعتبر أن النباتات التى تحمل أزهارا بيضاء

تركيبها (ب ب) والتى تحمل أزهاراً قرنفلـية تركيبها (ق ق) وبذلك يكون الجيل الأول تركيـبه (ب ق) وتكون جمـيع النباتات قرنـفلية إذ أن ذلك اللون يعتـبر سـائدا على اللون الأبيض ويعـتـبـر اللون الأبيض مـتنحـيا (يـحجـبـه اللون القرنفلى).

ويعتـبر النبات طويل السـاق ذو التركيب (ط ق) نبـاتاً مختلطاً فى صـفة الطول. والنبات (ط ط) نقيا فى صفة الطول، أما النبات القصير (ق ق) فيعتبر نقيا فى صـفة القصر، ومادام عامل القـصر متنحيا فلكى يكون النبـات قصيرا يتحتم أن يكون تركـيبه (ق ق)، وذلك بعكس النبات طويل السـاق فقد يكون تركيبه (ط ط) وبذلك يكون نقيا أو يكون تركيبه (ط ق) ويكون طويلاً أيضا.

وبالمثل فى لون الأزهار يتحـتم أن يكون النبات الذى يحمل أزهارا بيـضاء تركيبه (ب ب) بعكس النبات الذى يحمل أزهارا قرنفلية فقد يكون مختلطاً فى صفة لون الأزهار ويكون تركيبه (ق ب) أو يكون نقيا تركيبه (ق ق).

مما تقدم نرى أن جيلاً معيناً إذا كان مـختلطا فى صفة معينة يصح أن يظهر فى أبناء هذا الجيل الصـفة المضادة رغم أنهـا كانت محجـوبة فى ذلك الجيل. بمعنى أن الجيل الذى يحـمل صفة الساق الطويلة فى نبات الـبسلة وكانت هذه الصفة مختلطة (ط ق) فإن الصفـة المضادة (الساق القصيرة) تظهر فى أبناء ذلك الجيل فى ربع عدد الأبناء.

وقد اعتبر ذلك قانوناً من قـوانين وراثة الصفات. وعند تطبيق هذا القانون على الإنسان وجد أنه منطبق تماما فى كثير من الصفات. من هذه الصفات لون العين فى الإنسان، فالعيون السـوداء سائدة على العيون الزرقاء ومعنى ذلك أن العيون الزرقاء يتحتم أن يكون تركيبها (زز) أمـا العيون السوداء فيصبح تركيبها (س س) فتكون نقـية أو (س ز) فتكون مـختلطة، وقد حـجب اللون الأسود اللون الأزرق فى تلك الحالة.

لو عدنا إلى تسـاؤلك بأن رجلا أسود العـينين تزوج امرأة سـوداء العينين فأنجبـا ولدا أزرق العينين فإننا نسـتنتج أن ذلك الابن لابد أن يكون تركيب لون عينيـه (زز) ولابد فى هذه الحالة أن يأخذ العامل (ز) من أمـه والعامل (ز) من

أبيه ونستنتج من ذلك أيضا أن الأم رغم أن عينيها لونـهما أسود إلا أن تركيبها لابد أن يكون (س ز) أى مخـتلطة السواد وكذلـك الأب لابد أن يكون تركيب عينيه (س ز). أى أن كلاً من الأم والأب رغم سواد عيونهما إلا أن كلاً منهما يحمل عامل اللون الأزرق فى العين، ونستنتج من ذلك أيضا أن كلا من الأب والأم قـد ورث صفـة اللون الأزرق من أجـداد سـابقة لأن آباءهم وأمـهـاتهم المباشرين عيونهم سوداء.

ونخلص من هذا بأنـه لامجـال للشك فى سلوك السـيـدة الفـاضلة التى تحدثتِ عنها.

قالت: أنجبت إحدى شقيقتىَّ توأمين يختلفان فى الشكل الواحد عن الآخر وأنجبت شـقيقتى الأخـرى توأمين أحدهما ولد والثـانية بنت، وقد كان أشـهر توأمين فى مصـر مصطفى وعلى أمين متـشابهين فى الشكل، لايمكن التمـييز بينهما حتى لكل ذى عين نافذة. فما تفسير تلك الحالات الثلاث من التوائم؟

أجاب: المعتاد أن تنتج المرأة بويضة واحدة من أحـد المبيضين فى كل شهر قمرى. ويحـدث فى بعض السيدات أن تنتج بويضتان؛ بويضـة من كل مبيض فى شهر واحد. ولما كـانت الحيوانات المنوية متوافرة بأعداد كبـيرة فإن كلا من البويضتين الناتجتين يمكن أن يندمج بها حيوان منوى وبذلك تحمل المرأة جنينين لاجنينا واحدا، وبطبـيعة الحال يكون كل جنين ذا شكل مخـتلف بل قد يكون التوأمان أحدهما ذكر والآخـر أنثى، إذ اندمج فى البويضة الأولى حيوان منوى تركيبه ٢٢ + ذ، فى حين يندمج بالبويضة الثانية حيوان تركيبه ٢٢ + أ. أما فى حالة التوائم المتشابهة فإن بويضة الأم التى أخصبت بحيوان منوى قد تنقسم فى بعض الحالات إلى قسمين متمـاثلين ينتج كل منهما جنينا كاملا، وبذلك يكون التوأمان متشابهين تماما لأن عوامل الصفات التى يحملها كل منهما والتى ورثها كل منهما هى العوامل التى تحملها بويضة واحدة وحيوان منوى واحد.

وإنجاب التوائم قد يكون متسببا عن وجود عامل وراثى فى بعض الآباء أو بعض الأمهات.

الماء المهين.. ومادة الوراثة

قال له صاحبه: جاء فى قول الله العزيز الحكيم:

﴿وبدأ خلق الإنسـان من طين * ثم جعل نسله من سلالة من مـاء مهين﴾ (السجدة: ٧، ٨).

﴿ألم نخلقكم من ماء مهين * فجعلناه فى قرار مكين﴾ (المرسلات: ٢٠، ٢١).

فماذا يقصد بالماء المهين؟

أجاب: جاء فى معجم ألفاظ القرآن الكريم ـ مجمع اللغة العربية:

مهين: قليل حقير.

وقد اعتبر المجمع أيضـا أن الماء فى سورتى السجدة (٨) والمرسلات (٢٠) (بصرف النظر عن وصـفه بالمهين) أنه النطفة، كمـا يعتبر أيضـا أن النطفة هى المنى وبذلك يعتبر أن الماء المهين هو المنى.

وجاء فى تفسير الجلالين:

ماء مهين: ضعيف وهو المنى.

قرار مكين: حريز وهو الرحم.

وقد درج المفسرون على أن يفسروا (الماء المهين) على أنه المنى، وفى رأيى أن نسترجع الآيات التى ورد فيها خلق الإنسان من الماء ومن النطفة . .

يقول سبحانه:

﴿وجعلنا من الماء كل شيء حى﴾ (الأنبياء: ٣٠).

﴿وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً﴾ (الفرقان: ٥٤).

﴿والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه﴾ (النور: ٤٥).

﴿خُلق من ماء دافق * يخرج من بين الصلب والترائب﴾ (الطارق: ٦ , ٧).

﴿ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾ (السجدة: ٨).

﴿ألم نخلقكم من ماء مهين﴾ (المرسلات: ٢٠).

﴿ألم يكُ نطفة من منى يُمنى﴾ (القيامة: ٣٧).

إذن فقد ورد أن الإنسان خلق من ماء، ومن ماء مهين، ومن ماء دافق، ويجدر بنا أن نتلمس هل هناك فروق بين الماء بأنواعه التى ذكرت، لاشك أن الماء بغير تحديد هو عماد الحياة خلقت منه جميع الأحياء سواءً أكانت نباتا أم حيوانا أم إنسانا، إذ أن الوحدة التى خلقت منها تلك الأحياء هى الخلية ولاحياة للخلية بغير ماء. إن المادة الأساسية فى الخلية سواء أكانت نباتية أم حيوانية (ويدخل فيها الإنسان) يطلق عليها البروتوبلازم ويكوّن الماء نسبة ٥٠ ـ ٩٦٪ من وزن البروتوبلازم حسب نوع الخلايا، وعلاوة على ذلك فإن جميع العمليات الكيماوية الحيوية التى تؤديها الخلية لاتتم إلا فى وسط مائى، ولعل من حكمة الخالق الكريم أن بدأت الحياة والأحياء فى البحار (كما يقول رجال العلوم) حتى تحصل على ماتشاء من الماء بغير عناء فلا اعتماد على المطر فقد لاتمطر أو قد تضن به السماء أو على ينابيع قد توجد أو ينعدم وجودها أو ثلوج قد لاتسمح لها ظروف الجو بأن تذوب.

نتنقل الآن إلى الماء المهين. . لقد فسر ذلك الماء على أنه المنى ـ منى الرجل ـ وهنا يجب علينا أن نتمعن فيما قاله سبحانه وتعالى عن المنى وماقاله عن الماء المهين. . يقول جل وعلا:

﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى * ألم يكُ نطفة من منى يُمنى﴾.

و﴿ألم نخلقكم من ماء مهين﴾.

لقد أوضحنا سابقا «بين نطفة ونطفة» أن الله سبحانه العليم الخبير لم ينص على أنه خلق الإنسان من منى يمنى، بل قال أنه كان نطفة من منى يُمنى لأن خلق الإنسان ليس من نطفة من منِى الرجل ولكنه خلق من نطفة الأنثى - نطفة إذا تمنى - تلك النطفة لكى تتحول إلى علقة وتواصل المسيرة لخلق الإنسان يجب أن تخصبها نطفة الرجل - نطفة من المنى. لذلك يقول الخالق الكريم بدقة فائقة فى التعبير ولاغرو فهو القول الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.. قول العليم الذى هو فوق كل ذى علم أن الإنسان كان نطفة من منِىّ يمنى، كان فى أحد أطواره نطفة من الذكر، أما قوله عن الماء المهين فقد نص على أن الإنسان خلق من ماء مهين. مما يوضح أن الماء المهين ليس هو المنِىّ. يؤيد ذلك نقطة جوهرية أخرى تستند أيضا إلى دقة القرآن الكريم فى اللفظ، تلك الدقة التى هى أحد دلائل إعجازه، يقول المولى عز وجل **﴿ألم يك نطفة من منى يمنى﴾**، ولم يقل: «ألم يك منيا يمنى» لأن المنى الذى يقذف به الرجل فى كل مرة كما نعلم يحتوى على الملايين من الحيوانات المنوية «من النطف»، والإنسان لم يكن كل هذه النطف، لم يكن المنى كله، بل كان واحدة من منى يمنى. أما عن الماء المهين فيقول سبحانه **﴿ألم نخلقكم من ماء مهين﴾**، فعلاوة على أنه قَرَن الخلق بالماء المهين فإنه أيضا لم يقل ألم نخلقكم من نطفة من ماء مهين وفى ذلك تأكيد بأن الماء المهين ليس هو المنى الذى يمنى.

فما هو الماء المهين إذن؟

هنا يجب أن نستعين بما يقوله العلم. واضعين نصب أعيننا آيات الحق سبحانه التى يحدثنا فيها عن الخلق:

﴿وبدأ خلق الإنسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين * ثم سواه ونفخ فيه من روحه﴾ (السجدة: ٧ - ٩).

﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة﴾ (المؤمنون: ١٢ ـ ١٤).

﴿قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ (العنكبوت: ٢٠).

يقول رجال العلم أن الإنسان شأنه فى الخلق شأن باقى المخلوقات الحية من نبات وحيوان تتكاثر جميعها بطريقة ذات أساس واحد، يختلف فقط فى التفاصيل لأن جميع المخلوقات بدأها الخالق الكريم بداية واحدة، أخذ يطورها سبحانه الخالق الخلاق وينوعها أنواعا شتى تفوق الوصف ولايحدها خيال. بدأت الحياة فى البحار بكائنات بسيطة من خلية واحدة خلقت من مادة الأرض، من التراب والطين.

كيف تكاثرت الكائنات وتطورت كائنا عن كائن وجيلا عن جيل. تكاثرت هذه الكائنات البسيطة ذات الخلية الواحدة بانقسام الخلية إلى خليتين متماثلتين وكل منهما إلى اثنتين وهكذا، وسمى ذلك التكاثر تكاثرا لاجنسيا حيث لاذكر ولا أنثى. بعد ذلك ظهرت الأنواع التى تتكاثر بالذكور والإناث.

قال: هل معنى ذلك أن تلك الأنواع التى تتكاثر جنسيا قد نشأت منفصلة عن الأنواع الأولى؟

أجاب: كلا بل نشأت منها، إن سلسلة الأحياء متصلة لم تنقطع فى يوم من الأيام منذ أن بدأ الله بأدنى مخلوقاته من البكتريا والطحالب ثم البروتوزوا (الحيوانات وحيدة الخلية) إلى أرقى مخلوقاته الإنسان البشر الذى سواه المولى ونفخ فيه من روحه، لقد تنوعت الأحياء وتشكلت فى أشكال واتجاهات متعددة ولكنها دائمة الاتصال مثلها مثل شجرة بدأت ببذرة فى الأرض نمت وكونت الجذوع والفروع والأغصان والأوراق والزهور والثمار فى تسلسل غير منقطع مهما طال بها العمر وتعددت السنون.

قال: وكيف نشأت الأنواع التى تتكاثر جنسيا من التى لاتتكاثر جنسيا؟

أجاب: إن الخلية الحية تمتلك ما ينظم جميع عملياتها الحيوية فى صورة نواة داخل الخلية، وفى داخل النواة نُوَيّة تحتوى على ما أطلق عليه اسم الكروموزومات (التى تحمل عوامل الصفات) وتوجد هذه فى أزواج يختلف

عددها باختلاف الأنواع، وفى الأنواع التى تتكاثر لاجنسيا تنقسم فيها الخلية إلى اثنتين، كما تنقسم نواتها ونوياتها أيضا إلى اثنتين، وفى تلك العملية تنقسم الكروموزومات طوليا كل واحد إلى اثنين وبذلك يتسلم جيل الأبناء نفس عدد الكروموزومات الزوجية التى تحمل صفات وراثية طبق الأصل من جيل الآباء، وعندما ظهرت الكائنات التى تتكاثر جنسيا تكوّن فيها جهاز خاص بالتناسل (ظهر فيها الذكور والإناث) ينتج خلايا متخصصة تسمى خلايا جنسية وفيها تنقسم الخلية انقساما يطلق عليه انقسام اختزالى تصبح فيه الكروموزومات مفردة وليست مزدوجة. ولتوضيح ذلك، هب أن كائنا به ثلاثة أزواج من الكروموزومات أأَ، ب بَ، ج جَ، تنقسم خلية فرد ما فى ذلك النوع إلى نصفين؛ نصف تذهب إليه الكروموزومات أ، بَ، جَ وبذلك يحمل النصف الآخر أَ، ب، ج. وفرد آخر تحمل إحدى الخليتين أ، بَ، ج وبذلك تحمل الأخرى أَ، ب، جَ. وهكذا. ويكون ذلك بالصدفة المحضة، غير أن كل خلية من تلك التى تحتوى نصف عدد الكروموزومات لكى تكون فردا جديدا من نفس النوع لابد أن تمتزج بخلية أخرى تحمل نصف العدد، ولذلك تسمى إحداهما الأم وتسمى الأخرى الأب. وطبيعى أن يكون الامتزاج عشوائيا أيضا، بمعنى أنه قد يكون فرد يحتوى أأَ، ب ب، ج ج أو أأَ، ب ب، ج ج أو أأَ، بَ بَ، جَ جَ وهكذا حسب التباديل والتوافيق المعروفة، ونكرر يحدث الانقسام الاختزالى فى خلايا خاصة فى جهاز التناسل فى الحيوانات والنباتات التى نشأت عن سابقتها والتى كانت تتكاثر تكاثرا لاجنسيا. من ذلك يتضح أن مادة الوراثة على الكروموزومات قد انتقلت من كائنات كانت تتناسل لاجنسيا إلى كائنات تتناسل بالذكور والإناث.

ولما كانت مادة الوراثة هى التى تحدد الصفات التى تحملها الأفراد والأنواع حيث يختلف فرد عن آخر من نفس نوعه وفى الوقت نفسه يشترك جميع أفراد ذلك النوع فى صفات يختلفون بها عن صفات نوع آخر، فإن تلك المادة يتسلمها كل جيل عن الجيل الذى يسبقه والذى يسلمها بدوره إلى الجيل الذى يليه، وعلى مر السنين والحقب والأجيال طيلة ثلاثة آلاف ومائة مليون من السنين تكونت الكائنات الحالية عن طريق تغير مادة الوراثة(*).

(*) من بدء خلق أول خلية حية.

قال: ولماذا تغير نظام التكاثر من لاجنسى إلى جنسى وكيف تنشأ أنواع من أنواع أخرى؟

أجاب: عندما بدأت الحياة كان لابد لها أن تسير بسرعة وكانت الأرض خالية من الأكسجين والغاز السائد هو ثانى أكسيد الكربون، فخلق الله سبحانه وتعالى كائنات نباتية من خلية واحدة تأخذ ثانى أكسيد الكربون وتطرد الأكسجين فى عملية التمثيل الضوئى المعروفة وكانت تلك الكائنات هى الطحالب، ولكى يحدث التكاثر بسرعة لم يكن هناك داع لوجود طحلبة أنثى وطحلب ذكر، ينتظر كل منهما طور البلوغ لكى تصبح الطحلبة عروسا تتهادى يطاردها ذكور الطحالب، فتتمنى أمها القلقة أن ترسلها إلى (بيت العَدَل) كما لم يكن هناك مايدعو إلى التنوع فى الكائنات إلى أن تتهيأ الأرض لاستقبال أنواع مختلفة الأشكال والصفات. وعندما تهيأت الأرض لذلك بدأ التكاثر عن طريق الذكور والإناث، إذ أن تلك الطريقة من الناحية العلمية هى الطريقة التى تتشكل بواسطتها الأفراد جيلا بعد جيل ومن تشكل الأفراد تظهر الأنواع الجديدة التى تتشكل بدورها لتكون أنواعا أخرى وهكذا.

قال: لقد سبحت بى فى تيار جارف وربما فى بحر عميق وأبعدتنى عن كتاب الله الكريم فما دخل ماتقول فى النطفة والماء المهين؟

أجاب: بل إن هناك توافقاً تاماً بين مايقوله العلم وماجاء فى الكتاب الكريم. ولكى أوضح ذلك نقول دائما أن الكروموزومات تحمل عوامل الصفات الوراثية. وقد تأكد ذلك عندما تمكن مربو الحيوانات من إنتاج سلالات تتصف بصفات معينة مثل وفرة اللحم أو اللبن أو البيض أو الصوف أو تربية خيول السباق أو إنتاج سلالات عالية الإنتاج من الذُّرة أو غيره من الحبوب أو غيرها.

وكان ذلك عن طريق تزويج الذكور التى تحمل الصفات المطلوبة إناثاً تحمل تلك الصفات، ولكى أوضح ماذا تعنى عوامل الصفات أقول ببساطة هى العوامل التى يحملها القط ليصير قطا ويحملها الخفاش ليصير خفاشا والخنزير خنزيرا والثعبان ثعبانا والبكتريا بكتيريا والإنسان إنسانا رجلا أو امرأة بل هل

هى حسناء ذات وجه صبوح تسر الناظرين أم أن وجهها كما نقول نحن المصريين «قاطع الخميرة من المنزل».

ماهى تلك العوامل التى نسميها عوامل الصفات؟

نقول أن زوجا تقابل مع زوجته فحملت، أى أن نطفة منه أمكنها أن تخصب نطفتها مكونة نطفة أمشاجا، كيف تتحول تلك النطفة إلى جنين يكتمل نموه لتضعه أمه طفلا، من الذى يرشده إلى الطريق الذى يسلكه لكى يكون أجهزة مختلفة لكل منها أعضاؤه الخاصة، فكيف يكون عظاما تتحول إلى عمود فقارى يحمل أذرعا وأيدى وأصابع وأرجلا، وكيف يحمل معدة وأمعاء وكبداً وطحالا ويحمل أو تحمل رأسه عينين وأذنين وأنفاً. . . وغير ذلك من آلاف المتطلبات. نقول أن الله سبحانه وتعالى هو خالقه وهو الذى يرشده كما نقول، الله سبحانه وتعالى قد علّم الإنسان مالم يعلم، وأنه يحثه دائما أن يبحث ليعلمه مالم يعلم.

وهنا نلجأ إلى علماء الوراثة فيقولون أن تلك النطفة الأمشاج قد تسلمت من الأب ٢٣ فرداً من الكروموزومات ومن الأم ٢٣ فرداً من الكروموزومات تحمل عوامل الوراثة، ونعود لنسأل من جديد وماهى عوامل الوراثة؟ فيجيبون: إنها تسمى جينات توجد على الكروموزومات ونعود ونسأل وماهى الجينات؟ فيجيبون: تعرف الجينات بآثارها ويعنى ذلك أن الجينات تحمل بطريقة ما المعلومات أو التعليمات التى تتبعها تلك النطفة الأمشاج لكى تكوِّن الأعضاء المختلفة بمواصفات معينة بحيث تصبح تلك النطفة بعد تسعة شهور طفلا ذكرا أو أنثى، وأكثر من ذلك فإن كل خلية من خلايا هذا الطفل تحمل ٢٣ زوجا من الكروموزومات، ومسطور على هذه الكروموزومات جينات تحمل المعلومات التى تسير عليها جميع أعضاء ذلك الطفل، لكى يصبح يافعا ثم شابا ثم كهلا ثم يبلغ من العمر أرذله لكى لايعلم من بعد علم شيئا، وهى تحدد صفاته طويلا أم قصيرا، أزرق العينين أم أسودهما، ذا شعر ناعم أم مجعد، بل أيضا هل هو ذكى أم أبله، صبور أم سريع الغضب. . إلى غير ذلك من صفات لايمكن أن نحصرها، علاوة على ذلك فهى تحدد الصفات التى يمكنه أن يورثها إلى أبنائه. كل تلك المعلومات مسجلة بواسطة الجينات على الكروموزومات.

يقول شمس الدين آق بلوت (دارون ونظرية التطور) أن المعلومات الشفرية المسجلة على الكروموزومـــات فى كل خلية تقدر بموسوعة عملاقة تتألف من ستة وأربعين مجلدا، يتألف كل مجلد من عشرين ألف صفحة أى مايقرب من مليون صفحة[1] تتضــمن كل مايخص الفــرد من يوم مولده إلى يــوم وفاته بل تتعداها إلى العوامل التى سيساهم بها فى صفات تتصف بها ذريته.

كما يقول المؤلف أن جسم الإنسان يحتوى على ستين مليون مليون خلية، أى أن المعلومات التى تقدر بمليون صفحة تتكرر فى جسم إنسان واحد فى ستين مليون مليــون صفحــة، فما بالك بآلاف الملايــين من البشر الســابقين والحاليين والقــادمين، فضــلاً عن ســائر الكائنات الحيــة من مــلايين الأنواع من الحيــوان والنبات، ألا يقول الخلاق المبدع:

﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾ (فصلت: ٥٣).

قال: وماعلاقة ذلك بالماء المهين وماعلاقته بكلمات الله؟

أجاب: لم تُعــرف الجينات إلا بعملها كــما ذكرت، وعلى حد قــول أحد العلماء فى ذلك المجال (أيا كــان الأساس الفيزيقى للجين فــإن عمله الأساسى هو توفير المعلومات)، كما يقــول عالم آخر أن: (الجينات هى كومة من الخطط يبلغ ارتفاعها كيلومترات لصــناعة إنسان واحد)، ويقول آخر أن: (الجينات هى تلك المعلومات الأساسية للحياة)، ويقــول ويليام بينز (الهندسة الوراثية للجميع - ترجمة د. أحمــد مستجير): «إن طنا من المعلومات لايــعنى شيئا إذا لم يكن يضم الخطة التى يريدها، وعلى هذا فــعلم الوراثة لايدرس قط ماهيــة الجينات ولكن أيضا الطريقة التى تُنظم بها إلى ملفات وأضابير تحفظ سجلات الجسم».

إن تشبيه الجينات بالملفــات تشبيه دقيق فكلاهما مستودع لــلبيانات وللمعلومات عن السبل الممكنة للفعل، كما يقول «أن الملف الوراثى لابد أن يكتب على مادة وراثية»، إن المادة الوراثية هى الأساس المادى للمعلومات نسميها الجينات. وقد

---

(١) جاء أن الموسوعة البريطانية - وتعد أكــبر الموسوعات فى العالم - تحتوى على أقل من أربعين ألف صفحة.

اعتقد العلماء فيما مضى أن مادة الوراثة تخرج عن نطاق مجال الكيمياء بسبب مايلزم أن يكون لها من خصائص تكاد تكون سحرية وقالوا إن تلك المادة لاتوجد فى الكائنات غير الحية بل يتأكد وجودها فى الكائنات الحية جميعها من البكتريا إلى كافة الأحياء بجميع أشكالها إلى أن نصل إلى الإنسان البشر.

إن الجينات بعبارة أخرى هى كلمات الله فى صورة شفرة كيماوية تتم عن طريقها عملية الخلق. وصدق الله إذ يقول:

﴿ولو أن مافى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله﴾.

فى سنة ١٩٥٣ نجح العالمان جيمس واطسن، فرنسيس كليرك فى التوصل إلى تركيب مادة الوراثة «الجينات» تلك المادة عبارة عن حامض نووى أطلق عليه اسم DNA دى أوكسيريبو نيوكليك آسيد، أى حامض دى أوكسيريبوز النووى ويتركب من شق من السكر البسيط وشق آزوتى وشق من حامض الفوسفوريك ويكوّن السكر والفوسفات بالتبادل العمود الفقارى لسلسلة طولية تمتد بالآلاف بل الملايين، كما يتصل فيها الشق الآزوتى بالسكر، ولهذا الحامض أربعة أنواع فقط تختلف تبعا لاختلاف الشق الآزوتى. أى أن كل حلقة من السلسلة (تسمى نيوكليوتيد وجمعها نيوكليوتيدات) عبارة عن سكر يرتبط به فوسفات، كما يتصل بالسكر الشق الآزوتى. يقول العلماء أن هذه الأبجدية المكونة من أربعة حروف هى التى سجل عن طريقها كل هذا الكم الهائل بل الخيالى فى ضخامته من معلومات.

كيف يعمل د.ن.أ؟.. إن الجسم عبارة عن بروتينات مختلفة من الخلايا، والـ د.ن.أ بناء على التعليمات المسطورة به يرشد الخلية المعنية لتنتج النوع المطلوب من البروتين فى المكان المناسب أو ترسله إلى المكان المناسب وكل ذلك فى الوقت المعلوم، ولاتحسبن ذلك بالأمر الهين إذا علمت أن كل نوع من الكائنات الحية ـ وأترك لك أن تحاول عدها ـ لكل نوع منها بروتين خاص يختلف عن نوع سواه وأكثر من ذلك فإن للنوع الواحد من تلك الكائنات آلافاً من أنواع البروتين.

والآن.. نعود إلى كتاب الله الكريم فـى آيات الخلق.. يقول المفسرون أن الماء المهين هو المنى، ونقول أن ذلك غير صـحيح لأن المنى هو إفراز من الذكور وليس كل المخلوقات تتكاثر بالذكور والإناث.

قال: إن آيات الخلق تتحدث عن خلق الإنسان فقط.

أجاب: ليس هذا صحيحا بدليل قول العليم الخبير:

﴿وجـعلنا مـن الماء كل شيء حي﴾ و ﴿والله خـلق كل دابة من مـاء﴾ و﴿وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا﴾ و﴿قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾.

علينا إذن أن نبحث عن العامل المشتـرك ، المادة المشتركة التى خلقت منها جمـيع المخلوقات والتى بواسطتهـا قد جعل الله سـبحانه وتعـالى البشر نسـبا وصهـرا ليس فقط بالنسبة لأفـراده، ولكن بالنسبة له كنوع، بالنسـبة لِنَسَبِه أى قرابته ومصاهرته لباقى الأنواع من الكائنات الحية.

يمكننا الآن أن نقـول بوضوح أن ذلك الـعامل المشـترك هو العـامل الذى تتركب منه كروموزومات الخلية الحـية - أى خلية حية - إنه بلاشك هو الحامض النووى هو الـ د.ن.أ إنه الماء المهين صنعت منه الكرومـوزومات التى توجد فى خلايا جميع الأحياء من البكتريا والطحالب إلى الإنسان، وهو فى نفس الوقت الذى قد طوره الخالق الكريم ويطوره باستمـرار وعن طريقه جعل المصور المبدع سبحانه وتعالى البكتريا بكتريا والغزال غزالا والصقر صقرا والزهرة زهرةً والقرد قردا لاإنسـانا، وعن طريقـه أيضا تتـفاوت الأفراد داخـل كل نوع فهـذا أسود عبوس نحيف وذلك أصفر قصير لماح، وتلك بقرة فاقع لونها تسر الناظرين.

قال له صاحبه: وماهو الفرق بين النطفة والماء المهين؟

أجاب: النطفـة يقتصـر وجودها فى أعضاء التناسـل فى الكائنات بالذكور والإناث عندما تصل سن البلوغ فهى الحيوان المنوى والبويضة فى الحيوان، وهى حبـوب اللقاح وبويضـات المبيض فى النبات. أمـا الماء المهين فهـو مادة الوراثة ذاتها التى تحملهـا الكروموزومات فى كل نطفة كـما تحملها أيضا جـميع خلايا جسم الكائن الحى.

وغنى عن الذكـر أن لكل نوع من الكائنات الحية عددا معينا من الكروموزومات.. وقد ذكرنا أن الكائنات فى بدء خلقها كانت بسيطة وكانت تتكاثر بانقسام كل خلية إلى نصفين كل منهما يكون فرداً جديدا.. وهكذا، وفى هذه الأفراد تكون الكروموزومات زوجية. وعندما انتقلت الأحياء إلى طريقة التكاثر الجنسى أخذت تتكون فى الجهاز التناسلى أعضاء خاصة تنقسم فيها خلايا تسمى الخلايا الأمية انقساما اختزاليا ـ كما سبق ذكره ـ مكونة الحيوان المنوى فى الذكور والبويضة فى الإناث، وفيهما تكون الكروموزومات مفردة. وعندما يتقابل الذكر مع أنثاه ويحدث الحمل يندمج الحيوان المنوى فى البويضة وتتكون النطفة الأمشاج التى تستعيد زوجية الكروموزومات وبذلك تحمل تلك النطفة عوامل الصفات من كلا الأبوين. وفى الإنسان وغيره من الحيوانات الولودة تتحول النطفة الأمشاج عن طريق الانقسام العادى إلى خليتين ثم إلى أربع وهكذا لتكون العلقة وتلك تتحول إلى مضغة وهكذا إلى نهاية المسار لتكون حيوانا كاملا أو بشرا سويا حسب عوامل الوراثة (الجينات) على الكروموزومات.

إن الماء المهين هو التعليمات المسطورة على الكروموزومات والتى عن طريقها تنفذ كل خلية ما هو مطلوب منها ليكونوا جميعا كائنا حيا جديدا. إنها الشفرة التى يحدّث بها الخالق الكريم مخلوقاته ليتم تكوينها وتكتسب صفاتها.

ونعود إلى قول الحق سبحانه وتعالى فى خلق الإنسان.. يقول سبحانه فى سورة السجدة:

﴿وبدأ خلق الإنسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين * ثم سواه ونفخ فيه من روحه﴾ (السجدة: ٧ ـ ٩).

بدأ الإنسان كائنا بسيطا من خلية واحدة خلقت من طين، تكاثر سلالة من سلالة، متطورا خلقا من بعد خلق، عن طريق الماء المهين إلى أن سوّاه المصور المبدع سبحانه وتعالى ونفخ فيه من روحه.

ورغم أن الإنسان قد بدأ كائنا يتكاثر لاجنسيا ثم انتقل أثناء مسيرة طويلة

إلي مرحلة تتكاثر فيها السلالات تكاثرا جنسيا عن طريق النطفة. إلا أن التكاثر فى كلتا المرحلتين هو تكاثر من الماء المهين.

ويجدر بنا أن نلاحظ الفرق بين القول السابق وبين قوله سبحانه فى (سورة المؤمنون):

﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين﴾.

فى هذه الآيات يوضح الخالق الكريم فى دقة بالغة لاتتعارض مع الآيات السابقة أن الإنسان خلق من سلالة بدأ خلقها من طين، تلك المرحلة من الخلق لم يقل عنها أنها خلقت من نطفة أو أن لها علاقة بالنطفة بل إنه بانتهاء تلك المرحلة بدأت مرحلة تالية بالتكاثر بالنطفة بأن جعله الخالق الكريم نطفة فى قرار مكين.

هناك فرق واضح بين بدء خلق الإنسان وبين الخلق نفسه..

فإن بدء الخلق كان من كائنٍ من طين، أما الخلق فكان من سلالة بعيدة من ذلك الكائن الأول.

قال: وما الفرق بين القرار المكين فى قوله **﴿ألم نخلقكم من ماء مهين * فجعلناه فى قرار مكين﴾** وقوله **﴿ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين﴾**؟

أجاب: القرار المكين فى الأولى هو الكروموزوم الذى يوجد فى النوية داخل النواة فى داخل الخلية، كل خلايا الجسم، وفى الثانية داخل المبيض بالتناوب وداخل الخصيتين.

قال: من الصعب جدا أن نقبل تفسير (الماء المهين) الذى ورد فى القرآن الكريم من أكثر من أربعة عشر قرنا على لسان نبى أمى بأنه مادة الـ د.ن.أ التى لم يتوصل العلم إلى معرفة مكوناتها إلا فى سنة ١٩٥٣ من القرن الحالى، ألا يُعد قولك قفزة واسعة بل تحميلا للألفاظ أكثر مما تطيق؟

أجاب: بل إن فى تجاهل الربط بين ألفاظ القرآن وآياته وبين ما نتوصل إليه من علم كشفه الله لنا إجحافا بحق كتاب الله الكريم. لم يأت بالقرآن أن الله

سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان من DNA أو د.ن.أ ولا خلقه من جينات على كروموزومات، ولكنه قال بدقة فائقة دالة على الإعجاز بأنه خلق من ماء مهين. هذان اللفظان قد تضمنا خلق الإنسان من البداية من طين إلى أن سواه الخالق الكريم بشراً سوياً. تضمن هذان اللفظان ماوضحناه من تكاثر بدأ بغير حاجة إلى ذكور وإناث إلى أن ظهرت سلالات تتكاثر بالذكور والإناث بنطفة في قرار مكين، وكلتا المرحلتين هما تكاثر بالماء المهين وبلغة العلم بكروموزومات زوجية فى المرحلة الأولى ومفردة فى كل من نطفتى الذكر والأنثى فى المرحلة الثانية.

يقول سيد قطب فى كتابه (فى ظلال القرآن):

﴿الذى أحسن كل شيء خلقه﴾ و**﴿بدأ خلق الإنسان من طين﴾**.. ومن إحسانه فى الخلق بدأ خلق الإنسان من طين.. فالتعبير قابل لأن يفهم منه أن الطين كان بداءة، وكان فى المرحلة الأولى، ولم يحدد عدد الأطوار التى تلت مرحلة الطين ولا بدءها ولا زمنها، فالباب فيها مفتوح لأى تحقيق وخاصة حين يضم هذا النص الآخر فى سورة المؤمنون: **﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾** فيمكن أن نفهم منه أنها إشارة إلى التسلسل فى مراحل النشأة الإنسانية يرجع أصلا إلى مرحلة الطين. وقد يكون ذلك إشارة إلى بدء نشأة الخلية الحية الأولى فى هذه الأرض وأنها نشأت من طين، وأن الطين كان فى المرحلة السابقة لنفخ الحياة فيها بأمر الله. وهذا هو السر الذى لم يصل إليه أحد. لا ماهو ولا كيف كان. ومن الخلية الحية نشأ الإنسان ولايذكر القرآن كيف تم هذا ولا كم استغرق من الزمن ومن الأطوار.. فالأمر فى تحقيق هذا التسلسل متروك لأى بحث صحيح، وليس فى هذا البحث مايصادم النص القرآنى القاطع بأن نشأة الإنسان الأولى كانت من طين. وهذا هو الحد المأمون بين الاعتماد على الحقيقة القرآنية القاطعة وقبول ما يسفر عنه أى تحقيق صحيح.

مما تقدم.. أرى أن الماء المهين من الناحية العلمية هو مادة الوراثة، هو كلمات من حامض ضعيف سطرت على الكروموزومات، كروموزومات النطفة من بويضة أو حيوان منوى فى الإنسان البالغ ذكرا أو أنثى لإنتاج نطفة أمشاج

جديدة، تتكاثر لتكون فردا مكتمل الأعضاء تضعه الأنثى طفلا، وتستمر خلاياه فى التكاثر ليبلغ أشده.

ولا يقتصر وجود الماء المهين على الإنسان بل يتعداه إلى جميع الكائنات الحية من نبات وحيوان.

إنه مادة الوراثة تتناقلها الأجيال جيلاً وراء جيل فى جميع الكائنات.

قال: هل يمكننا إذن عن طريق مادة الوراثة تحديد قرابة الأنواع بعضها لبعض؟

أجاب: نعم، وليس فقط قرابة الأنواع[1] بل أيضا قرابة الأفراد فى النوع الواحد، وإليك ماجاء بجريدة الأهرام بتاريخ ١٦/٣/١٩٩٧:

قرابة عائلية طريفة

فى إضافة علمية جديدة وطريفة فى نفس الوقت، وجد علماء الأنثروبولوجيا صلة قرابة بين هيكل كامل لإنسان عمره ٩ آلاف عام يعود للعصر الحجرى، وبين مدرس تاريخ بريطانى يبلغ من العمر ٤٢ عاماً.

وقد تم هذا الاكتشاف المثير الذى يُعد انتصاراً جديداً للعلم، عن طريق تحليل الحامض النووى للهيكل ومقارنته بنتائج الاختبارات التى أجريت على عدد من طلاب وتلاميذ إحدى المدارس الإنجليزية التى تقع فى منطقة «شيدر جورج»، وهو الموقع الذى تم فيه اكتشاف الهيكل.

وقد استغرقت الأبحاث التى أجراها فريق العلماء من جامعة أكسفورد مع زملائهم من متحف التاريخ الطبيعى شهوراً حتى تمكنوا من استخلاص مادة الـ«دى. إن. إيه» من عظام الهيكل الذى اكتشف عام ١٩٠٣ من أحد الكهوف فى منطقة سومرست أثناء أعمال الحفر لمد شبكات وأنابيب المياه. وقد أعقب

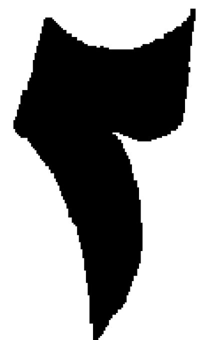
(١) يقول سمير حنا صادق (رحلة البيجل) أن شريط المعلومات الوراثى فى الإنسان يحتوى على أربعة آلاف مليون معلومة، ولايختلف هذا الشريط عن مثيله فى القردة العليا (الشمبانزى والغوريلا والجيبون والأورانج أوتان) إلا بمقدار ٢٪.. وهذا بلا شك يوضح القرابة الشديدة للإنسان بتلك الكائنات.

فصل الحامض النووى إجراء التجارب على عينات من مدرسى وتلاميذ المدرسة، فى محاولة لإيجاد علاقة بين إنسان العصر الحجرى ونظرائه المعاصرين.

حيث أظهرت نتائج التحليل وجود علاقة مباشرة بين هذا الهيكل، وأدريان تارجت مدرس التاريخ الذى أجرى الاختبارات بالصدفة، ليساهم فى استكمال العدد المطلوب.

وقد أشار منتج البرنامج التليفزيونى الذى أعد سلسلة حلقات عن التاريخ الأثرى لمنطقة سومرست، أنهم مندهشون بشدة من نتائج الاختبارات التى روعى فى إجرائها أن تتم على التلاميذ والمدرسين الذين عُرف عن عائلاتهم تواجدهم فى هذه المنطقة منذ عدة أجيال. وأوضح أن نتائج الاختبارات أظهرت بما لايدع مجالاً للشك أن شخصين على الأقل ينحدران من سلالة هذا الهيكل.

ويقول أحد العلماء عن الهيكل الذى يوجد فى حالة جيدة فى متحف التاريخ الطبيعى، أنه شىء غير معتاد أن يظل الحامض النووى سليماً طوال هذه المدة، مما ساعدهم على استخلاصه وإجراء التجارب عليه، مشيراً إلى أن الكهوف التى توجد فى منطقة شيدر تُعد مكاناً ممتازاً لحفظ الهياكل البشرية لأن الأحجار الجيرية التى توجد فى هذه الكهوف، تساعد فى الحفاظ على سلامة الأملاح المعدنية التى توجد فى العظام وعلى سلامة الحامض النووى كذلك. وقد علق المدرس على هذه القرابة العائلية الغريبة، بأنه رغم الدهشة التى تعتريه، سيعمل على ضم هذا الهيكل لشجرة العائلة.



التطور حقيقة يؤيدها القرآن

أنبتنا الله من الأرض نباتا

قال له صاحبه: جاء فى الذكر الحكيم:

﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾ (نوح: ١٧).

فماذا تعنى تلك الآية الكريمة؟

قال: لكى نحصل على إجابة سليمة لابد لنا أن نعود إلى نشأة الحياة على الأرض، نعود إلى زمن ماض سحيق موغل فى القدم. يقدر العلماء عمر الأرض بحوالى ٤٦٠٠ مليون سنة عندما انفصلت عن الشمس[1]، وقد كانت كتلة منصهرة أخذت تبرد شيئا فشيئا لمدة ألف مليون سنة وكانت الغازات تخرج من باطنها وتفقد فى الفضاء. بعد تلك المدة وعندما برد سطح الأرض تكوّن على سطحها مانسميه بالقشرة الأرضية، بعدئذ كان تسرب الغازات من داخل الأرض يمر بطيئا فتمكنت الأرض من الاحتفاظ بمزيج من تلك الغازات (وكان أغلبها هو بخار الماء وثانى أكسيد الكربون والنيتروجين) وكونت تلك الغازات مانطلق عليه الغلاف الجوى الذى يحيط بالأرض، وعند صعود بخار الماء إلى الطبقات العليا من ذلك الغلاف كان يبرد مكونا سحبا كثيفة محملة بالماء الذى كان ينهمر مطرا غزيرا إلى سطح الأرض وظلت تلك الأمطار تنهمر لمدة ألف عام تكونت خلالها البحار والمحيطات.

(١) ليست الشمس الحالية (خلق السموات والأرض فى ستة أيام للمؤلف)

يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿فاستفتهم أهم أشد خلقاً أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب﴾ (الصافات: ١١).

يقول المفسرون إن الطين اللازب هو الطين المتخمر المنتن من طول مجاورته للماء ويقول رجال العلم أنه بعد أن تكونت البحار كانت الغازات مستمرة فى الخروج من باطن الأرض وكانت تتعرض لعوامل البرق والأشعة الكونية والأشعة فوق البنفسجية فتحولت مياه البحار ومابها من مواد معدنية إلى مواد عضوية سميكة شبهت بالعصيدة أو الحساء السميك وأطلقوا على تلك المواد من الناحية العلمية اسم Protobiont وأرجح أن تلك المادة هى ماذكرها الكتاب المجيد باسم الطين اللازب.

كانت تلك المواد العضوية تتكون من جزيئات عضوية هى حلقات صغيرة من الأحماض النووية من جانب والأحماض الأمينية من جانب آخر، وقد استمرت تلك العملية مدة خمسمائة مليون عام أمكن خلالها لتلك الجزيئات العضوية أن يرتبط جانباها الأمينى والنووى وأن تكاثر نفسها مستخدمة الطاقة الناتجة من التخمر، إذ أن الأكسجين لم يكن قد تكون بعد (ولعل عملية التخمر تؤيد القول بأن الطين اللارب هو طين متخمر) بعد ذلك أمكن لهذا الطين اللازب أن يكاثر نفسه بنفسه وقد كان ذلك هو مبدأ تكوين الخلية البروتوبلازمية التى أودعها الله سبحانه وتعالى سرالحياة ذلك السر الغامض الذى لم يتوصل العلماء إلى كشفه. الذى يحيل مادة ميتة من مكونات معروفة إلى كتلة من الحياة.. وسبحان من يقول:

﴿يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى﴾ (يونس: ٣١).

وكان من نتيجة عمليات التخمر المستمر أن ازداد وجود ثانى أكسيد الكربون وبتوافر وجود ثانى أكسيد الكربون شاءت إرادة الخالق الكريم جلت قدرته أن يبدأ خلق عالم النبات.

بدأت بالكائنات التى تتكون من خلية واحدة تحتوى على مادة يطلق عليها الكلوروفيل. وعن طريق تلك المادة تتمكن تلك الكائنات فى وجود ضوء

الشمس من أن تحيل ثانى أكسيد الكربون الذى تأخذه الخلية من الجو والماء الذى تحصل عليه من الوسط الذى تعيش فيه (البحار) وتكون مايسمى بالكربوهيدرات ويعتبر ذلك التفاعل الكيميائى أهم عملية كيماوية تحدث على سطح الأرض، إذ عن طريقها تتحول المواد البسيطة من ثانى أكسيد الكربون إلى مواد معقدة لازمة لحياة النبات والحيوان. وقد كانت الغالبية العظمى من هذه الكائنات البسيطة هى البكتريا والطحالب، تحصل على ثانى أكسيد الكربون من الجو لتكون الكربوهيدرات وتطلق الأكسجين. كما تحصل على الأملاح الذائبة فى الماء لتكوّن البروتين، وكل من البروتين والكربوهيدرات لازمان لتكوين بروتوبلازم الخلية، وقد استمر تكاثر الطحالب فى مياه البحار لمدة ثلاثة آلاف مليون سنة. وفى أواخر تلك الحقبة أمكن أن يبدأ عالم الحيوان، إذ أن الحيوانات لابد لها من أن تحصل على الأكسجين الذى لاحياة لها بدونه، كما أنها لايمكنها أن تحيل المواد البسيطة إلى مواد معقدة (الكربوهيدرات) بل يجب أن تحصل عليها من النبات. وهكذا ظهرت كائنات حيوانية بسيطة يتكون جسمها أيضا من خلية واحدة تعتمد فى معيشتها على الأكسجين من الجو وعلى الحصول على غذائها من النبات من أمثلتها الأميبا.

قال: هل معنى ذلك أن الخلية الحيوانية قد نشأت من الخلية النباتية؟

أجاب: لقد وجدت أحياء بسيطة يتكون جسمها أيضا من خلية واحدة تحمل بعض صفات النباتات من ناحية وبعض صفات الحيوانات من ناحية أخرى، وهذا يدل على أن كلتا الخليتين قد نشأتا من أصل واحد.

قال: وماهى علاقة كل ماذكرت بأن الإنسان قد أنبته الخالق الكريم من الأرض؟

أجاب: بعد أن نشأت الكائنات الحيوانية التى يتكون جسمها من خلية واحدة ظهر من تلك الكائنات حيوانات عديدة الخلايا بسيطة التكوين مثل الهيدرا والإسفنج والديدان البحرية، وبعد ذلك ظهرت الأسماك النجمية (جسمها لايحتوى على عمود فقارى) ثم ظهرت الفقاريات بدءا بالأسماك وكل هذه الكائنات تعيش فى البحار. بعد ذلك ظهرت البرمائيات التى تعيش متنقلة

بين البحر والبـر، ثم ظهرت الزاحفات ومنها نشأت الطيـور والثدييات، وتلك الأخيرة ظهر فى نهايتها الإنسان.

من ذلك نرى أن الإنسـان يعـود فى منبـتـه إلى ماضٍ سـحـيق بدأت به الكائنات الحية جميعها من خلية واحدة خلقهـا المولى عز وجل فى البحار .. فى الماء.

قال: تريد أن تقول أن الإنـسان أصل منشئه فى الماء، ولكن الحق سـبحانه وتعالى يقول إن الله أنبتنا من الأرض نباتا، ولم يقل من الماء؟

أجاب: يُقسّم العلماء الأرض إلى محيط جوى (السماء) ومحيط مائى هو البحار والمحيطات، ويابسة هى القشرة الأرضية الصلبة. ومعنى ذلك أن البحار والمحـيطات هى جزء من الأرض. فـعندمـا يقول الخـالق الكريم أنه أنبـتنا من الأرض فإن ذلك لايتعارض مع نشأة الحياة فى البحار.

قال: تقول أن جميع الكائنات الحية قـد أنشأها الله ـ سبحانه وتعالى ـ من بعضها البعض، لاشك أن ذلك مايقوله المشتغلون بالعلوم، فهل يوجد دليل من الكتاب المجيد يؤيد ذلك؟

أجاب: يقول الخالق الكريم أنه قد خلق المخلوقـات جميعها من الماء.. إذ جاء بالقرآن الكريم:

﴿وجعلنا من الماء كل شىء حى﴾ (الأنبياء: ٣٠).

﴿والله خلق كل دابة من مـاء فمنهم من يمشى عـلى بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع﴾ (النور: ٤٥).

﴿وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً﴾ (الفرقان: ٥٤).

قال: من الآيات السابقة نرى أن المولى الكريم قـد خلق جميع الأحياء من الماء، ولايعنى ذلك بالضرورة أن تلك الكـائنات قد خلقت من بعضهـا البعض بل يصح أن يكون كل منها قد خلق منفصلا عن الآخر.

أجاب: جاء فى كتاب الله الكريم قوله سبحانه وتعالى:

﴿أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير * قل

سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة إن الله على كل شىء قدير﴾ (العنكبوت: ١٩، ٢٠).

جاء فى معجم القرآن الكريم.. (مجمع اللغة العزبية) إن كلمة الخلق فى الآية الأولى (رقم ١٩) تعنى المخلوقات كما تعنى أيضا عملية الخلق. وأن كلمة الخلق فى الآية الثانية (رقم ٢٠) تعنى المخلوقات (ولاتعنى عملية الخلق).

من تلكما الآيتين يخاطب المولى عز شأنه الإنسان بأنه يرى بعينه كيف تبدأ المخلوقات وتبدأ فى نفس الوقت عملية الخلق، يرى ذلك فى دجاجة تبيض ثم يفقس بيضها ويخرج منه كائن حى جديد، يرى ذلك فى نبات يحمل أزهارا تلقح ذكورها إناثها فتنتج ثمارا تحمل بذورا إذا وضعت فى الأرض أنبتت نباتا جديدا، يرى ذلك فى ذكر من القط أو الكلب أو الحصان يباشر أنثاه فتحمل الأنثى وتضع قططا أو كلابا أو خيلا، كذلك فى الإنسان، تحمل النساء ويضعن مواليد جديدة ذكورا وإناثا.

ويطلب المولى جل جلاله ويحثنا فى الآية الثانية أن نبحث كيف بدأ الله الخلق ويعنى بها المخلوقات. ولو تمعنا فى ذلك القول الكريم نستنتج أن مخلوقات الله جميعا من الأحياء قد بدأت بداية واحدة، إذ أطلق عليها الخالق الكريم جميعاً كلمة الخلق، وأن تلك المخلوقات لابد أن تكون متصلة ببعضها البعض إذ لو انفصل بعضها عن بعض لكانت هناك بدايات متعددة ولكن الله يقول أنها بداية واحدة.

مما تقدم.. يمكننا أن نقول أن الأحياء قد بدأت جميعا بداية واحدة تفرعت فرعين أحدهما النبات والثانى الحيوان وكل فرع منهما قد تفرع بدوره إلى فروع عدة، وتفرعت تلك إلى فريعات. وجاء الإنسان البشر فى مملكة الحيوان خاتما لتلك المخلوقات.

من ذلك نرى كيف يتصل الإنسان بشجرة الحياة التى نبتت من الأرض وصدق أصدق القائلين الذى يقول:

﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾ (نوح: ١٧).

ظاهرة الاحتواء من المجرة إلى الذرة ومن الأناسى إلى الأناس

قال له صاحبه: ماذا تعنى بظاهرة الاحتواء؟

أجاب: معنى ذلك أن كل مافى الوجود يحتوى على ماهو أصغر منه وهو فى نفس الوقت (مع غيره) أحد محتويات شيء أكبر، وهكذا إلى أن نصل إلى الكون كله أعلى وإلى مكونات الذرة أسفل. تلك المكونات التى عرفت من عهد قريب بعد أن كان معتقدا أن الذرة لاتنقسم. وربما يتمكن العلم بعد ذلك من تقسيم كل من محتويات الذرة من إلكترون وبروتون ونيوترون. إنه بنظرة عامة وبغير تفصيل نقول أن الكون يحتوى على ملايين المجرات وكل مجرة تحتوى على ملايين النجوم والنجوم تدور حولها الكواكب، ومن أمثلة النجوم الشمس والشعرى اليمانية ومن أمثلة الكواكب الأرض والمريخ والزهراء وعطارد وغيرها، والأرض تحتوى على اليابسة ومحيط مائى ومحيط هوائى، واليابسة تحتوى على القارات وكل قارة تحتوى من الناحية الطبيعية، صخور ومعادن، وتلكما تحتويان على محتويات أقل فأقل إلى أن نصل إلى الذرة. ومن ناحية أخرى تحتوى القارات على دول وتحتوى كل منها على مقاطعات تنقسم إلى المحافظات إلى المدن إلى وحدات أصغر فأصغر. ولاتقتصر ظاهرة الاحتواء على عالم المادة بل تتعداها إلى عالم الأحياء بل تمتد إلى جوانب الحياة ومظاهرها المختلفة. من أمثلة ذلك نظام التعليم فى كافة أنحاء المعمورة.

يحتوى السكان فى كل بلد على متعلمين وغير متعلمين، المتعلمون يمكن أن يكون منهم من يحمل شهادة أولية ومن لايحمل والأولون منهم من يحمل شهادة الابتدائية ومن لايحمل، ومن يحمل الابتدائية يتدرجون إلى من يحمل شهادة متوسطة ثم ثانوية وهؤلاء إلى شهادة جامعية ويتدرج منهم من يصل إلى تخصصات دقيقة مثل جراح فى القلب أو فى المخ والأعصاب أو مهندس فى الإلكترونيات أو عالم فى الهندسة الوراثية.

وعن طريق ظاهرة الاحتواء يمكن التوصل إلى تحديد علاقة الظواهر المختلفة بعضها ببعض على سبيل المثال علاقة طبيب الأسنان بالطبيب البيطرى من ناحية التعليم، نقول أن كليهما من الأطباء أحدهما تخصص فى طب الحيوان والآخر تخصص فى طب الإنسان، بأحد فروع الإنسان، وإذا تدرجنا للخلف فكلاهما حاصل على الثانوية العامة قسم علمى، وعلى الشهادة الإعدادية وقبلها الشهادة الابتدائية ويقرأ ويكتب.

وإذا سئلت ماعلاقة المحامى بحاجب المحكمة يكون الجواب كلاهما يقرأ ويكتب ويحمل شهادة الابتدائية وشهادة متوسطة (المحامى استكمل خطوات أخرى).

وتستلزم ظاهرة الاحتواء أو أنها تعنى التدرج من الأوسع إلى الواسع إلى الأقل سعة إلى المتوسط إلى الدقيق إلى الأدق وهكذا فإنها تتدرج من الأعم إلى الأخص. وكلما تقدم المرء فى المعرفة فى فرع معين ازداد فى التخصص، وبالمثل كلما ازدادت الظاهرة ضيقا ازدادت دقة، ويعنى ذلك أيضا أن كل مستوى يحتوى مستويات أقل وكل من هذه تحتوى على مستويات أقل وهكذا.

قال له صاحبه: وماذا عن عالم الأحياء؟

أجاب: فى سنة ١٧٥٨ قام العالم السويدى «لينيس» Linnaeus بابتداع نظام فى تصنيف الكائنات الحية بدراسة صفاتها وترتيب تلك الصفات إلى مراتب من الأعم إلى الأخص[1]، واعتبر ذلك التاريخ ميلادا لعلم أطلق عليه

(١) الأحياء مملكتان النبات والحيوان، تحتوى كل مملكة على جملة قبائل وكل قبيلة تتبعها عدة صفوف وكل صف به عدة رتب وكل رتبة تحتوى على جملة عائلات وكل عائلة عدة أجناس وكل جنس عدة أنواع.

علم التصنيف Classification. كما اقترح لينيس أن يكون للكائن الحى نباتا كان أم حيوانا اسم علمى يعرف به فى جـميع أنحاء العالـم، يتكون ذلك الاسم من لفظين أولهما اسم الجنس وثانيهمـا اسم النوع، ويحتوى الجنس عادة على أكثر من نوع. . على سبيل المثال الذبابة المنزلية اسمها Musca domestica والبعوضة المصرية اسمها Culex pipiens ونحلة العسل اسمها Apis mellifera والصرصور الأمريكى Periplaneta americana، ولكى نوضح عـلاقـات تلك الحشـرات بعضها ببعض، نقول أن الذبابة المنزلية اسم نوعها domesticaوهى تتبع الجنس Musca وهى تختلف عن أنواع أخرى من الذباب فى صفـات معينة ولكنها من جهة أخرى تشترك مع تلك الأنواع فى صفات أخـرى تضعها جميعا فى الجنس Musca. وتوجد أجـناس أخرى غيـر الجنس Musca تشتـرك معا فى صـفات تضعها جمـيعا فى العائلة Muscidae أما علاقـة الذبابة المنزلية بالبعـوضة، فإن الأخيرة لاتتبع نفس النوع ولانفس الجنس ولانفس العائلة، ولكنها تشترك معها فى قرابة أعم من ذلك يطلق عليها الرتبة Order فكلتاهما تقعان فى رتبة واحدة يطلق عليـها ذات الجناحين Diptera هذه الرتبة تشمل الحـشرات التى اضمحل فيـها الزوج الخلفى للأجنحـة فتـحورا إلى دبوسين صـغيرين يسـميـان دبوسا التوازن.

كما توجد أنواع أخـرى من البعوض لاتتبع الجنس Culex وأجناس أخرى غير الجنس Culex ولكنها تتـشابه فى خواص معـينة تجمعها فى عـائلة واحدة تسمى عائـلة البعوض Culicidae. من ذلك نرى أن عـــائلة الذباب وعـــائلة البعوض بأجنـاسهما وأنواعهـما تقعان فى رتبة واحـدة هى ذات الجناحين، أما نحلة العسل فـتختلف عن جميع الحـشرات التى ذكرت فهى لاتقع مـعها فى النوع ولا الجنس ولاالعائلة ولاالرتبـة إذ أن لها زوجين من الأجنحة، غـشائيين يضعـانها فى رتبة تسـمى غشائيـة الأجنحة Hymenoptera. غير أنهـا تشارك الكائنات التى ذكرت فى صفـات معينة تجمعها فى مـرتبة أعلى تسمى الصف، تلك الصفات نجـملها فى أن جميع مابهـا من أفراد لها ثلاثة أزواج من الأرجل (ستة أرجل) ولذلك سميت "Hexapoda" .Hexa = ست، Poda = (أرجل) ولها أجنحة وجسمها ينقسم إلى رأس وصدر وبطن، ذلك هو صف الحشرات.

والصرصور يختلف عن الحشرات التى ذكرت فى النوع والجنس والعائلة والرتبة التى يتبعها والتى تسمى مستقيمة الأجنحة Orthoptera تختلف تلك الرتبة عن غيرها من رتب الحشرات ولكنها تشترك معها فى صف واحد هو الحشرات.

قال صاحبه: وماذا عن العنكبوت الذى يصادفنا كثيرا فى بعض المنازل وكذا فى الحدائق؟

أجاب: يختلف العنكبوت عن الحشرات وهو ليس منها، إذ له أربعة أزواج من الأرجل وليس له أجنحة، وجسمه مقسم إلى قسمين فقط رأس صدرى وبطن. غير أنه يشترك مع الحشرات فى صفات تضعه مع جميع أنواع الحشرات فى مرتبة أعلى تسمى قبيلة Phylum إن جميع الأرجل فى أفراد الأنواع المختلفة للعنكبوت علاوة على أفراد الأنواع المختلفة للحشرات هى أرجل مفصلية Jointed legs ولذلك سميت القبيلة مفصلية الأرجل Arthropoda. مما تقدم نستخلص أن القبيلة لها صفات تشترك فيها ثم تنقسم أفرادها إلى مرتبة أقل درجة تسمى الصف وكل صف فيها يشترك أفراده فى صفات أكثر تخصصا ثم ينقسم كل صف إلى مراتب أقل درجة هى الرتبة وكل رتبة إلى عائلات وكل عائلة إلى أجناس إلى أن نصل إلى الكائن نفسه إلى النوع ذبابة أو بعوضة أو صرصارا أو دودة تتغذى على أوراق النبات كدودة القطن أو حشرة تغزل خيوطا حريرية كدودة الحرير أو عنكبوتا ينسج خيوطا عنكبوتية كأنواع العنكبوت. ويجدر بالذكر أن عدد أنواع الحشرات التى أمكن معرفتها ووصفها وتحديد موقعها وقرابتها بعضها للبعض قد بلغ مايقرب من مليون نوع أما عدد العناكب فيقترب من خمسة وعشرين ألف نوع.

قال صاحبه: وما علاقة الحشرات والعناكب بغيرها من الكائنات؟

أجاب: إن تلك العلاقة لاتقتصر على قرابة أنواع كل منها بغيره من أنواع الحيوان بل أيضا بالنبات.

يشترك النبات والحيوان فى أن كليهما من الأحياء، وتتميز الأحياء بأن أجسامها تتكون من مادة حية تسمى البروتوبلازم لها صفات معينة من الحس والحركة والتغذية والتكاثر وغيرها مما يميزها عن قطعة من حجر أو حفنة من تراب أو ناطحة سحاب أو طائرة تحلق فى السماء أو صاروخ يصل إلى القمر.

ويترتب البـروتوبلازم فى وحدات تسمى كل مـنها الخلية، وكلتـا الخليتين الحيوانية والنباتيـة كما ذكرنا تتصفان بالحياة، غيـر أن الخلية النباتية تختلف عن الخلية الحيوانية فى صفات أخرى تختص بها كل منهما . . على سبيل المثال أن الخلية النباتيـة لها جدار من مواد غيـر حية بخلاف الخلية الحيـوانية ذات الجدار الحى، ومنها أن الخلية النبـاتية يمكنها أن تكون مواد معـقدة هى الكربوهيدرات من مـواد بسيطة هى ثانى أكسيـد الكربون والماء لايمكن للخليـة الحيوانـية أن تنجزها.

من هنا قـسّم عالم الأحيـاء إلى مملكتين Kingdoms مملكة الحيوان ومملكة النبات، ومن هنا يمكننا الاستدلال عن علاقة الحـشرة بالنبات. إنها علاقة قديمة جدا تعود إلى بداية العالم الحى.

أما علاقة الحشرة بغيرها من الحيوان. . فنقول:

عندما بدأ ظهور الخليـة الحيوانية ظهرت أولا حيوانات يتكون جـسمها من خلية واحدة مثل الأميبا، ثم ظهرت حيوانات عديدة الخلايا من أمثلتها الإسفنج والديدان البحرية والأسماك النجمية، ثم تكونت حيوانات داخل أجسامها عمود فقـارى بدأت بالأسماك تعيش فـى البحار وبعدها انتـقلت الأحياء إلى اليـابسة فظهـرت البرمـائيات مثـل الضفادع ومـن البرمـائيات ظهـرت الزاحفات مـثل الديناصور والثعابين والسلحفاة، ومن الزاحفات ظهرت الطيور طائرة فى السماء والثدييات التى لاتضع بيضـا بل تحتفظ بأجنتها داخل أجسامـها وتغذيها إلى أن تكتـمـل فتلـدها أحيـاء ترعـاها إلى أن تشب عن الطوق بإرضـاعهـا لبنا من أثدائهـا. وقـد ظهرت الحـشرات عند بدء ظهـور الزاحفات منـذ حوالى ٢٥٠ مليون سـنة. فـإذا أردنـا معـرفة عـلاقة برغوث الكلب بالكلب الذى يتـغذى عليه على سبيل المثال نقول أن كـلا من الكلب والبرغوث من مملكة الحيوان إلا أن البرغـوث ينتمى إلى قبـيلة مفصليـة الأرجل بينما ينتمى الكلب إلى قـبيلة الحبليات Chordata وهى حـيوانات تمتلك حـبلا شـوكـيا يمتـد داخل سلسلة فقارية.

وتحتوى المملكة الحيوانية على عدد من القبائل قدرها عشر كما تحتوى قبيلة

الحبليات على عدد من الصفوف قدرها خمسة هى الأسماك والبرمائيات والزاحفات والطيور والثدييات، وتحتوى الثدييات على ثلاث عشرة رتبة. . وإذا رجعنا إلى تصنيف الكائنات الحية نجد أن كثيراً من مجاميعها يحتوى على أنواع كثيرة جدا. . وتكون العلاقة أكثر تنوعا مما دعا إلى تقسيمها إلى عدد أكبر من المراتب مثل تحت العائلة Subfamily بين العائلة والجنس، وفوق العائلة Super-family بين الرتبة والعائلة وتحت الرتبة Sub-order بين الرتبة وفوق العائلة.

ويجب أن ننوه بأن هذا التقسيم وضعى قد اتفق عليه العلماء، وقد يختلف فى بعض النقاط فى بعض المجاميع. إنه تقسيم قد ابتدعه رجال العلم كى يمكنهم من التعرف على تبعية الأنواع لمجموعات تتشابه مع بعضها فى صفات معينة كما تتشابه مع بعض فى اختلافها عن مجموعات أخرى. لقد أمكن بذلك التعرف كما أمكن ترتيب مايقرب من مليونى نوع من الحيوان خلقها المولى سبحانه وتعالى جميعها من منبت واحد بقدرة تفوق الخيال. كائنات تختلف عن بعضها البعض ولكنها أيضا تتفق مع بعضها البعض وفى ذلك يقول سبحانه وتعالى:

﴿والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع﴾ (النور: ٤٥).

﴿إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له﴾ (الحج: ٧٣).

إن قوله الكريم أنه خلق كل دابة من ماء دلالة واضحة على قرابة تلك الدواب بعضها لبعض إذ تنتمى إلى أصل واحد خلقت منه جميعا. إنها تشترك جميعها مهما تنوعت فى وحدة المنبت.

ويعتبر العلماء أن النوع يمثل الوحدة الدنيا فى الكائنات التى تتشابه مع بعضها فى صفاتها الخارجية وصفاتها التشريحية الداخلية. وهو المظهر الذى يمكننا أن نراه جميعا رأى العين على اختلاف مداركنا واختلاف مواقعنا على الخريطة، إنه الكلب والحصان والذبابة والسلحفاة والنسر والخنفساء، كما أنه فى النبات القطن والقمح والبرتقال والموز والخرشوف والخس.

قال له صاحبه: تقول إن الأنواع تتشابه أفرادها فالقط هو القط والكلب هو الكلب، ولكن ألا تختلف القطط مع بعضها ألا يوجد فيها الأبيض والأسود والسيامى والرومى وغيرها، وكذلك الكلب. لقد شاهدت فى إحدى رحلاتى إلى الخارج أشكالا من الكلاب تفوق الوصف منها ما يشبه الأسد ومنها مايشبه الخنزير وآخر يشبه الماعز وغيره يزحف على الأرض كأنه سلحفاة فهل كل منها يتبع نفس النوع؟

أجاب: إن ماتقوله صحيح.. فإن أفراد النوع الواحد لاتتطابق ولكنها تختلف داخل النوع ويطلق على هذا الاختلاف علميا لفظ Variation وربما كانت كلمة التشكل مؤدية إلى هذا المعنى. لايوجد فردان متشابهان تماما فى أى كائن إلا فى حالة مايسمى بالتوائم المتطابقة التى نشأت من بويضة واحدة من الأنثى أخصبت بحيوان منوى من الذكر. إن النوع وحدة بيولوجية قد عرفه رجال العلم بأنه مجموعة من الأحياء تتناسل ذكورها مع إناثها فينتجون نسلا مستمرا جيلا بعد جيل، فإذا لم يستمر النسل بين ذرياتها فلا تعتبر نوعا واحداً. وأشهر مثل لذلك الحصان والحمار، يمكن أن يخصب ذكر الحمار أنثى الحصان أو العكس غير أن كل حالة تنتج بغلا وهذا البغل عقيم إذ لايتسنى لبغل أو بغلة أن ينتجا بغلا.

كما يجب أن نذكر أنه فى بعض الأنواع يمكن أن ينقسم أفرادها إلى مجموعات محددة تتشابه كل مجموعة فى صفات معينة- إن تلك المجموعات مادامت أنها تتناسل مع بعضها رغم اختلاف أشكالها فهى جميعها نوع واحد، ويمكن اعتبار كل منها تحت نوع Sub-species إن النوع كما ذكرنا هو الوحدة الدنيا فى عالم الأحياء ومادونه يعتبر شكلا أو تشكلا أو سلالة أو صنفا أو تحت نوع.

قال صاحبه: وماذا عن الإنسان هل ينطبق عليه ماذكرت؟ هل الإنسان واحد من مملكة الحيوان؟!

أجاب: إن الإجابة عن هذا السؤال هى موضوع هذا الباب. علينا أن نبحث أولا هل جاء بالقرآن الكريم مايشير إلى وضع الإنسان ضمن مملكة

الحيـوان؟ . . نقول نعم . . لقـد جاء بكتـاب الله الكريم اللفظ «دابة» وهو كل مـايدب على الأرض وهو بلغة العـلم عالم الحـيوان، ولاشك فى أن الإنســان يدب على الأرض شأنه شأن باقى مايدبون ـ الدواب.

ولتأكيد ذلك. . إليك الآيات التالية:

﴿ومـا من دابة فى الأرض ولا طـائر يطيـر بجناحـيــه إلا أمم أمـثـالكم﴾ (الأنعام: ٣٨).

﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون﴾ (الأنفال: ٢٢).

﴿وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها﴾ (هود: ٦).

﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك عليها من دابة﴾ (النحل: ٦١).

﴿والله خلق كل دابة من مـاء فمنهم من يمشى عـلى بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع﴾ (النور: ٤٥).

﴿ولو يؤاخـذ الله الناس بما كسـبـوا ماترك على ظهـرها من دابة﴾ (فاطر: ٤٥).

من الآيات السابقة نرى أن الإنســان أممٌ شأنه فى ذلك شأن باقى الأمم من الدواب وعلى الله رزقه شأنه فى ذلك أيضا شأنها.

إن الإنســان واحد من الدواب يمشــى على رجلين كغـيـره ممن يمشى على رجلين. وأشَرُّ هذه الدواب الإنســان الأصم الأعمى الذى لايعـقل، الذى يرى بعينين ويسمـع بأذنين ويلمس بعقله وجميع جوارحـه نعَم الخالق وآياته فى كل ماخلق ومع ذلك لايؤمن بوحدانيتـه ويكفر بأنعمه. وبَدَهى أن الله لايطلب من الدواب غير الإنسان أن تعقل.

. . هذا هو وضع الإنسان فى كتاب الله الكريم واحد من الدواب. . فهل وضعه علماء التصنيف ضمن مملكة الحيوان؟ . . وأين موقعه؟!

قال: قبل أن نجيب عن هذا السـؤال علينا أن نذكر أن نظام التصنيف يتيح لرجال العلم ليس فقط معرفة موضع الأحياء التى تعيش حاليا من الحيوانات أو

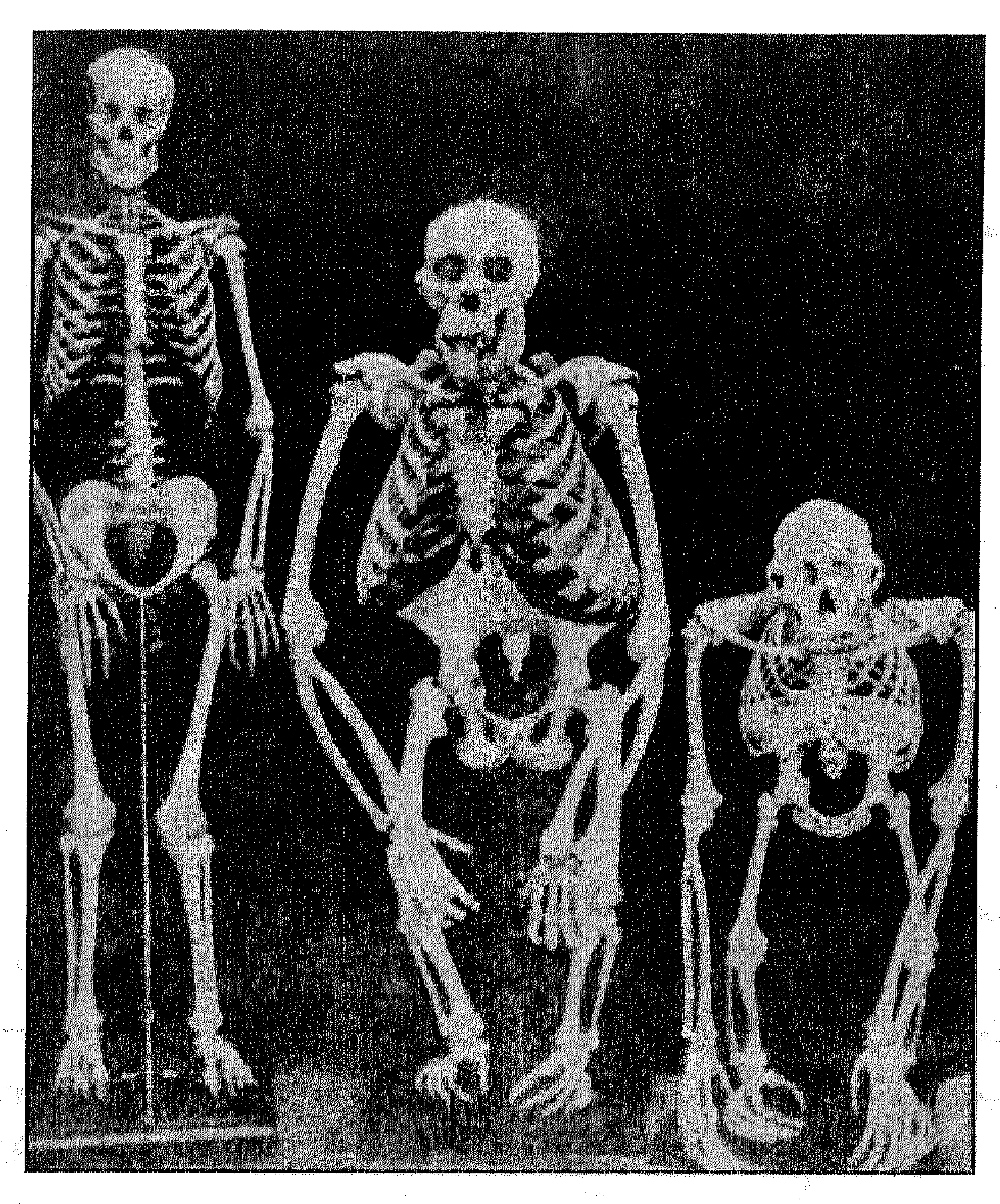
النبــاتات بل أيضا التى انقـرضت وأمكن العثـور على حـفائرها متحـجرة أو محــفوظة فى الجليـد أو فى مواد أخـرى ساعدت علـى حفظها مـثل القطران والعنبر والكهرمــان ومثل الحفريات التى حفظـت تحت رماد البراكين التى ثارت ودفنت تحت رمادها مُدُناً بأسرها وبأحيائها كمـا حدث فى مدينة بومبيه بإيطاليا إثر ثورة بركان فيزوف.

أما موقع الإنسان فى عالم الحيوان.. فقد سبق أن ذكرنا أن قبيلة الحبليات تحتوى على خمسة صفـوف أحدها صف الثدييات وأن هذا الصف يحتوى على ثلاث عشرة رتـبة، إحداها رتبة الرئيـسيات Primates ويقع الإنســان فى هذه الرتبة. تمتـاز تلك الرتبة بأن أفراد أنواعهـا تمتلك يدا من خمسة أصـابع أحدها الإبهام يتحـرك عموديا على باقى الأصابع وبذلك تتمـكن اليد من القبض على الأشياء، كما يمتلك أفراد تلك الرتبة جمـجمة لها وجه أقرب أن يكون عموديا وبه مخ أكبر من باقى الثدييات، كما تمتلك أعيناً فى وضع أمامى ترى فى ثلاثة أبعاد (الطول والعـرض والعمق) علاوة عـلى ذلك فإن رغبـاتها الجنسيـة دائمة طول العام بخلاف باقى الثدييات التى تقتصر رغباتها فى موسم معين.

ويتبع هذه الرتبة أيضا القردة الشجرية والليمـور والنرسيس وجميعها تحمل ذيولا وهى تمشى على أربع منكبة على وجهها لتساوى ذراعـيها مع رجليها كما يتبع رتبة الرئيـسيات القردة العليا وتشمل الجـيبون والأورانج أوتان (الذى يطلق عليه إنـسان الغابة) والغـوريلا والشمـبانزى ويعـيش الأولان فى آسيـا ويعيش الأخيران فى أفريقيا.

وجمـيـع أنـواع القـردة العليا لاتحمـل ذيولا وعندما تسـير على أطرافـها الأربعة لاتسيـر منكبة على وجهها بـل بقامة مرتفعـة لزيادة أطوال أذرعها عن أرجلها زيادة كبيرة (شـكل ١). كما يمكنها أن تسير على قدميـها فقط لفترات محـدودة (بعكس القردة السابقـة) بل إن الغوريلا والشمـبانزى يقضيـان أوقاتاً طويلة بالنهار على الأرض ويصعدان أثناء الليل إلى عشوشهما التى يبنونها على الأشجار.

ولايمكن لتلك القردة أن تمشى طويلا على قدميـها لأن هاتين القدمين لهما



هياكل عظمية لإنسان (إلى اليسار)، وغوريلا، وشمبانزى (إلى اليمين). لاحظ الفروق فى الجمجمة، والحوض، ونسب الأطراف، والأيدى، والقدمين..

بتصريح من: C.G.M. General Biological, Inc. Chicago.

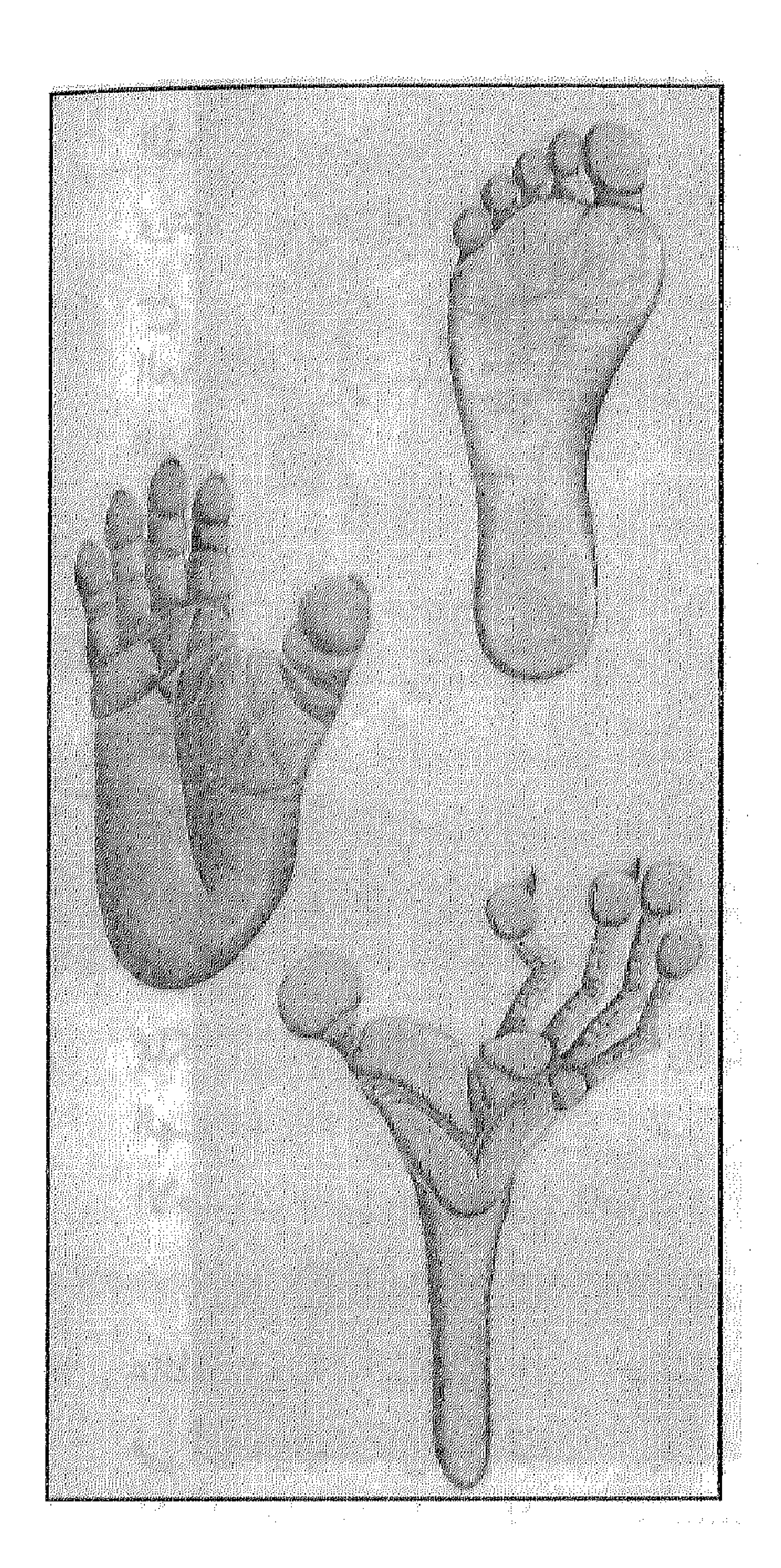
شكل رقم (١) عن كتاب الأنثروبولوجيا العامة، رالف ل. بيلز. هارى هويجر ـ ترجمة الدكتور محمد الجوهرى، الدكتور السيد محمد الحسينى.

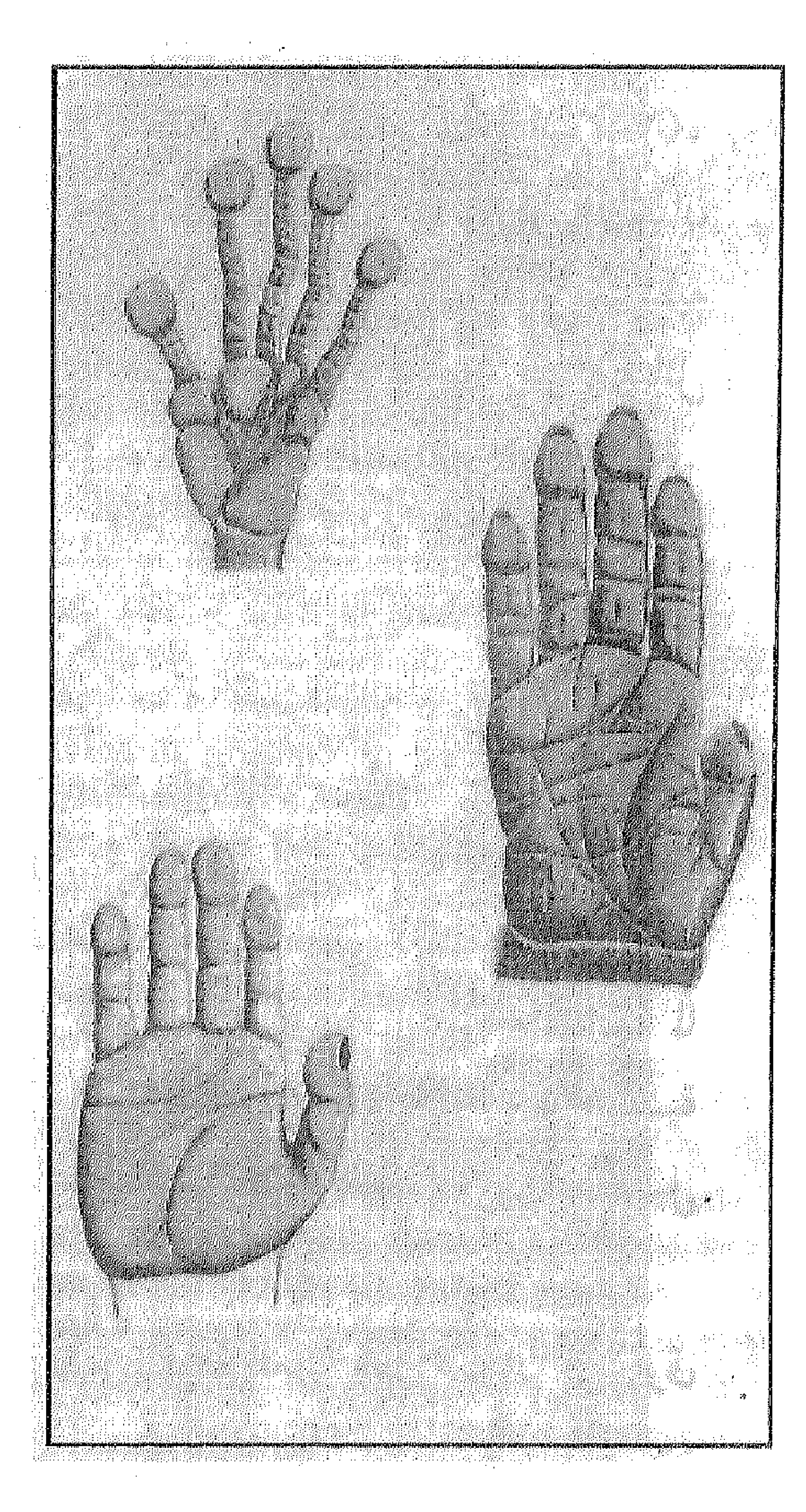
أصابع قابضة مثل الأيدى تستعملها أيضا فى التعلق بالأشجار (بعكس الإنسان الذى تتلاصق أصابع قدميه اللتين تستعملان فقط فى المشى (شكل رقم ٢)، ويتشابه التركيب الهيكلى العظمى فى القردة العليا لحد كبير بنظيره فى الإنسان مع اختلاف نسب أطوال تلك العظام لبعضها (شكل رقم ٣)، كما تتشابه العضلات مع تلك التى يمتلكها البشر وكذا فصائل الدم إذ يوجد بها فصائل الدم A, B, O وتتشابه الأسنان أيضا فيما عدا الأنياب الطويلة فى القردة. والعمود الفقارى فى القردة ذو قوس واحد، أما فى الإنسان فذو قوسين على شكل حرف S ولذلك يتصل ذلك العمود مع الجمجمة فى وسط قاعدتها تماما فى موضع يسمى بالثقب المؤخرى، أما فى حالة القردة العليا فإن الاتصال يكون عند مؤخرة الجمجمة. ومخ تلك القردة يبلغ حوالى ثلث حجم المخ فى الإنسان ولذلك يمكن لتلك القردة أن تقوم بشىء من التفكير والتعلم بحيث لاتتعدى طفلا فى الرابعة من عمره ولايمكنها أن تتخطى ذلك بسبب عدم قدرتها على الكلام على الرغم من أنها تمتلك جميع أعضاء النطق مشابهة لما يملكه الإنسان فهى تمتلك الفم والشفتين واللسان والأسنان والحنجرة والقصبة الهوائية والأحبال الصوتية غير أن ماتمتلك من المخ لايمكنها من أن تحيل الأصوات التى تحدثها إلى كلمات.

لكل هذه الأسباب قام رجال العلم بوضع القردة العليا مع الإنسان فى فوق عائلة واحدة وأطلقوا عليها (ملحق رقم ٢) Hominoidea ولكن لايشترك معه فى أى مرتبة أقل من ذلك.. إذ توجد فجوة واسعة بين تلك الكائنات وبين الإنسان مما دعا علماء الإنسانيات Anthropology والحفريات Paleontology إلى القول بضرورة البحث والتنقيب للتوصل إلى الخط الذى سلكه الإنسان إلى أن صار بشرا سويا.

من هم أجداده وماذا كانت صفاتهم؟

فى سنة ١٩٢٤ عثر أحد العلماء على حفرية فى جنوب أفريقيا اعتبرها مكتشفها لكائن يمشى على قدمين إذ تشبه أسنانه أسنان الإنسان الحالى، أى أنها متساوية ليست طويلة الأنياب مثل القردة العليا غير أن تجويف المخ فى الجمجمة

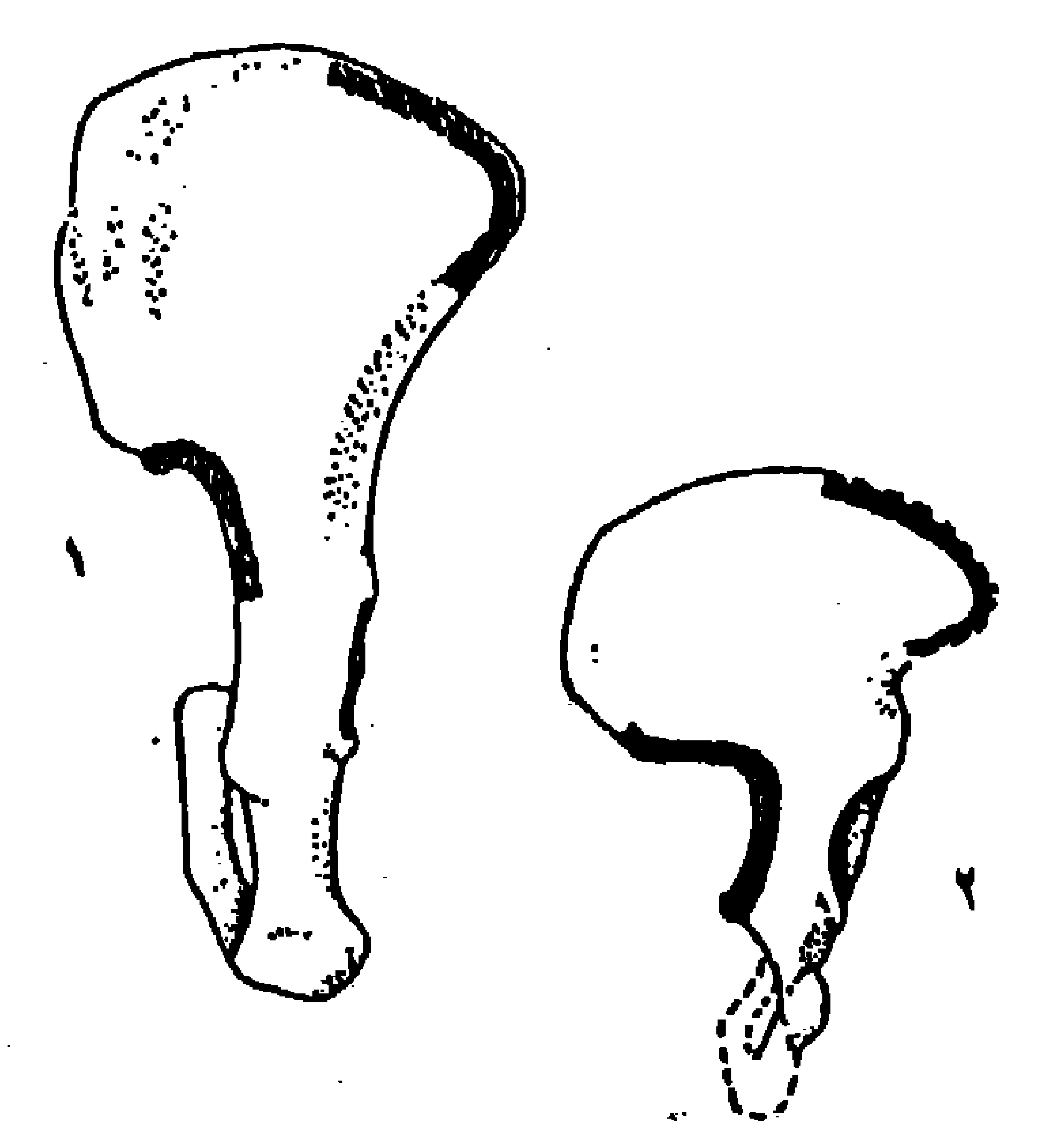




شكل رقم (٢): اليد (إلى اليمين) والقدم (إلى اليسار) في القرد الشجري (تارسيس) والشمبانزي والإنسان..

عن كتاب: **Anthropology: The study of man (1966)**

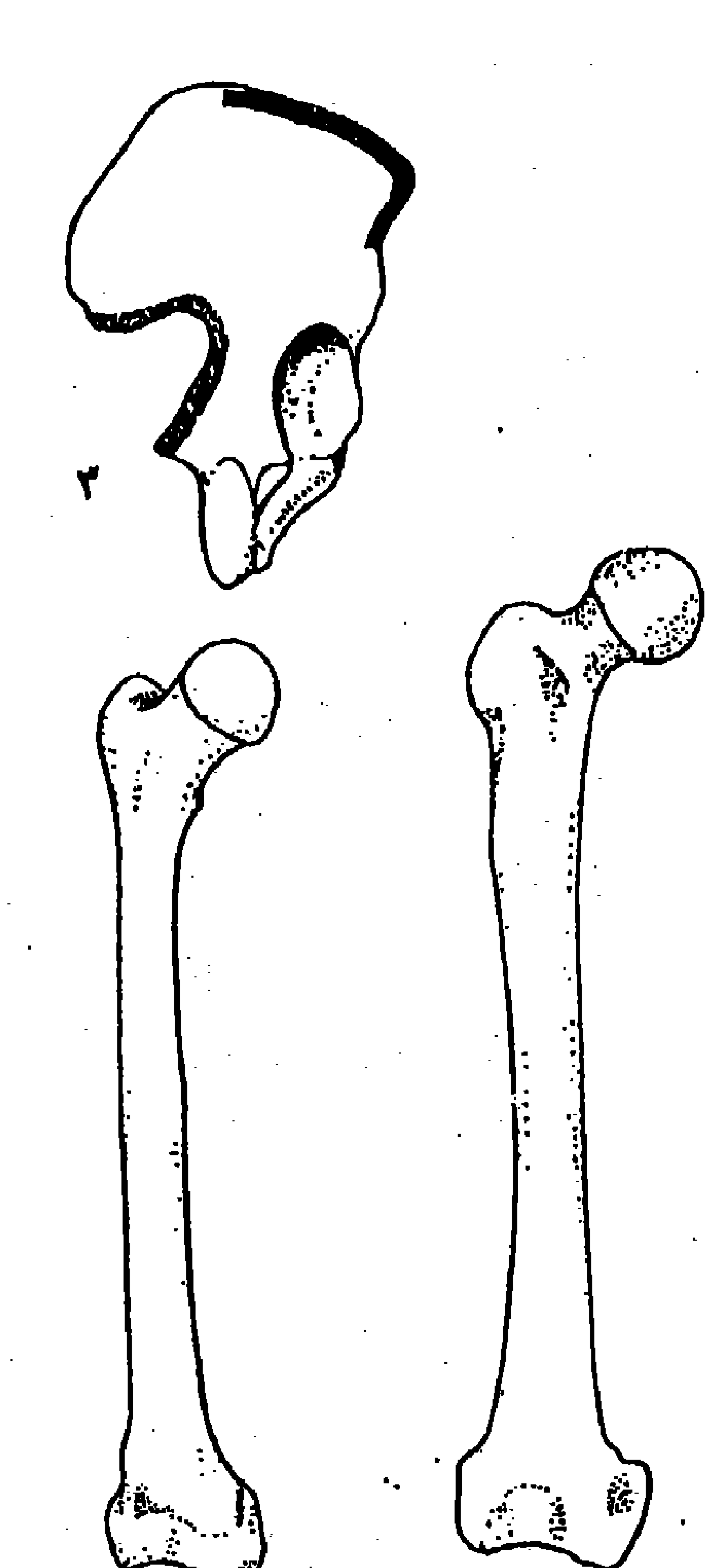
E. Adamson Hoebel, Third Edition.

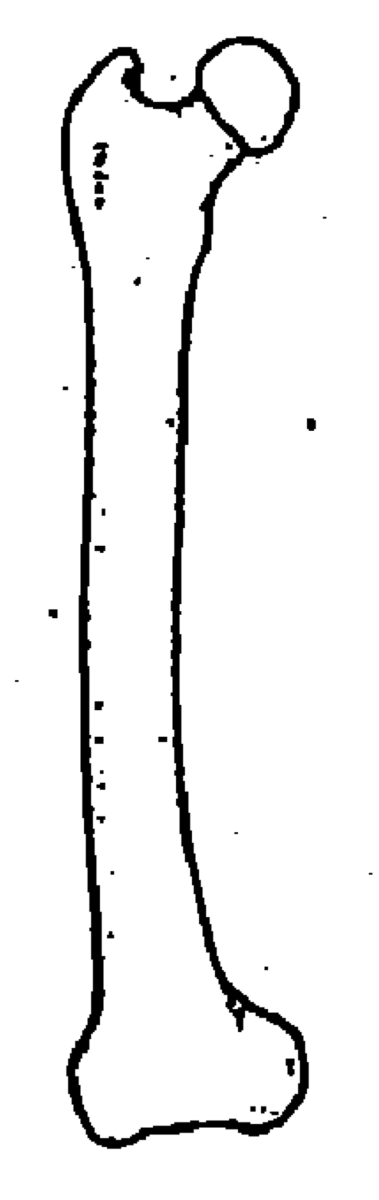


عظمة الحوض: ١ ـ فى الشمبانزى.

٢ ـ فى الإنسان القرد.

٣ ـ فى البشر.





عظمة الفخذ: ١ ـ فى البشر.

٢ ـ فى الإنسان معتدل القامة.

٣ ـ فى الشمبانزى.

شكل (٣)

يبلغ ٥٢٠ سم^{٣} وهو حجم مخ الغوريلا (متوسط حجم المخ فى الإنسان ١٤٢٥ سم^{٣}) لذلك لم تعتبر تلك الحفرية «إنسانا» وسميت الإنسان القرد Australo-pithecus africanus (ملحق رقم ٣)، ونظرا لأن ذلك الكائن كان يمشى معتدلا على قدميه بخلاف القردة العليا فقد اعتبر من نفس عائلة الإنسان (Hominidae) التى تتبع فوق العائلة (Hominoidea) التى تشمل الغوريلا والشمبانزى (عائلة Hongidae) والجيبون والأورانج أوتان (عائلة Hylotidae) وبذلك يعتبر أن هذا الكائن أحد أبناء العمومة للقردة العليا ولذلك يسمى أحيانا بالإنسان القرد[١]. لم يعتبر إنسانا لاختلافه عن الإنسان فى شكل وجهه القردى وفى زيادة طول الذراعين عن طول رجليه وأهم من ذلك حجم المخ الذى لم يؤهله أن يصنع أدوات بسيطة أو يشعل نارا (شكل رقم ٣، ٤) وكان عمر تلك الحفريات ٤ ملايين من السنين تقريباً.

فى سنة ١٨٩١ اكتشف أحد العلماء بالقرب من نهر سولو فى جاوه حفرية لكائن يمشى على قدمين حجم مخه حوالى ٨٢٥ سم^{٣} وقد اعتبر هذا الكائن إنسانا، ثم عثر بعد ذلك على حفريات مماثلة فى بكين عاصمة الصين يتراوح حجم فراغ الجمجمة بها بين ٨٥٠ سم^{٣}، ١٣٠٠ سم^{٣} (ملحق رقم ٣)، كما عثر بعد ذلك على حفريات مماثلة فى هيدلبورج فى ألمانيا وعلى أخرى فى الجزائر. قد تمكنت تلك الكائنات من صنع أدوات بسيطة إذ وجد مصاحبا لها أدوات صنعت من حجر الكوارتز والعظام كما أمكنها أيضا استخدام النار إذ وجدت مواقد كثيرة بها عظام حيوانية محروقة.. وقد أعطى العلماء لتلك الحفريات اسما هو Homo Erectus أى الإنسان معتدل القامة أو إنسان جاوة أو إنسان بكين. ويقدر أن ذلك الإنسان وجد على الأرض منذ خمسمائة ألف سنة.

من ذلك نرى أن تلك الكائنات لم توضع مع الإنسان الحالى فى نفس النوع بل وضعت معه فى نفس الجنس Homo (الإنسان).

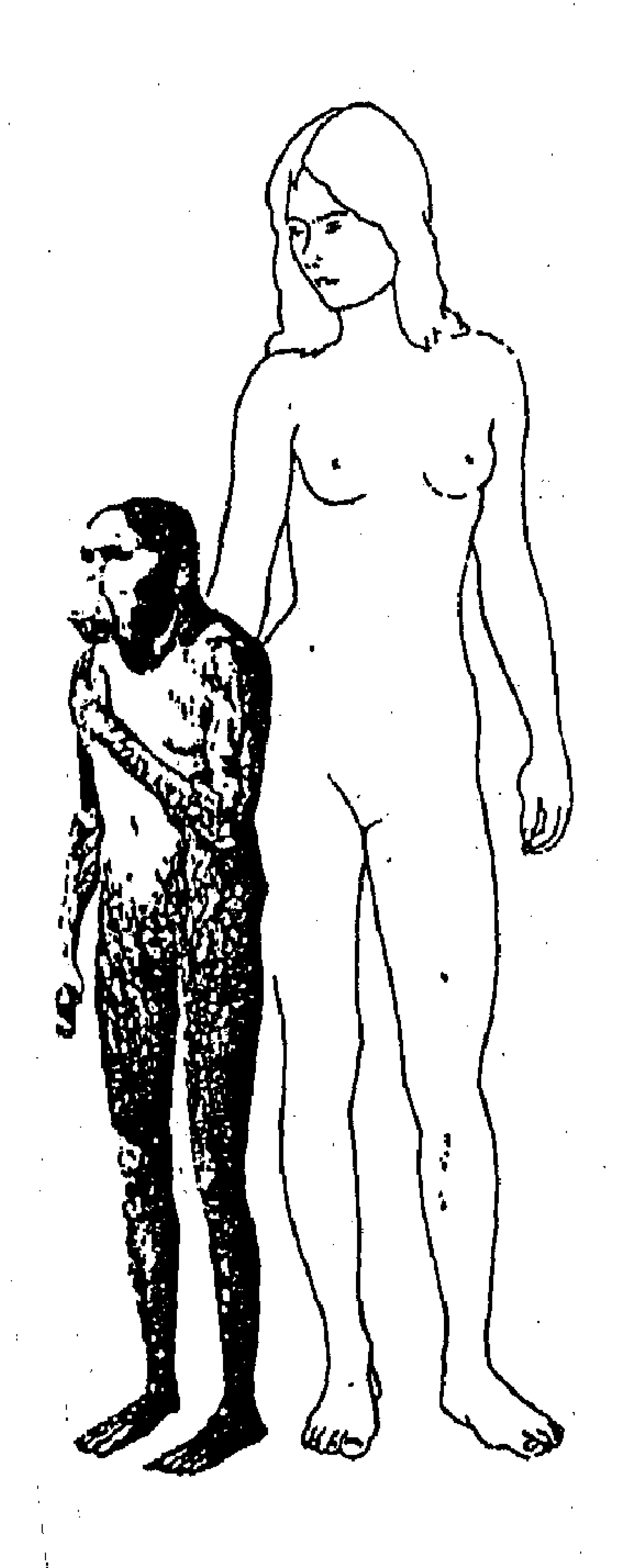
فى سنة ١٨٥٦ عثر فى وادى نياندر (ملحق رقم ٣) بالقرب من دسلدورف

---

(١) وقد تأيد رأى هذا العالم بحفريات اكتشفت عام ١٩٧٤ فى الحبشة أطلق عليها اسم لوسى وبعد ذلك فى أماكن أخرى.



شكل (٤): أول حفرية عثر عليها للإنسان القرد في جنوب أفريقيا في سنة ١٩٢٤.



شكل (٥): أنثى للقرد الجنوب أفريقى

كما يتخيلها العلماء بعد العثور على أجزاء كثيرة من عظامها فى الحبشة فى سنة ١٩٧٤.

بألمانيا على جزء من جمـجمة لم يتأكد من تعريفها إلا بعـد ثلاثين عاما عندما عثر فى بلجيكا على هيكلين عظميين كاملين ينتميان إلى نفس الحفرية السابقة، كان حجم المخ لذلك الإنسان ١٦٠٠ سم٣ فى بعض الحفريات وقد وجدت منه بعد ذلك حفـريات شبيهـة فى فرنسا فى حين أن مخ الإنسان الحـالى متوسطه ١٤٢٥ سم٣، كان ذلك إنسـانا قصيـر القامة يبلغ طوله حـوالى خمسـة أقدام وبوصة واحـدة قوى البنية ذا رقـبة قويـة العضلات واسع الصـدر، له ذراعان وساقان قويتان وقدماه شديدتا الشبه بإنسان اليـوم وكانت جمجمته كبيرة وثقيلة ذات عظام قوية بارزة فوق الحاجبين وكان فكاه سمـيكين وذقنه منحسرة وجبهته منخفضة وقد عثر على حفريات مماثلـة فى شمال روديسيا بأفريقيا ثم فى جاوة وفى فلسطين. لقد أطلق على هذا الإنسان اسم نياندرتال.

هل كان إنسانا مماثلا لإنسان اليوم؟

لقد عثـر معه على أدوات دقيقة الصنع وقطع من الأوعـية والعاج ورءوس سهام مصنوعة من العظام، كما أنه قد عرف دفن الموتى. لقد سمى Homo sa- piens neandertalenses أى إنسان نياندرتال العاقل وقد عاش هذا الإنسان منذ مائة وخمسة وسبعين ألف سنة.

فى سنة ١٨٦٨ عـــثــر فى جنوب غـــرب فـرنســا ثم بعــد ذلك فى تشيكوسلوفاكيا وإنجلترا وألمانيا وإيطاليا على حفريات تشبه الإنسان الحالى ويبلغ طوله ستة أقدام وبعضها يزيد، وكانت الجمـجمة ذات ذقن محددة وجبهة عالية (بخلاف إنســان نياندرتال). كـما كانت عظام الحـاجبين بارزة والعظام أصـغر حجـما وجـدار الجمجـمة أقل سـمكا وعظام اليدين أطول وأرشـق من إنسان نياندرتال. لقد أطلق على هذا الإنسان اسم الكروماجنون نسبة الى المكان الذى وجد به أولا فى فرنسا.

وأطلق عليـه اسم Homo sapiens sapiens أى الانسان العـاقل أو كامل العقل وهو الإنسان الحالى، ويقَدّر عمر الحـفريات التى وجدت منه بين خمسين وثلاثين ألف سنة. من ذلك نرى أن صف الشـدييات يحتوى على رتبـة تسمى الرئيسيـات، وتحتوى هذه الرتبة فـوق عائلة تسمى Hominoidea وتلك تحتوى

على ثلاث عـائلات: عائلة الشـمبـانزى والغوريلا وعـائلة الجيـبون والأورانج أوتان، وعائلة تحتوى الإنسان (الـناس) وتلك العائلة تحتوى على جنسين جنس الإنسان Homo وجنس شبيـه بالإنسان ولكنه لم يصل إلى مرتبـة الإنسان بعد Australopithecus ويحتوى جنس الإنسان على نوعين: الإنسان العاقل H. sa-piens ونوع شبه عاقل H. erectus.

قال له صاحبه: ولكن أين البشر من هؤلاء؟

أجاب: لكى نناقش ذلك. . علينا أن نحدد أولاً: ماذا تعنى كلمة بشر؟

إن كلمة بشر لانظير لها فى اللغات الحـية الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية أو الإيطالية أو غيرها إذ يوجد فقط كلمة إنسان. أما كلمة بشر فتوجد فى اللغة العربية وتوجد أيضا فى اللغة العبرية (بسريم).

إن قواميـس اللغة العربية تعـتبر كلمات بشـر وإنسان وناس وأناس وإنس وأناسى كلها مرادفات لكلـمة إنسان مفردا أو جمعا. غـير أننا يجب أن نبحث صحة ذلك تحت ضوء اعتبارات عدة.

أولاً: جاء فى معـجم تاج العروس من جواهر القاموس: بشـر مشتق من البشرة وهى أعلى جلدة الرأس والوجه والجسد وسمى الإنسان بشرا لتجرده من الشعر والصوف والوبر والريش. إنسان مشتق من الفعل أَنَس وآنس. والإيناس خلاف الإيحاش وذلك لأن الإنسان يعيـش معيشة اجتماعيـة فيها يأنس الأفراد بعضـهم لبعض. ومن ذلك يـتضح البُعد الشـاسع بين لفظ بشر ولـفظ إنسان وجميع الألفاظ الأخـرى التى اشتقت منه. وعلينا حينئذ عند تعـريف البشر أن نذكر أنه إنسان أولا بادى البشرة.

ثانياً: إنه إنســـان وليس ثعبـانا ولاضفدعة ولاخنفساء، فـهل يوجد إنسان غير بادى البشرة كأن يكون جسمه مغطى بالشعر كالقردة مثلا؟

ليس من الإنسان الحالى إنسان غير بادى البشرة، غير بشر، غير أن الإنسان الحالى فى طور الجنين يكون فى بطن أمه مغطى بالشعر الذى يسقط قبل ولادته أو بعدها مـباشرة. فـهل انحدر الإنسان الـبشر من إنســان غير بشـرى. إنسان مغطى بالشعر؟

ثالثاً: نعود إلى القرآن الكريم. . يقول المولى عز وجل عن خلق البشر:

﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون * والجان خلقناه من قبل من نار السموم * وإذ[1] قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون * فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾ (الحجر: ٢٦ ـ ٢٩).

من ذلك القول الكريم نرى أن لفظ إنسان قد اقترن بفعل ماض **﴿خلقنا الإنسان﴾**، بينما لفظ بشر قد اقترن باسم فاعل **﴿إنى خالق بشرا﴾** واسم الفاعل فى قواعد النحو يدل على المضارع أو المستقبل القريب. أى أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان بالفعل، ثم قال للملائكة أنه يخلق أو سيخلق بشرا وليس ذلك البشر منفصلا عن الإنسان بل هو إنسان بشر من نفس مادة الإنسان، من صلصال من حمأ مسنون إنه ليس من مادته فحسب بل هو منه، من ذاته، متطور عنه. إن ذلك البشر (الذى بدأ بآدم ـ عليه السلام) يخاطبه المولى الكريم فى موضعين قائلا:

﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً﴾ (الانشقاق: ٦).

﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾ (الانفطار: ٦).

كما يشير الحق سبحانه وتعالى بلفظ إنسان إلينا نحن البشر فى العديد من الآيات. . على سبيل المثال:

﴿خلق الإنسان من علق﴾.

﴿خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم﴾.

﴿فلينظر الإنسان مم خلق﴾.

﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾.

وليس معنى ذلك أن البشر مطابق للإنسان بل هو خلق جديد. خُلِقَ من الإنسان الذى يسبقه فى الوجود. إنسان كانت الملائكة تعلم بوجوده لأنها تعلم

---

(١) يقول الخالق الكريم «وإذ» ولم يقل «إذ» وهذا دليل على أن الحديث متصل وليس بداية لقول جديد.

مـامضى ولكنهـا لاتعلم المستـقـبل، يؤيد ذلك ماجـاء من آيات فى خلق آدم البشر..

﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فـيها ويسفك الدمـاء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لـك قال إنى أعلم ما لاتعلمون﴾ (البقرة: ٣٠).

كان ذلك الإنسان كله أو بعضه يفسد فى الأرض ولكن الخالق الكريم كان بصدد أن يـخلق منه إنسان بشـراً. والآن لو رجعنا إلى سـورة الحجـر (وأرجو المعذرة فى التكرار) نجد أن المولى سبحانه وتعالى يقول: **﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حـمأ مسنون﴾** وهو حدث ماض تعـرفه الملائكة ولكن الجديد الذى لايعرفونه هو **﴿إنى خالـق بشرا من صلصـال من حمأ مـسنون﴾**.. فلو كانت كلمة بشر مـطابقة لكلمة إنسان كما يقول المفـسرون لكان معنى ذلك أن الله قد خلق إنسانا ثم سيخلق نفس الإنسان ويعتبر هذا خلطاً للأمور، ولا أريد أن أقول لغـوا فى القول وحـاشا لله وتنزه سـبحانه عن كل خـلط أو لغو. إن الصحـيح أن الله خلق آنفا إنسـانا لم يصل إلى مرتبـة البشرية بـعد، ثم خلق إنسانا، سواه سبحانه بشرا ونفخ فيه من روحه العلية.

أى أنه خلق من الإنسان إنسانا بشراً..

سوف يصر المفسـرون أن اللغة العربية تقول بمطابقة لفـظى الإنسان والبشر فنقول أن اللـه سبحـانه وتعالى أعلم من جـميع علماء اللغـة العزبيـة وعلماء اللغات جميعا أن استعمال لفظ بشر وعدم مطابقته للفظ إنسان هو إعجاز لغوى يتغاضى عنه المفسرون جميـعهم، إنه إعجاز لغوى فى القرآن الكريم يعكس فى نفس الوقت إعجـازا-علميا لم يتـوصل إليه رجال العلم حـتى هذه اللحظة مما سأوضحه بعد قليل.

يقول أحد كبار المفسرين الحاليين (محمد متولى الشعراوى ـ معجزة القرآن) لايوجد فى القـرآن الكريم شىء اسمه المرادفات، إن كل لفظ له مـعناه الدقيق الذى لايؤديه سواه (ويعنى ذلك عدم مطابقة لفظى بشر وإنسان).

لماذا يخاطبنا الخالق الكريم إذن. نحن البشر بقوله ياأيها الإنسان؟

الإجابة: أن الإنسان الذى لم يتم الخالق الكريم تسويته بشرا لايوجد حاليا على ظهر الأرض بل يوجد فى جوفها فقط فى الحفريات. لقد أنهاه المولى الكريم من ألوف السنين، أى أننا نحن البشر هو نحن الإنسان.

لكى نحدد علميا من هم البشر نقول أن إنسان جاوه وإنسان بكين لم يكونا بشرا لأن حجم المخ لديهما كان أصغر كثيرا من البشر. بقى إنسان النياندرتال والكروماجنون وكلاهما قد وصل حجم المخ لديه إلى الحجم الحالى، لذلك اختلف العلماء فى وضع إنسان النياندرتال بعضهم يعتبره إنسانا عاقلا كالإنسان الحديث وبعضهم يرى أن كبر حجم مخه يقع فى الخلف وهو بعيد عن مراكز الفهم والتفكير والذكاء (جمال الدين الفندى ـ قصة السماوات والأرض) بخلاف الإنسان الحديث الذى يمتاز مخه بكبر الفصوص الأمامية ولذلك كانت جبهته عالية. . وإليك ماجاء بكتاب التطور وأصل الإنسان من منظور إسلامى (محمد فوزى جاب الله) عن إنسان النياندرتال وإنسان الكروماجنون.

إنسان نياندرتال: Neanderthal Man

ظهر هذا النوع من أشباه البشر فى أواخر عصر البليستوسين من حوالى ١٧٥ ألف سنة فى مساحات شاسعة من الأرض شملت معظم أوربا وغرب آسيا وشرق أفريقيا. وهذا الجنس البشرى قد أظهر ارتقاء نسبيا فى صفاته التشريحية وخاصة حجم مخه ومقدرته على صنع آلات حجرية وعظمية أكثر إتقانا، فقد صنع المثاقب والمكاشط والإبر العظمية والرماح والسهام والفؤوس بأنواعها والشواطير، كما عرف دفن الموتى فى قبور جهزت خصيصا لذلك. وقد اكتشفت عظامه فى أول الأمر فى كهف نياندر فى شمال ألمانيا، وهنا كان الاسم الذى لقب به (إنسان نياندرتال)، وكانت حضارته يطلق عليها حضارة الموستيرية. أما بخصوص ملامحه التشريحية فكان يتميز برأس كبير الحجم (١٦٠٠ سم^3) وبحواف عظمية بارزة فوق الحاجبين، وبروز مؤخرة الجمجمة إلى الخلف، وبروز عظام وجهه إلى الأمام. أما أطرافه فكانت عظامها غليظة وثقيلة وقصيرة نسبيا مما يوحى بأن قامته كانت أقصر من قامة الإنسان الحالى. والجدول التالى (شكل ٥) يحتوى على الصفات الرئيسية لإنسان نياندرتال وهى فى معظمها صفات تشير إلى ارتقاء هذا النوع عما سبقه من أشباه البشر.

جدول عام للمقارنة بين أشباه البشر

نوع الصفة	قرد جنوب أفريقى[1]			إنسان جاوا والصين			إنسان نياندرتال		
	بشرية	وسطية	غير بشرية	بشرية	وسطية	غير بشرية	بشرية	وسطية	غير بشرية
حجم تجويف الجمجمة			+		+		+		
التواءات الحاجبين			+			+			+
دوران قبوة الجمجمة			+		+			+	
ارتفاع الجبهة			+		+			+	
الثقب العظيم	+			+			+		
ثخانة العظام			+			+			+
الفك بصفة عامة			+			+			+
بروز الذقن			+			+			+
شكل الأسنان		+			+		+		
بروز الوجه ككل			+			+			+
عظام الطرف السفلى والحوض	+			+			+		
صنع الآلات الحجرية		+		+			+		
استعمال النار			+	+			+		
دفن الموتى			+			+	+		
مجموع الصفات	٢	٢	١٠	٤	٤	٦	٧	٢	٥

عن كتاب «محمد فوزى جاب الله» (التطور وأصل الإنسان من منظور إسلامى)

(١) يطلق عليه كثير من العلماء اسم الإنسان القرد.

استمر إنسان نياندرتال يسكن الأرض حوالى ١٥٠ ألف سنة قبل أن يختفى تماما بانقراضه، ربما بسبب ظهور الإنسان الحديث وماكان بينهم من صراع وسفك للدماء، لأنه من المعروف أن الإنسان الحالى قد عمر الأرض فى الوقت الذى كان فيه إنسان نياندرتال حياً يرزق، أى أنهما عاشا جنبا إلى جنب. واستمر هذا التداخل الزمنى فترة ليست بالقصيرة وصلت إلى ١٠ ـ ١٥ ألف سنة كان خلالها إنسان نياندرتال مصدر إزعاج شديد ورعب، بقامته القصيرة وملامحه الخشنة وقوة بدنه وقسوته فى استخدام الآلات الحجرية من سهام وحراب، فقد كان صيادا ماهرا سكن الكهوف والمغارات الجبلية وارتدى الملابس الجلدية.

ويعتقد العلماء أن الإنسان المتوحش الذى كان يرتاد الغابات والجبال ربما كان مصدر الأساطير التى شاعت فى الفولكلور الأوربى عن المخلوقات المرعبة ذات القامة المنتصبة والوجه المخيف والشعر الكثيف الذى يغطى الجسم بأكمله[1] هذا فضلا عن القوة العضلية التى كانت تتمتع بها تلك المخلوقات الأسطورية. وحيث إن تلك الأنواع كانت تتمتع بقوة بدنية كبيرة لايوازيها سيطرة سلوكية منضبطة فالنتيجة المتوقعة هى ازدياد العنف وسفك الدماء إما بين بعضهم البعض وإما بينها وبين الإنسان الحديث الذى ظهر فى أواخر أيامهم. وربما كان هذا المشهد الفظيع على مسرح الأرض هو الذى دعا الملائكة للقول عندما أخبرهم الله سبحانه بأنه جاعل فى الأرض خليفة:

﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ (البقرة: ٣٠).

الإنسان الحديث: Homo sapiens

ظهر الإنسان الحديث أو العاقل منذ ٣٠ ـ ٤٠ ألف سنة فقط، كما تبين عظامه التى اكتشفت أول الأمر فى فرنسا وأطلق عليه إنسان (كروماجنون) نسبة إلى كهوف (كروماجنون). وأثبتت صفاته التشريحية أنها تختلف عن صفات ماسبقه من أشباه البشر فى الدرجة فقد كان طويل القامة (حوالى ١٨٠ سم)

(١) بالاتصال بالمؤلف وسؤاله هل يعنى ذلك أن إنسان النياندرتال كان جسمه مغطى بالشعر أجاب أن ذلك مجرد تصوّر.

وحجم جمجمته حوالى ١٥٠٠ سم٣، ولكن جبهته أصبحت رأسية وارتفعت كثيرا عن مستوى الحاجبين مما يشير إلى نمو الفصوص الأمامية للمخ وهى مراكز السلوك والكلام والحركة الإرادية، كما أن فكه السفلى وأسنانه أصبحت أكثر رقة وأخف وزنا مع ظهور الذقن التى لم يوجد لها نظير إطلاقا فى أشباه البشر، هذا فضلا عن الآثار الحضارية الراقية التى وجدت فى كهوفه من آلات حجرية وعظمية متقنة الصنع ورسوم لحيوانات الصيد بعضها بالألوان مدونة على جدران الكهوف بالإضافة إلى معرفته لفنون النحت والحفر على الخشب والعظام كما حفر القبور لموتاه.

ولم يمض على ظهوره وقت طويل حتى عرف الزراعة واستأنس الحيوان واستقر فى جماعات على ضفاف الأنهار، وقد تحقق ذلك فى بداية العصر الحجرى الحديث منذ نحو ١٠ آلاف سنة فقط. وهكذا نشأ الإنسان الحديث جسما وفكرا، فكان منه الفنانون والشعراء والأنبياء.

يقول وليام هاولز: «إن الإنسان العاقل ليس امتدادا لإنسان نياندرتال، ولكنه كائن ذو أصول منفصلة وله خطه المتميز. ومن ثم ظهر على الأرض كامل التكوين فى الفترة الأخيرة من عصر البليستوسين، حيث كانت توجد أجناس شبه بشرية أخرى مثل إنسان نياندرتال فى أوروبا وإنسان روديسيا فى أفريقيا. ومن هذا النوع العاقل تكونت السلالات البشرية فكان منها السلالة السوداء والبيضاء والصفراء وغيرها التى تفرقت فى الأرض كما نراهم الآن». .
وهذا الرأى الصريح يتمشى مع التصور الإسلامى لخلق آدم الذى خلق مستقلا ولم يكن حلقة في سلسلة من حلقات سبقته فى سجل التطور البيولوجى. .
والله أعلم.

إننى أوافق الكاتب بغير أدنى شك على أن الله سبحانه وتعالى أعلم، وأضيف أن الإنسان لم يُؤتَ من العلم إلا قليلا، وأن الإنسان لايحيط بشىء من علم المولى جلت قدرته إلا بما شاء له مولاه. ولكنى أختلف مع سيادة المؤلف فى قوله: «وهذا الرأى الصريح يتمشى مع التصور الإسلامى لخلق آدم الذى خلق مستقلا ولم يكن حلقة فى سلسلة التطور البيولوجى».

يفيد قول الكاتب عما جاء على لسان وليام هاولز: «أن الإنسان العاقل

ليس امتدادا لإنسان نياندرتال ولكنه كائن ذو أصول منفصلة له خطه المتميز». .
يعنى ذلك أن الإنسان العـاقل لايعتبـر النياندرتال أصلا له بل له أصـول أخرى نشأ عنها واتخـذ خطا آخر يميزه. . ويستطرد وليـام هاولز: «ومن ثم ظهر على الأرض إنسان كامل التكوين فى الفترة الأخيـرة من عصر البليستوسين. . .» أى أن ذلك الإنسان قد اكتمل فى صفاته التى أهلته أن يصبح عاقلا فظهر فى الفترة الأخيرة من عصر البليستوسين، ظهر مـن أصول غير النياندرتال فى خط متميز سلكه.

فهل عدم تسلسل ذلك الإنسـان من النياندرتال يعنى أنه لم يكن حلقة فى سلسلة من حلقات سبقته فى سجل التطور البيولوجى كما يقول الكاتب؟

ألا يقول وليام هاولز الذى يستند إليه فيـما يستنتج أن له أصولاً تطور منها ربما إنساناً بعد إنسان فى خط مميز إلى أن أصبح إنسانا عاقلا؟!!

وإذا كـان العلمـاء يخـتلفـون فى وضع إنسـان النيـاندرتال، وأن إنســان الكروماجنون لـم ينشأ من النيـاندرتال فقد يعنى ذلك أن كليهمـا نشأ من إنسان أسبق. . ربما إنسان جـاوة أو بكين (معتدل القامة)، تفـرع فرعين أحدهما أدى إلى النيـاندرتال والثـانى إلى الإنســان الكـروماجنـون. . وكل ذلك لاينفى أو يتعارض مع نشأة الإنسان الحديث من إنسان يسبقه.

ويجدر بنا أن نأتى بنص ماقاله وليام هاولز[1] الذى يستند إليه الكاتب:

These considerations suggest that ***Homo sapiens*** is not simply a residue of advancing Neanderthals, Rhodesians, and Sinanthopi, but has his own line of ancestry[2], wherever it may join with the others in the past. Thus, I think the likelihood is favored that he did in fact exist in the upper Pleistocene, at least, in fully developed form, at the same time as his cousins the Rhodesians and Neanderthals. In other words, I enroll in the presapiens school.

---

(1) Howells, W. (1960) : Man kind in the Making. Murcury Books, London.

(2) Ancestor : For fathr; a progenit or (as one living in an earlier geological period) of a more recent or existing species or group.

أى أن وليام هاولز يقول: «أن الإنسان العاقل Homo sapiens ليس ناتجا ـ ببساطة ـ عن تقدم إنسان النياندرتال أو إنسان روديسيا. . ولكن له خطه الخاص للأسلاف الذين نشأ عنهم "His own line of ancestry" بصرف النظر عن الموضع (النقطة) التى يحتمل أن يتصل عندها فى الماضى مع غيره (من الأنواع الأخرى للإنسان). . يستطرد وليام هاولز قائلا:

«فى رأيى أن الاحتمال الأرجح هو أنه كان فى الحقيقة على الأقل فى الفترة العليا لعصر البليستوسين، فى شكل كامل التكوين فى نفس الوقت الذى وجد فيه أبناء عمومته إنسان النياندرتال وإنسان روديسيا، بعبارة أخرى فإننى أتبع مدرسة ماقبل الإنسان العاقل (Presapiens يقصد أصوله الخاصة به)».

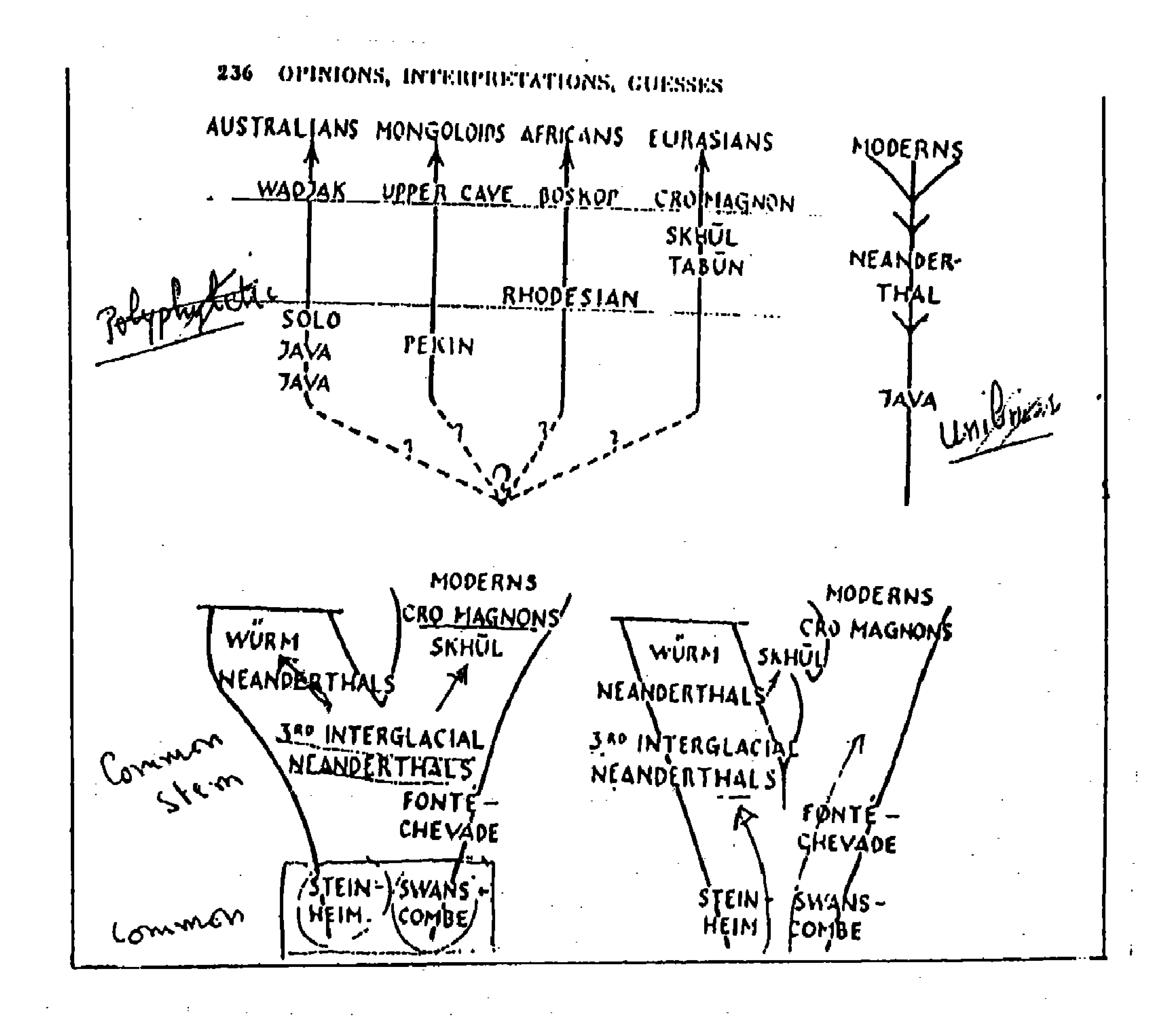
ولكى نزيد الأمر إيضاحا نقول أن هناك مدارس مختلفة، تختلف فيما بينها فى جذور الإنسان العاقل وفى الطريق الذى سلكه من أجداد سابقة، منهم من يرى أنه تسلسل فى خط مستقيم: إنسان بكين وإنسان جاوه ثم إنسان النياندرتال ثم الإنسان العاقل ومنهم من يرى أن الإنسان العاقل لم ينشأ من أصل واحد بل من أصول متعددة وهى مدرسة تعدد الأصول Poly ancestry ومنهم من يرى أن إنسان النياندرتال الذى وجد فى الدورة الجليدية الثالثة قد انقسم إلى فرعين أحدهما أدى إلى إنسان نياندرتال متقدم (أطلق عليه نياندرتال Wurm) والفرع الثانى أدى الى إنسان الكروماجنون (العاقل). . وغير ذلك من المدارس.

ويبين الرسم التالى (نقلا عن نفس المصدر) تلك المدارس فى الرأى. .

ولايفوتنى أن أذكر ماجاء بالكتاب المجيد:

﴿إن الله اصطفى آدم ونوحـاً وآل إبراهيم وآل عمران عـلى العالمين * ذرية بعضها من بعض﴾ (آل عمران: ٣٣، ٣٤).

أى أن الله قد اصطفى آدم من بين سواه من الآخرين، وهؤلاء كانوا إما بشرا مثله وإما كانوا إنسانا لم يصل إلى مرتبة البشرية بعد واصطفاه المولى ليبدأ به الإنسان البشر. ذلك الرأى يخالف ماينادى به علماء التفسير، ولكن يؤيده قول الخالق الكريم عن آدم أنه «ذرية» شأنه شأن نوح وآل إبراهيم وآل عمران، بل نص على أنهم جميعا ذرية بعضها من بعض ونعلم أن البعض وهم نوح



المدارس المختلفة لتسلسل الإنسان العاقل

وآل إبراهيم وآل عمران هم ذرارى ذرية تسبقها ذرية آل آدم - عليه السلام، ولما كان آدم هو أيضا ذرية فلابد أن يكون قد انحدر من أب أو آباء يسبقونه، وهذا لم يذكر فى القرآن الكريم لأنه كما يقول علماء المسلمين - بحق - ليس كتابا فى العلوم ولكن به إشارات يذكرها رب العرش العظيم لكى يهتدى بها رجال العلوم أو غيرهم ممن يطلب منهم الخالق الكريم أن يبحثوا كيف بدأ الخلق. غير أن الله سبحانه لم يشأ أن يترك الإنسان بغير أب ينتسب إليه فذكر أن أباه هو آدم وترك للمختصين أن يبحثوا عن نشأة آدم - بالضبط - كما نكتفى نحن فى أسمائنا بالتسلسل إلى اسم جد قريب.

وإليك ما جاء بملحق جريدة الأهرام بتاريخ ١١ إبريل ١٩٩٧ وفيه يرد الدكتور عبد الهادى مصباح على تساؤلات البعض عما ورد بكتابه «آدم وحواء من الجنة إلى أفريقيا»..

بالنسبة للتساؤل عن أن بداية الخلق على الأرض منذ ١٥٠ - ٢٠٠ ألف عام تقريبا وعن أن هذا الرقم مبالغ فيه جدا.. أقول أن هناك أكثر من دراسة علمية جادة تم نشرها تباعا فى خلال السنوات العشر الماضية قد توصلت إلى هذا الرقم على وجه التقريب، ففى إحدى الدراسات التى نشرت فى مجلة «ساينتيفيك أمريكان» فى عدد أبريل ٩٢ والتى أجريت فى جامعة كاليفورنيا بركلى عن أصل الإنسان من ناحية الأم من خلال تحليل بصمة الحامض النووى الموجود فيما يسمى بالميتوكوندريا، وهى جزء موجود فى سيتوبلازم الخلية ومسئول عن توليد الطاقة بها ويورث من ناحية الأم فقط ويحمل ٣٧ نوعا من الجينات الوراثية بينما يكون تحليل الحامض النووى الموجود فى نواة الخلية والذى يورث من كل من الأم والأب معا يحمل حوالى مائة ألف جين، ولذلك فضل هؤلاء الباحثون دراسة الحامض النووى للميتوكوندريا لكي يستطيعوا أن يتتبعوا التغير الذى حدث فى الجينات والطفرات الموجودة عبر الأجيال فى عينات من بلاد وقارات مختلفة من شتى أنحاء العالم لمعرفة أصل الأمومة فى هذا الكون.

وقد أجريت عدة دراسات أخرى من مركز العلوم البيولوجية فى بوسطن بعنوان Children of the Eve وأيضا من العالمين «ألان ويلسون» و«ربيكا كان»

من جامعة كاليفورنيا بركلي ونشرت فى مجلة Nature فى ٧ يناير ٨٧ ومجلة Proceedings of the National Academy of sciences فى ديسمبر ٨٩ وفى دراسة نشرت من جامعة أكسفورد عام ١٩٨٩.

وقد أظهرت كل هذه الدراسات أن كل البشر الموجودين على سطح الكرة الأرضية يرجع أصلهم إلى امرأة واحدة هى بالطبع أمنا حواء التى عاشت فى أفريقيا منذ حوالى مائتى ألف عام وأن كل سلالات البشر التى ولدت بعدها خرجت أساسا من القارة الأفريقية إلى كل أنحاء العالم، وأن ذلك حدث منذ حوالى ١٥٠ إلى ٢٠٠ ألف عام حسب معادلات وحسابات معينة لحساب معدل حدوث الطفرات فى تحليل الحامض النووى والجينات، ولقد أيدت دراسة أخرى خرجت من جامعة ستانفورد هذه الحقيقة من خلال دراسة الحامض النووى لنواة الخلية البشرية وليس داخل الميتوكوندريا، وقد تبع ذلك دراسات أخرى لتتبع الأصل الذكرى للبشرية من خلال تحليل الحامض النووى دى. إن. إيه DNA وتتبع تسلسل الصفات الوراثية والجينات على الكروموسوم الذكرى "Y". وقد خرجت نتائج هذه الدراسات من أكثر من جامعة ومركز للبحث العلمى فى الولايات المتحدة وفرنسا واليابان وكان آخرها تلك التى أعلنتها إحدى الجامعات الفرنسية والتى تؤكد أن تحليل الحامض النووى على الكروموسوم الذكرى يؤكد أن البشر جميعا مولودون لأب واحد هو بالتأكيد سيدنا آدم، وأنه كان يسكن قارة أفريقيا فى فترة تتراوح مابين ٢٠٠ إلى ٣٠٠ ألف عام مضت، أى أن كل الدراسات تخلص إلى أن متوسط عمر بداية الإنسان على الأرض حوالى ٢٠٠ ألف عام.

وأخيرا أود الإشارة إلى أن كل المصادر العلمية وعددها يتجاوز ٣٤ مصدرا أجنبيا والصور التى تدلل على هذه التفاصيل موجودة فى نهاية الكتاب سالف الذكر.

وأضيف أنه قد جاء بالكتاب المقدس (العهد القديم «سفر التكوين» الإصحاح السادس):

«وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله

رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا. . . كان فى الأرض طغاة فى تلك الأيام، وبعد ذلك أيضا إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادا، هؤلاء هم الجبابرة. . .».

فماذا يقصد بأبناء الله؟ هل هم أبناء آدم الذين نفخ الله فيهم من روحه أى أنهم بشر؟

وماذا يقصد ببنات الناس؟ هل هن بنات الإنسان الذى لم يكن قد وصل إلى مرحلة البشر؟

كما يجب أن نذكر أن تلك الفترة هى السابقة مباشرة لظهور نوح وبالطبع قبل الطوفان.

وقد جاء فى كتاب «خلق الإنسان بين العلم والقرآن».. للمؤلف:

كيف انقرض النياندرتال وحل محلهم الكروماجنون.. ربما يشوب ذلك الغموض حتى الآن. . . غير أنه فى سنة ١٩٣١ عثر فى كهوف عديدة بالقرب من جبل الكرمل بفلسطين على خليط من جماجم تكاد تكون طبق الأصل من جماجم النياندرتال مع جماجم أخرى يصعب تمييزها عن جماجمنا. كما أن بعض هؤلاء الناس كانوا طوال القامة إذ يبلغ طول اثنين منهم حوالى ستة أقدام وساقاهما طويلتان معتدلتان غير أن لهما نفس العظام الكثيفة فوق الحاجبين التى تمثل إنسان النياندرتال وفى نفس الوقت لهما ذقنان بارزتان مثل الإنسان الحديث. ربما امتزج النياندرتاليون مع الكروماجنون برباط النسب وفى النهاية ذابت صفات الأولين وحل محلهم الكروماجنون «الإنسان الحديث».

إن علماء الأنثروبولوجيا فى جميع مؤلفاتهم يشيرون إلى الإنسان الحالى بكلمة الإنسان الحديث ويعطونه الاسم العلمى H. sapiens الإنسان العاقل. وهذا يتفق مع ماجاء بالقرآن الكريم بأن الله قد علم آدم الأسماء كلها وأنه حفظها وأعاد تلاوتها على الملائكة.

ويختلف العلماء فى أمر النياندرتاليين هل نضعهم مع الإنسان الحديث؟

لو كان العلماء يعرفون اللغة العربية وماجاء بالقرآن الكريم لكان السؤال هل كان النياندرتاليون بشرا؟ هل كانوا بادى البشرة؟

لو أمكن الإجـابة الصـحيـحة عنـدئذ نقول: «قطعت جـهـيزة قـول كل خطيب»، عندئذ نحصل على إجابة السؤال. . متى ظهر البشر؟

هل بدأ بظهور الكروماجنون منذ مـايقرب من ثلاثين ألف سنة أو أبعد من ذلك بكثير بظهور النياندرتال.

وأقدم إليـك مانشر فى مـجلة Digest التى يصدرها مـعهد السيـر الذاتية الأمريكى American Biographical Institute فى العـدد رقـم ٩ مـجلد ٦ الصادر فى ربيع ١٩٨٥ م وفيه اقـترحتُ تسمية علمية لـلإنسان البشر تعنى أنه إنسان بادى البشرة (ملحق رقم ٤).

كمـا أرسلت إلى المتحف البريطانى بلندن (التـاريخ الطبيعى) متـسائلا هل يمكن معـرفـــة متى ظهر الإنسان مكتـمل العقل بادى البشـرة؟ . . وقد جاءنى الرد التالى (ملحق رقم ٥). . وفى رأيى أن الإجابة باحـتمال أن يكون الإنسان معتدل القامة (إنسان بكين وإنسان جاوة) كـان بادى البشرة هو احتمال بعيد عن الصواب.

قال: وما الحكمة فى أن يخلق الله سبحانه وتعالى من الإنسان بشرا عارى البشرة؟

أجاب: إن الـله جلت قدرته قـد أعطى لكل كائن حى صـفاته الداخلـية والخارجية (ويطلق عليها علمياً الصفات المورفولوجية) التى تمكنه من العيش فى البيئة التى هيأه الله لها. وعلى سـبيل المثال: فقد أعطى للدب الذى يعيش فى مناطق الجليد فراءً سميكاً يقيه زمهرير البرد، وأعطى للطائر جناحين وكسا جلده بالريش الذى يتخلله الهواء فيساعده على العلو، كما أعطى للغنم صوفا يمكنها من العيش فى مناطـق باردة بعكس الماعز التى يغطى جسـمها بجلد ذى شـعر يؤهلها للعيش فى مناطق جبلية، كما زود سبحانه وتعالى الإبل بصفات متعددة لتتغلب على جفاف الصحارى ورمالها.

ويبدو أن الإنسان السابق للبشر كان جسمه يغطى بشعر يقيه عوامل البيئة.

وببداية البشر كـرمه المولى الكريم ببشرة عارية يختلـف بها عن أسلافه من

إنسان سابق، إذ زوده خالقه بعقل مفكر يمكنه أن يصنع من الوسائل مايتغلب به على عوامل الطبيعة، فأمكنه أن يصنع مايغطى به جسده.

وفى ذلك يقول الخالق الكريم:

﴿يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خيرٌ ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون﴾ (الأعراف: ٢٦).

يقول فضيلة الإمام الأكبر محمود شلتوت (تفسير القرآن الكريم - الأجزاء العشرة الأولى):

إن الله قد هيأ لبنى آدم سبيل الحصول على الملبس الذى يسترون به عورتهم ويريشون به أنفسهم فى مناسبات التجميل. هيأ له مادته من القطن والصوف والحرير وما إليها، وألهمهم بما خلق فيهم من غرائز طرق استنباطها وطرق صناعتها بالغزل والنسيج والخياطة ولفت أنظارهم إلى أن تقوى الله فى الانتفاع بتلك النعمة والوقوف بها عند الحد الذى رُسم وهو أساس الرضا وأساس الشكر.. وهو الذى يحفظ السوءات من أن تظهر أو تُرى، وهو الذى يجمل الحسى والنفسى.

وفى رأيى أن اللباس الذى يوارى سوءاتنا هو لباس العقل، أما اللباس الذى نغطى به أجسادنا فقد رمز الله سبحانه وتعالى إليه بلفظ الريش (خلق الإنسان بين العلم والقرآن - للمؤلف).

وإذا كان كثير من المفكرين يطلقون على الإنسان أنه حيوان ناطق فإنى أرى أن نطلق على البشر اسم «إنسان لابس». غير أن البشر يختلفون نوعا ما فى وجود الشعر الذى يغطى بعض أجزاء الجسم تبعا للمناطق التى يعيشون فيها، فزنوج أفريقيا على سبيل المثال يتمتعون بجسد أملس، كما يغطى رءوسهم شعرٌ خشنٌ مجعد يسمح بتخلل الهواء فيساعد على تلطيف حرارة الجو، أما شعوب أوربا وخاصة من يعيشون فى مناطق باردة فيمتازون بشعر ناعم، كما أن مناطق توزيع شعر أجسادهم أكثر.

قال له صاحبه: وماذا تعنى ألفاظ أناسى وناس وأُناس وإنسى التى اشتقت من الإنسان مادامت أنها غير مترادفات؟

أجاب: إن هـذه الألفاظ تعـتبـر إعجـازا لغويا فى القـرآن الكريم يعكس إعجـازا علميا لم نر له مـثيلا فى أى من اللغـات. . لكى نتفهم مـعانى تلك الألفاظ نعود إلى المراتب التى وضـعها علماء التصنيف وسبق أن ذكـرتها. لقد توصلنا فيـما سبق إلى أن البـشر نوع يتبع جـنس الإنسان، وتعلو العائلة كـما ذكرنا مرتبـة الجنس، وتعلو فوق العائلة مرتبة العـائلة، ومعنى ذلك أن العائلة تحتوى على أكثـر من جنس وأن فوق العائلة يحتوى على أكـثر من عائلة، وقد رأينا أن عائلة الإنسـان تسمى Hominidae وأنها تحتـوى على جنسين: الإنسان Homo والإنسان القـرد (شبـه إنسان Australopithecus). . فـهل يوجـد فى القرآن الكريم مايؤيد ذلك؟

الإجابة: نعم. . يقول الخالق الكريم:

﴿ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مـثل وكان الإنسان أكثر شىء جدلاً﴾ (الكهف: ٥٤).

من تلك الآية الكريمـة نرى أن الناس أمثـلة عدة وأن الإنسـان أحـد تلك الأمثلة، ويلى ذلك أن من الناس من لايعد إنسانا بل شبيها بالإنسان. إن ذلك يتطابق تطابقا مذهلا مـع مايقوله رجال العلم. فاسم العـائلـة هو الناس تحتوى الإنسان Homo وشبيه الإنسان الذى لم يصل إلى مرتبة الإنسان Australopith-ecus ونتتقل خطوة أخـرى إلى أعلى تحتوى فـوق العائلة Hominoidea ثلاث عائلات، عـائلة الشمبانزى والغـوريلا وعائلة الجبـون والأورانج أوتان وعائلة الناس Hominidae ويتطابق ذلك مع مـاجـاء بكتـاب الله الكريم تطابقـا هو الإعجاز بعينه، يقول الحق سبحانه:

﴿وأنزلنا من السـماء مـاءً طهوراً * لنحيى بـه بلدة ميتاً ونسقيـه مما خلقنا أنعاماً وأناسىّ كثيراً * ولقد صرفناه بينهم ليذَّكروا فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾ (الفرقان: ٤٨ ـ ٥٠).

معنى ذلك أن الناس جـزء من الأناسىّ وبالتالى هناك من الأناسىّ من هـم ليسوا ناسا.

ومعنى ذلك وبـلغة لم يتوصل إليـها العلمـاء إلا منذ بضع سنين قليلة أن

كلمة أناسيّ تساوى فوق العائلة Hominoidea وأن كلمة ناس تساوى Homini-dae يؤيد ذلك أن المولى الكريم لم يخاطبنا فى الكتاب الكريم ولو مرة واحدة بقوله أيها الأناسى، لأن من الأناسى من يعيش معنا إلى الآن وهم لايعقلون غير مكلفين وهم عائلتنا القِرَدَة العليا.

قال: إذا كان الله سبحانه قد خلق من الناس أجناسا بخلاف جنس الإنسان وأنواعا أخرى غير البشر، فكيف يخاطبنا سبحانه بقوله ياأيها الناس، ياأيها الإنسان؟

أجاب: لأن الخالق عز وجل قد كرمنا نحن البشر وأنهى من الإنسان من هم ليسوا بشرا وأنهى من الناس أى جنس آخر غير الإنسان فلايعيش على الأرض الآن غير البشر، أى أنهم هم الإنسان وهم الناس، لقد انقرض ماعداهم منذ ألوف مؤلفة من السنين فمناداة الخالق الكريم لنا ياأيها الناس أو ياأيها الإنسان يمكن أن نشبهها بما يأتى:

تلميذ بأحد الفصول اسمه إبراهيم صالح محجوب لايوجد بالفصل أى تلميذ آخر من أسمائه إبراهيم ولا صالح ولا محجوب، عندئذ يمكن مناداته ياإبراهيم أو ياصالح أو يا محجوب. أما إذا كان بالفصل تلميذ آخر يدعى على سبيل المثال محمد حسنين محجوب فلا يمكن مناداة الأول منهما يامحجوب إذ يختلط الأمر حيث يوجد محجوب آخر[1].

قال له صاحبه: وماذا عن الأُناس والإنس؟

أجاب: إن علماء التفسير ينادون بأن يبتعد رجال العلوم عن الزج بأنفسهم فى تفسير القرآن قائلين أن كتاب الله الكريم ليس كتابا فى العلوم، وها قد وضح لنا فيما ذكرت علما لدنياً إن لم يكن هو الإعجاز فبماذا نُعبر عنه؟

إن كلمتى أُناس وإنس هما أيضا حلقتان فى تلك السلسلة، يقول رجال التصنيف أن النوع قد يحتوى على أشكال متعددة يصح أنها تختلف شكلا ولكنها لاتختلف جوهرا إن اختلافاتها لم تصل إلى مرحلة نوع آخر.

---

(١) بالمثل لا يخاطبنا المولى سبحانه «يا أيها الأناسىّ» لوجود أناسيّ خلافنا نحن الناس يعيشون معنا حتى الآن.

فهل تعتبر الأناس سلالات لنوع واحد هو البشر فينتسبون لأب واحد هو آدم؟

الإجابة.. فيما يقوله الخالق الكريم:

﴿ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً * يوم ندعو كل أناس بإمامهم﴾ (الإسراء: ٧٠، ٧١).

﴿وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم﴾ (البقرة: ٦٠).

أما كلمة إنس فهى جمع أناس، إنها كلمة واحدة تضم بين ضفتيها جميع خلق الله من البشر على اختلاف أشكالهم وسلالاتهم من الأسود والأبيض والأصفر والأحمر، من ذوى العيون الزرقاء إلى الخضراء والسوداء، من ذوى الشعر المجعد إلى ذوى الشعر الناعم، من ذوى الأنف الأفطس إلى الأنف الرومانى، من فارعى الطول إلى الأقزام... إلخ.

يخاطبهم خالق الكون جميعا أو يشير إليهم بلفظ واحد الإنس.. فيقول على سبيل المثال:

﴿يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى﴾ (الأنعام: ١٣٠).

﴿يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا﴾ (الرحمن: ٣٣).

﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات: ٥٦).

صدق الله العظيم

لا... لم يتحول قرد أو قردة إنسانا

قال له صــاحبــه: إن من ينظر إلى آيات الكتاب الكريم بنظرة آنيــة متـأنية علميــة مدقــقة يمكن أن يرى أن القـرآن الكريم قد سبق دارون فى نظــريته عن التطور بما يقرب من ثلاثة عشر قرنا من الزمان. إن التطور حقيقة علمية (ملحق رقم ١) عن «الكتاب المقدس للطالب».

أجاب: هل توافق إذن على أن الإنسان كان قردا!!.. ومتى حدث ذلك؟ وهل تحولت قِردة هى الأخرى إلى إنسان؟ وإذا كان ذلك صـحيحا فهل تحوّلت قِرَدَة أخرى، وماذا يمنع أن تتحول باقى القِرَدَة إلى إنســان.. وهل سنشهد قريبا أوبعيدا تحول القِرَدَة إلى بشر؟؟!!

أجاب: قــبل أن أجـيب عن أسئلتك أود أن أؤكـد أن التطور يحدُث بـيد الخالق الكريم الذى يقول:

﴿مالكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً﴾ (نوح: ١٣).

والآن إلى أسئلتك: إن القول بأن الإنســان أصله قرد هو الخطأ الشائع. إذا ذكر أحــدهم نظرية التطور جُوبه بما ذَكَرت من أسئلة. إن هذه الـنظرية لاتقول بأن قردا أو قردة قد تحول أى منهمــا إلى بشر. وبسبب هذا الفهم الخاطئ يتهم من ينادى بصحة التطور بالكفــر أو الإلحاد. إن هذه النظرية لاتقول بأن الإنسان

أصله قرد ولكن تقول بأن القرد لكونه أكثر الحيوانات بل الكائنات جميعا امتلاكا لصفات يمتلكها الإنسان فإنهما قد انحدرا كلاهما من أصل واحد تفرع ذلك الأصل إلى فرعين فرع امتد وأخذت تتطور أنواعه إلى أن وصلت إلى القِرَدَة العليا (الشمبانزى والغوريلا والجيبون والأورانج أوتان) والفرع الثانى خرجت منه أنواع تطورت نوعا وراء نوع إلى أن كان الإنسان الحالى - الإنسان البشر. دليل ذلك كما ذكرت تشابهنا فى صفات كثيرة مع القِرَدَة العليا بل فى بعضها مع القردة عموما. صفات لاتمتلكها باقى الحيوانات حتى الثدييات منها التى تشترك معنا ومع القردة فى إرضاع صغارها.

على سبيل المثال: امتلاكنا لأيد قابضة ذات خمسة أصابع حيث يمكن للإبهام أن يتحرك حركة عمودية على باقى الأصابع. لقد كرمنا الله نحن والقِرَدة بتلك اليد التى نتناول بها الطعام بعكس باقى الحيوانات التى تمد أفواهها لتناول طعامها. كما نشترك مع القِردة العليا فى انعدام الذيل بعكس باقى الثدييات. ومن تلك الصفات تمتعنا بأعين فى وضع أمامى ترى الأشياء مجسمة فى أبعاد ثلاثة: الطول والعرض والعمق. كما أن أنواع القِرَدة العليا السابق ذكرها يمكنها أن تسير بعض الوقت على الأرض مستخدمة أطرافها الخلفية فقط، ولذلك تشبهنا إلى حد كبير فى عظام الحوض والفخذين والساقين والقدمين. كما نتشابه مع القردة العليا فى امتلاكنا لوجه عمودى بعكس باقى الثدييات التى تمتلك وجها يمتد كثيرا إلى الأمام. وبداخل الجمجمة مخ أكبر كثيرا فى الحجم من سائر الثدييات.

وقد جاء فى صحيفة الأهرام بتاريخ ٢/٩/٩٧ تحت عنوان (جينات الشمبانزى تتشابه بنسبة ٩٩٪ مع البشر):

«فيما يمكن أن يوصف بأنه ثورة جديدة فى نظرية داروين الشهيرة فى التطور، أكدت نتائج أبحاث وتجارب عالمين فرنسيين أن جينات أنواع معينة من القرود، خاصة الشمبانزى تتشابه بنسبة ٩٩٪ مع جينات الإنسان. وهو مايدعم - على حد قول الباحثين - أن الإنسان أصله قرد(*)».

(*) تعبير خاطىء صحته أن الإنسان والقرد ينتميان إلى أصل واحد.

وذكر الباحثان بياتريس وآلان جاردنيه أن صفات الوعى والذكاء والمزاج متوافرة فى القرود بدرجات كبيرة. ومن أمثلة ذلك أن الشمبانزى يمكنه التعرف على نفسه فى المرآة ويحب الدعابة والنكتة.

وتقول مجلة (ماريان) الفرنسية التى نشرت خبر الاكتشاف الجديد: إن بياتريس وآلان جاردنيه قدما لأحد القرود صندوقاً مملوءاً بصور للكلاب والأسود والعصافير وبعض الأشخاص، وبطريقة إشارات الصم والبكم طلبت بياتريس من الشمبانزى تحديد صور الأشخاص فقط فتعرف عليها.

وقدم الباحثان نصيحة للبشر وهى ألا يتعاملوا مع القرود كحيوانات، وإنما كبشر على قدر كبير من الذكاء والوعى والقدرة المزاجية».

**

يقول الصادق الأمين: **«كلكم لآدم وآدم من تراب»**.

وجاء فى القرآن المجيد:

﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ (آل عمران: ٥٩).

يقول الخالق الكريم أن عيسى كآدم خلق من تراب فى الوقت الذى نعلم جميعا أن عيسى ولد من مريم العذراء وأن مريم ابنة عمران وأن عمران ولد من آباء وهؤلاء من أجداد.

كما يقول الحق سبحانه:

﴿أكفرت بالذى خلقك من تراب﴾ (الكهف: ٣٧).

﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب﴾ (الروم: ٢٠).

من ذلك نرى أن عيسى من تراب وأننا جميعا من تراب رغم وجود آباء لنا، لأن أبانا هو آدم، وآدم خلق من تراب فَلِمَ لايكون القول بأن آدم من تراب لأنه هو الآخر له آباء وأجداد بدأوا بالتراب، بدأوا بداية واحدة من تراب، وفى ذلك يقول رب كل شىء وخالق كل شىء:

﴿قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ (العنكبوت: ٢٠).

وكلمة الخلق هنا حسب تعريف مجمع اللغة العربية فى تفسيرألفاظ القرآن الكريم لاتعنى عملية الخلق بل تعنى المخلوقات. بذلك نرى أن المخلوقات جميعا نباتها وحيواناتها وآدمها لها بداية واحدة من تراب.

قال له صاحبه: بل يؤكد الله سبحانه خلق الإنسان خلقا منفردا عن باقى مخلوقاته إذ يقول:

﴿وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ (السجدة: ٧).

كما يقول:

﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ (المؤمنون: ١٢).

يقول الخالق الكريم أنه خلق الإنسان من سلالة من طين، ولما كنا من سلالة آدم ـ عليه السلام ـ فإن ذلك يعنى أنه خلق أبانا آدم من طين، يؤيد ذلك قوله فى سورة السجدة. . أنه بدأ خلق الإنسان من طين؟

أجاب: إن ماتقول هو المدَوّن فى كتب التفسير جميعها. ويعنى ذلك أن كلمة إنسان فى سورة السجدة تساوى آدم، وفى سورة المؤمنون تعنى سلالة آدم وليس آدم. ويقول رجال العلوم إن المخلوقات جميعها بدأت بداية واحدة من طين وهذا يتيح لنا أن نقول إن الإنسان سواء أكان آدم أم سلالة آدم قد بدأ هو وغيره من المخلوقات من طين.

قال له صاحبه: لاأرى مايدعو أن نقحم مايقوله رجال العلوم فى ماجاء فى القرآن فى آيات واضحة لالبس فيها فى خلق الإنسان خلقا مستقلا.

علاوة على ماسبق. . يقول رب العرش العظيم:

﴿فاستفتهم أهم أشد خلقاً أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب﴾ (الصافات: ١١).

﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار﴾ (الرحمن: ١٤).

﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون﴾ (الحجر: ٢٦).

ذلك الإنسان هو آدم، أما سلالة آدم فقد وضحها الله سبحانه فيما ذكر فى سورة المؤمنون ثم يستطرد بقوله الكريم فى نفس السورة:

﴿ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً﴾ (المؤمنون: ١٣، ١٤).

أجاب: إن الله قد أنزل تلك الآيات فى خلق الإنسان، ولكن ليس بالضرورة أن تعنى أنها تنصب على الإنسان دون غيره من المخلوقات، دليل ذلك فى سورة المؤمنون فتحول الإنسان من نطفة إلى علقة إلى مضغة تُخَلّق عظاما ثم تُكسى العظام لحما. تلك التحولات لاتقتصر على الإنسان وحده بل تمر بها كل الحيوانات الولودة شكلاً وراء شكل. هذا ماكشفه لنا العلم، لذلك لايصح أن نغفل مايقوله رجال العلوم، ويؤيد ذلك قول الخالق الكريم فى نفس سورة المؤمنون. . مستطردا فى الآية رقم (١٤): **﴿ثم أنشأناه خلقا آخر﴾**. . ينشئه خالق كل شيء الذى أحسن كل شيء خلقه إنسانا وليس غزالا ولاخنزيرا ولا قردا ولكن إنسانا بشرا. إننا نتفق أن القرآن الكريم ليس كتابا فى العلوم يحدثنا فيه الله سبحانه كيف خلق الذبابة أو الضفدعة أو الفيل ولاكيف خلق الوردة أو النحلة أو شجرة الزيتون، ولكن الله جلت قدرته يعطينا إشارات، بل ومضات تضئ لنا الطريق لنهتدى إذ أنه فى نفس الوقت يطالبنا بأن نبحث وأن نستقرئ ونستنتج. . ألا يقول لنا جل وعلا:

﴿قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ (العنكبوت: ٢٠).

﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾ (الغاشية: ١٧).

ولكى نهتدى كيف بدأ الله الخلق وكيف خُلِقت الإبل. . لابد من الاستماع إلى مايقوله رجال العلوم.

بل إن بعض المفردات التى وردت فى الكتاب الكريم وفى خلق الإنسان ذاته لايمكن تفسيرها تفسيرا صحيحا بغير اللجوء إلى ماجاء بالعلوم. إن معجزة القرآن الكريم هى كما يقول الكثير من المفسرين بحق «إنه يخاطب جميع الناس على حسب ثقافاتهم سواءً أكان هؤلاء الناس متزامنين فى وقت واحد أم متعاقبين على مر الأجيال، وكلما كشف العليم الخبير لجيل معين عن علم لم يتوصل إليه سلفه ربما تغير تبعا لذلك فهمه لنفس اللفظ أو نفس الآية فيفسرها تفسيرا أدق».

قال له صاحبه: قد يكون فيما تقوله بعض الصواب.. ولكن خلق الإنسان ذُكِرَ بمفردات غاية في الوضوح، من التراب إلى الطين إلى الطين اللازب أى (اللازق الذى يلصق باليد) إلى الصلصال من حمأ مسنون.. ويقول المفسرون إنه الطين المتخمر أو المتعفن الذى صوره الخالق الكريم على صورة آدم ثم ترك ليجف ليصبح صلبا كالفخار.

أجاب: إن ماذكرت الآن تفسيرا لتلك الألفاظ التى وردت فى خلق الإنسان هو دليل على إعجاز القرآن فى مخاطبة الناس جميعهم على حسب مداركهم.

إن الرجل العادى يكفيه القول بأن الإنسان قد خلق من تراب، أما رجل العلم فيقوم بالبحث فى مكونات التراب وهل تطابق مكونات جسم الإنسان، فإذا وجد أن كليهما يتكون من عناصر معينة هى نفسها المشتركة فى الحالتين أدرك إعجاز الخالق الكريم فى قوله أن الإنسان قد خلق من تراب، لأن هذا التراب هو الكالسيوم والمغنسيوم والكربون والأكسجين والفوسفور وغير ذلك. كلمة واحدة «التراب» يفهمها الإدراك العادى كما يفهم مرماها العالم المدقق. وإذا انتقلنا إلى الطين والطين اللازب والصلصال نجد أن رجل العلوم يثير تساؤلات ضخمة عما ذكرت من تفسير. منها كيف يتحول الطين الناتج من تراب مزج بالماء، تراب هو مواد معدنية إلى طين متخمر أو متعفن والتخمر ليس من صفات المعادن ولكنه من صفات المواد العضوية، كيف يحدث هذا.. إذن عليه أن يلجأ إلى ماتقوله العلوم.

قال صاحبه: يحدث ذلك بقدرة الخالق الكريم. أليس الله بقادر على كل شيء يقول للشيء كن فيكون، أيعجز أن يقول للطين كن طينا لازبا فيكون؟

أجاب: لاشك فى ذلك سبحانه القوى القدير. غير أن مهمة رجل العلم أن يبحث في الطريق الذى يسلكه الشيء الذى هو كائن لكى يكون، وذلك الطريق بلاشك هو سلسلة من خطوات تخضع لسنن كونية وضعها العليم بذاته العلية.. وفى ذلك يقول: ﴿**إنا كل شيء خلقناه بقدر**﴾، كما يقول: ﴿**إن ربى على صراط مستقيم**﴾. إنه لابد أن نلجأ إلى العلم كى نفهم الدين فهما

صحيحـا والعكس صحيح. يقول عبدالـكريم الخطيب فى تقديمه لكتاب (خلق الإنسان بين العلم والقـرآن ـ للمؤلف، ص ٢٣، ٢٤): «وقد كـان هذا ماوقع للمـسلمين، حيث انعـزل الدين عن الدولة، فكانت لرجـال الدين كلمتـهم، وكانت لرجال العلم كلمتـهم. . . ومن هنا لم يعد علماء الدين إلا كطائر يطير بجناح واحـد، فلايكـاد يرتفع عن الأرض، كمـا كـان طلاب العلم على هذا المسـتوى، أو دونه. إنه لاتكتـمل نظرة رجـال الدين إلا إذا امتـدت إلى دائرة العلوم والمعـارف، التى يستخـدمها العـقل زادا يعينه على فـهم مقـاصد الدين وكشف خصائصه، كما أن رجل العلم لايجد الطريق ممهدا إلى مكنونات العلم إلا من واقع حقائق الدين، فإذا جافى الدين واعتزله، ضل وغوى».

من حـديث المفكر الإسلامى عـبدالكـريم الخطيب. . نرى أنه لكى يكون تفسيرنا لآيات القرآن تفسيرا سليما يجب ألا نغفل ماتقوله العلوم، فلنفسر خلق الإنسان وخلق آدم ـ عليه السـلام ـ، علينا أن نلتزم دائرة العلم التى هى وبكل تأكيد من وضع العليم الخبير.

إن الإنسـان هو واحد من مـخلوقات الله التى لايعـدها حصـر على هذا الكوكب، فـهل خَلق الإنسـان بمعزل عن باقى المخلـوقات؟ القـرآن الكريم فى آيات متعددة ينفى ذلك:

﴿قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ (العنكبوت: ٢٠).

﴿وجعلنا من الماء كل شىء حى﴾ (الأنبياء: ٣٠).

﴿والله خلق كل دابة من مـاء فمنهم من يمشى عـلى بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع﴾ (النور: ٤٥).

﴿وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً﴾ (الفرقان: ٥٤).

﴿ومـا من دابة فى الأرض ولا طـائر يطيـر بجناحيــه إلا أمم أمثـالكم﴾ (الأنعام: ٣٨).

﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾ (نوح: ١٧).

من الآيات السابقة نرى أن الله لم يفصل الإنسان عن باقى المخلوقات ولم

يخلقه خـلقا خاصـا كما يـقول المفسـرون. بل إنه بحكمتـه قد بدأ مخـلوقاته جميعهـا بداية واحدة بأن خلق من الماء كل شيء حي، وإذ يقرر الخالق الكريم أنه خلق كل دابة من ماء فإنه لم يستثن الإنسان منها إذ هو يمشى على رجلين، يؤكد ذلك قوله أنه خلق من المـاء بشرا فجعله نسبـا وصهرا. فلمن تكون تلك القرابة والمصاهرة. لابد أنهـا لغيره من المخلوقات. يزيد ذلك تأكيـدا مايوضحه عن قرابتنا للنبات التى يقول فيها أنه أنبتنا من الأرض نباتا.

من كل ماتقدم أرجو ألا يضيق صدرك بالاستماع إلى مايقوله رجال العلوم حين نتطرق إلى محاولة الفهم الصحيح لأى من آيات الكتاب المجيد.

وبهذه النظرة الشاملة نعود إلى الآيات التى وردت فى خلق الإنسان لنبحث عن مدى مطابقتها فى خلق باقى الكائنات.

يقـول الخالـق الكريم. . أنه خلق الإنسـان من طين ومن طين لازب ومن صلصال كـالفخار وصلصـال من حمأ مسنون، فـهل تنطبق تلك المراحل على الكائنات الأخرى بخلاف الإنسان.

يقول رجـال العلوم أن الأرض كانـت كتلة منصـهرة أخذت تبـرد فكونت قشرة أرضية وكونت حولها محيطا جويا منه انهمرت أمطار غزيرة كونت محيطا مائيا من البـحار والمحيطات والأنهار. تكونت القشرة الأرضـية من اتحاد ذرات المعادن المختلفة مكونة الصـخور التي عادت وتفتتت إلى جزيئات صـغيرة بفعل المياه والرياح وارتفـاع الحرارة وانخفـاضها نهارا وليـلا وانهيار كـتل الجليد (فى القطبين) والزلازل والبراكين وكل العوامل الطبيعية لكى تكوّن تربة تصلح لعيش النبات وتوفير سبل العيش للحيوان. غير أن تلك التربة لم يتم تكوينها إلا بعد ألوف الملايين من السنين من بدء الحياة. بدء المخلوقات. . فكيف بدأت؟؟

يقول العلماء أن الغـازات كانت تتصاعـد من باطن الأرض ويرجحون أن تلك الغازات كانت تتكون من أول وثانى أكسيد الكربون والنوشادر وغاز الميثان وسيـانور الأيدروجين. . وغيرها. وتفـاعلت تلك الغازات تحت تأثير الأشـعة فوق البنفسـجية والطاقة الكهربائية المتـولدة من البرق مع مياه البحار فـتحولت جزيئات المعادن إلى جزيئات عـضوية وبذلك تحول الطين إلى طين لازب استمر

تكوينه مدة تقرب من خمسمائة مليون من الأعوام، تحولت فيها مياه البحار إلى مايشبه «العصيدة» أو «الحساء السميك» ولقد أطلق العلماء على تلك العصيدة اسم Protobiont أى منبت الحياة، وعن طريق عمليات التخمر كانت تلك المادة تكاثر نفسها ومنها بدأت الخلية الحية التى أودعها الخالق الكريم سر الحياة ذلك السر الذى لم يتوصل إليه العلماء· .يتفق العلماء الآن أن الحياة لم تبدأ صدفة كما يقول الملحدون. ولكنهم يقولون أنهم لم يستطيعوا أن يفسروا ماهى الحياة وكيف يتأتى لتلك الجزيئات من «العصيدة» أن تكوّن مايسمى بالخلية الحية التى تتصف بصفات سميت بالحياة. صفات من الحس والقدرة على الحركة والنمو والتكاثر. . وفى سبيل ذلك يمكنها أخذ الغذاء وهضمه وتمثيله للحصول على الطاقة التى تمكنها من أداء تلك العمليات للمحافظة على حياتها ونموها وعلى تكوين أفراد جديدة.

من هذا الحساء بدأ تكوين أول خلية حية، اعتمدت تلك الخلية على ضوء الشمس وعلى ثانى أكسيد الكربون من الجو وعلى الماء المذاب به بعض الأملاح من البحر لتكوين أجسامها من مواد تسمى كربوهيدراتية فى عملية تسمى التمثيل الضوئى والتى تعتبر أهم حدث على الإطلاق قد وفرته الطبيعة لنشأة الحياة واستمرارها، إذ بدأت الكائنات الحية بكائنات بدائية تتكون أجسامها من خلية واحدة وبذلك ظهرت الطحالب وهى تأخذ ثانى أكسيد الكربون من الجو المحيط بها وتطرد الأكسجين، استمر تكاثرها لأطول حقبة فى تاريخ الأحياء مدة ألفين وخمسمائة مليون سنة، تكوّن خلالها الأكسجين الذى لولا وجوده ما أمكن لأى كائن حيوانى أن يعيش، وبعد أن تكون الأكسجين بدرجة كافية بدأ ظهور الكائنات الحيوانية التى تتكون أجسامها هى الأخرى من خلية واحدة والتى تأخذ الأكسجين وتطرد ثانى أكسيد الكربون. ميزان طبيعى دقيق أقامه الخالق الكريم بين النبات والحيوان ـ أليس وراء تلك الحقيقة البسيطة عقل يدبر وتخطيط محكم ـ إنه الله الحكيم القدير. وكما ذكرنا لم تنشأ الحياة صدفة كما يقول الملحدون. . من مقال الدكتور أحمد أبوزيد تحت عنوان «هل مات دارون حقا» نشر بمجلة العربى ـ يوليو ١٩٨٢.

وبعد، هل نشأت الخلية الأولى للحياة صدفة كما يقول الملحدون؟

يجيب على ذلك السيد فلايد هويل عالم الفلك الشهير وزميل له أستاذ الرياضيات فى كتاب ظهر لهما فى نهاية ١٩٨١ يعترفان فيه بصراحة بأنهما ملحدان لاينتميان إلى أى دين، إلا أنهما بعد حسابات رياضية دقيقة ومعقدة لم يجدا لهذه الصدفة أثراً إلا بمقدار واحد إلى عشرة أمامها أربعون ألف صفر. وبالتالى فإن الحياة لايمكن أن تكون قد نشأت عن طريق الصدفة بل لابد من وجود عقل مدبر يفكر ويبدع لهدف معين، وعلى الرغم من اعترافهما بالإلحاد فإنهما لم يجدا أمامهما مفرا إلا أن يكتبا الفصل الأخير من الكتاب تحت عنوان «الله».

بدأت الكائنات الحيوانية بحيوانات دنيئة جسمها من خلية واحدة مثل الأميبا، بعدها تطور كل من النبات والحيوان إلى كائنات بسيطة عديدة الخلايا وكانت الحيوانات كلها رخوة.

ثم ظهرت الحيوانات الفقارية بداية بالأسماك، وعندما تهيأت اليابسة لاستقبال الأحياء (خاصة بتكوين التربة) انتقلت الأحياء إليها بظهور البرمائيات فى الحيوان والنباتات غير المُزهرة ثم المُزهِرة فى النبات. ومن البرمائيات تكونت الزواحف مثل الديناصور والسلحفاة والثعبان، ثم خرج من الزواحف الطيور والثدييات التى توّجت أخيرا بالإنسان. وهكذا نرى أن الحياة بدأت بسيطة ثم أخذت فى التعقيد والتنويع والتخصص تبعا للبيئات المختلفة، لكل كائن البيئة التى يمكنه العيش فيها.

قال صاحبه: لقد ذكرت الطين والطين اللازب.. فأين الصلصال من حمأ مسنون والصلصال الذى جف وصار كالفخار؟!!

أجاب: لقد ذكرنا أن المادة المعدنية هى الطين أى أن الماء الذى يحتوى على الأملاح فى البحار ومن الغازات التى تصاعدت من باطن الأرض (قاع البحار) قد تحول إلى مادة عضوية بفعل الأشعة فوق البنفسجية والبرق والأشعة الكونية.

ولكى نفسر معنى الصلصال من الحمأ المسنون والصلصال الذى يشبه الفخار، علينا أولا أن نبحث عن معنى كلمة صلصال، إنها المادة الخام التى

يصنع منها المثالون أشكالا مختلفة تمثل كائنات معينة. إذن فالصلصال هو الخامة الأولية لصناعة معينة. بالضبط كما نقول أن القطن أو التيل أو الحرير خامات تصنع منها الملابس، ولكى نصنع الملابس من تلك الخامات يُصنع منها أولا مايسمى بالنسيج. فهل ينطبق ذلك على الكائنات الحية؟ لقد علمنا أن من الكائنات من تتكون أجسامها من خلية واحدة أو تكون عديدة الخلايا. فإذا كان الصلصال هو النسيج فما هو الحمأ المسنون؟ يقول المفسرون أن كلمة حمأ مفردها حمأة وهو الطين المنتن المصور، فهل ينطبق الحمأ المسنون على الخلايا التى تكونت من «العصيدة» من الطين اللازب، علما بأن الخلايا لها أشكال محددة (مصورة)؛ فى رأيى أن العبارة صلصال من حمأ مسنون تعنى نسيجا[1]، ومن الخلايا[2] الحية وتتعدد الأنسجة باختلاف الأحياء.

أما عبارة صلصال كالفخار، فلتفسيرها نتساءل ماهى أهم صفة يتميز بها الفخار؟ الإجابة أنه منفذ، فآنية الفخار إذا وضع بها ماء ينفذ الماء من داخلها إلى خارجها وعند تبخره يبرد الماء داخل الآنية، فهل الخلايا منفذة للسوائل.

الإجابة.. لاشك بالإيجاب، إن لم تكن تلك الخلايا ذات جدر منفذة لما أمكَن نقل السوائل أو الغازات من خلية إلى خلية أخرى، وانعدمت حياة الكائن الحى، من ذلك نرى أن المولى الكريم حين خلق من طين لازب ثم من صلصال من حمأ مسنون كالفخار، فإن ذلك الخلق ليس قاصرا على الإنسان فحسب بل على جميع المخلوقات، إنه طريق بداية الخلق.

قال صاحبه: ألا ترى فيما تقول جرأة على الدين واعتداء على العقيدة، عقيدة خلق آدم؟!

أجاب: أعترف بأن فيما أقول جرأة فى الدين وليس جرأة على الدين. يطلب منا الخالق الكريم تلك الجرأة حين يقول فى آيات متعددة:

انظروا كيف بدأت الخلق، انظروا كيف خلقت الإنسان، انظروا كيف

---

(١) يتكون جسم الإنسان من أربعة أنسجة هى الطلائية والضامة والعضلية والعصبية.

(٢) متوسط طول الخلية ١/٥٠ من المليمتر أى أن المليمتر المربع يحتوى على ٢٥٠٠ خلية فى المتوسط.

خلقت الإبل، انظروا كيف خلقت السماوات والأرض، انظروا كيف خلقت الليل والنهار.. وغير ذلك كثير ويشجعنا الخالق تبارك وتعالى على ذلك حين يقول:

﴿قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون﴾ (الزمر: ٩).

﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ (فاطر: ٢٨).

﴿وقل ربى زدنى علماً﴾ (طـه: ١١٤).

أما القول بالاعتداء على العقيدة ففيه كثير من التجنى بل هو التجنى بعينه. إن العقيدة تتناول الآيات المحكمات من الكتاب المجيد:

﴿منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب وأُخر متشابهات﴾ (آل عمران: ٧).

وخلق الإنسان وخلق آدم جاء فى الآيات المتشابهات. الآيات محتملات التأويل (مجمع اللغة العربية)، الآيات التى تتماثل وتحتاج إلى فهم ونظر. ألا يقول الخالق الكريم: **﴿فلينظر الإنسان مم خُلِق﴾** أعقبها بقوله: **﴿خلق من ماء دافق﴾** (الطارق: ٦)، غير أن ذلك الماء الدافق يحتاج منا إلى بحث معناه، كما يقول جل جلاله:

﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ (الإنسان: ١).

ألا يطلب منا خالقنا أن نبحث ماذا يعنى ذلك الحين من الدهر الذى لم يصل فيه الإنسان بعد أن يكون شيئا ذا قيمة؟

قال: أليس فيما تقول عن الطين اللازب والصلصال من حمأ مسنون والصلصال كالفخار اعتداء على نصوص القرآن الكريم، إذ ينص صراحة أنه خلق الإنسان من طين وطين لازب وصلصال.

أجاب: هناك فرق كبير بين الاعتداء على النص وتفسير النص، بين حرفية النص ومعنى النص. ألا يقول سبحانه:

﴿خلق الإنسان من عجل﴾ (الأنبياء: ٣٧).

لو أخذنا بحـرفيـة اللفظ لوقعنا فى حيرة بماذا نجيب مـن يسأل، هل هو عجل سيارة أو دراجـة أو طائرة أو قطار، أو من أى من تلك المَركبَات قد خلق منها، فجميعها عجل، أو أنه خلق من السرعة فالسرعة هى العجل. علينا إذن ألا نتقيـد بحرفية اللفظ ونقـول أن الآية الكريمة تعنى أن الإنسان خلق بطبيـعته متسرعا عجولا. ثم لماذا الإصـرار عند ذكر خلق الإنسان أن يقتصر القول على خلقه من طين ومن صلصال.

ألـم يذكـر أن الإنسان خلق من نطفـة وخلق من علق وكان نطفـة من منى يمنى وخلق من نطفـة إذا تمنى وجعل نسله من مـاء مهين وخلق مـن ماء دافق وخلق من ماء مهين وخلق من نطفة أمشاج، لكى نفسر خلق الإنسان يجب أن نصل إلى تفسـير يجمع كل هذه المقـولات الكريمة. وفى رأيى لايمكن أن يتأتى ذلك إلا فى إطار التطور، تطور الإنسان من مخلوقات سابقة بدأت بداية واحدة من طين إذ يقول سبحانه: **﴿وبدأ خلق الإنسان من طين﴾**، كما يقول: **﴿ولقد خلقنا الإنســان من سـلالة من طين﴾**، أى أن بدء الخلق كـــان من طين ولكن الخلق كان من سلالة من طين، ويعنى ذلك أن بدء خلق الإنسان كان مخلوقات خلقت من طين، أما الخلق نفسه فمن سلالة من طين أى سلالة تلك المخلوقات التى بدأت من طين. وهذا مايقوله رجال العلوم حيث بدأت المخلوقات بكائنات بسيطة تكاثـر نفسهـا، تطورت إلى كائنات تتكاثر بالذكـور والإناث (النطفة)، وذلك يطابق الـقـرآن الكريم **﴿ثم جـعلناه نطفـة فى قـرار مكين﴾** وبعـد ذلك تطورت الأحياء إلى الحيوانات الولودة، إذ يمر الجنين فى رحم الأنثى فى أشكال متعددة وذلك يطابق قوله تعالى: **﴿ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنـا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظامـا فكسونا العظام لحما﴾** تمر جميع الحيـوانات الثديية بتلك المراحل كـما يمر بها الإنـسان، غيـر أن الإنسان يخـتلف عنها فى نهـاية تلك المراحل.. وفى ذلك يقـول الخالق الكريم: **﴿ثم أنشأناه خلقا آخر﴾** كما يقول (فى سورة السجدة): **﴿ثم سواه ونفخ فـيه من روحه﴾** تلك التسـوية فى رأيى هى إعطاؤه الحجم الحـالى من المخ الذى يميزه عن سائر الحـيوانات والذى يمكنه من التمييز بين الخير فيتبعه وبين الشر فيتجنبه، نفخ الخالق الكريم فيه من روحه العلية ليصير بشرا، وفى رأيى أن الله سـبحانه نفخ فيه من روحه بمعنـى أعطى

ذلك الإنسان من صفاته العلية التى يتصف هو بها لكى يكون خليفة له فى الأرض. ألا يطلب منا الخالق الكريم أن نتصف بالعدل والرحمة والسلام والقوة والمتانة فى الحق، والعلم والأمانة والصبر والصدق والود وأن نكون جبارين فى محاربة الظلم أو الكفر والإلحاد كما طلب منا فى نفس الوقت الرأفة والرفق.

لقد اكتمل الإنسان بشرا سويا سميعا بصيرا، أهلا للمعرفة ويحق تبعا لذلك أن تكون أعماله موضعا للمساءلة.. بقى أمران لم أوضحهما بعد:

أولاً: أن قرابة الأنواع بعضها لبعض هى نفسها قرابة الأفراد، لتوضيح ذلك هب أن لدينا مجموعة من الكائنات المتشابهة تكون نوعا واحدا هو النوع «أ» ظهرت طفرة (هى تغير فى صفة أو أكثر من الصفات أو ظهور صفة حديثة فى بعض الأفراد) وبتتابع الأجيال استقرت هذه الصفة فى قليل أو كثير من الأفراد مكونة مجتمعا جديدا يتماثل أفراده مع بعضهم البعض وانعدمت قدرتهم على التناسل مع المجتمع الأصلى الذى نشأت منه إذ بعدت الشقة بينهما، عندئذ يتكون نوع جديد فليكن النوع «ب». نفترض ثانيا أن جزءا من النوع «أ» قد انتقل إلى بيئة جديدة منعزلة أو بعيدة لها خصائص معينة تختلف عن خصائص البيئة الأصلية، عندئذ تعمل البيئة الجديدة على أن تتلاشى من هذا المجتمع الجديد الأفراد التى تحمل صفات غير ملائمة لتلك البيئة الجديدة.. وشيئا فشيئا.. يتبقى فى المجتمع الجديد كل الأفراد التى تحمل الصفات الملائمة (وذلك ما أطلق عليه رجال العلم الانتخاب الطبيعى)، وفى النهاية يتكون النوع «ج». هب أن النوع «ب» أمكنه أن يتفرع بإحدى الطريقتين السابقتين أو عن طريق تغير جديد عظيم فى البيئة إلى نوعين (١) و(٢) وأن النوع «ج» تفرع إلى الأنواع (٣) و(٤) و(٥) فلو حددنا قرابة هذه الأنواع بعضها لبعض أمكننا أن نقول أن النوعين «ب» و«ج» شقيقان قد انحدرا عن أب واحد هو النوع «أ» وأن النوعين (١) و(٢) شقيقان قد انحدرا عن أب واحد هو النوع «ب» وأن هذين النوعين ابنا عم لكل من الأنواع (٣) و(٤) و(٥) إذ انحدرت جميعها من جد واحد.

قال له صاحبه: إذن أنت تنادى بما ينادى به الملحدون بأنه لادخل ولايد للخالق الكريم فى خلق الأنواع؟

أجاب: حاشا لله أن أقول مثل هذا القـول. إن كل مايحدث هو بيد قوية متـينة أمينة هى يد الخالق الكريم الذى يخطط لكل كـائن مصيره ومـساره على هذا الكوكب:

﴿مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها﴾ (هود: ٥٦).

لو أن الأمر يرجع إلى فعل الطبيعة كما يقول الملحدون... فمن إذن الذى يعطى للكائن الحى صـفاته ومن الذى ينشىء الصـفات الجديدة والتـى يطلقون عليـها (الطفـرات)، ومن إذن الذى كوّن البـيئـات المختلفـة التى تعيـش فيـها الأحياء، ومن إذن الذى يغـير من تلك البيئـات فيحيل الأخضـر يابسا والجاف شديد الرطوبة والهادئ السـاكن عاصفا وقليل الماء ينهمـر عليه الماء مدرارا، إنه الخالق الكريم الذى بيده كل شىء. يقول أحد العلمـاء الجيولوجيين أن الشمس تطلع كل صباح على هذا الكوكب فـتجد له وجها جديدا ويقـول أحد الشعراء بحق:

مابين غمضة عين وانتباهتهـــــا يغير الله من حال إلى حـــــال

أما الأمر الثـانى: فهو إجابة السؤال: لماذا لم يشـاهد الإنسان أو لايشاهد تطور الكائنات؟

الإجابة: أن التطور يستـغرق آمادا طويلة ـ أجيالا متعـددة ـ وحياة الإنسان قصيرة بالنسـبة لذلك، فالجيل الواحد فى الإنسان الحـالى يتجدد كل ثلاثين أو خمس وعشرين سنة، أى أن الشخص الذى يعيش مائة سنة أو يزيد (يعتبر من المعمرين) لايشاهد إلا ثلاثة أو أربعة أجيال فى حين أن التطور يحتاج إلى مئات وربما آلاف الأجيال.

قال صاحـبه: ومادليلك على صحة مـاتقول فى الأمرين، الأول فى تطور الأنواع إلى نوع جديد والثانى عن احتياج ذلك إلى آماد طويلة.

أجـاب: لقد ذكـرت لى سابقـا أنك شاهدت فى إحـدى الدول الأجنبيـة أشكالا متـعددة من الكلاب عجـبت لرؤيتها، لقـد أُخرِجت هذه الأشكال عن طريق التهجين والانتخاب قام بها المربى ـ الإنسان ـ بعملية انتخاب للأفراد التى

تحمل صفات معينة وتزويجها ذكورا وإناثا جيلا بعد جيل ليثبت فى النسل تلك الصفات، ولقد سمعنا من عهد قريب مايقوم به حاليا علماء علم جديد أسموه الهندسة الوراثية تمكنوا فيه من تحديد واستخدام العوامل الوراثية التى يطلق عليها الجينات.

قال له صاحبه: فيم الإصرار على ربط الإنسان بباقى المخلوقات؟

أجاب: لست أنا الذى أربطها بل الخالق الكريم، خالق كل شىء.

قال: يقول سبحانه:

﴿لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم﴾ (التين: ٤).

أى أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان على صورته الحالية خلقا مباشرا فى أحسن تقويم ـ أحسن صورة.

أجاب: بل إن تلك الآية الكريمة تعنى ربط الإنسان بل نشأته من مخلوقات تسبقه.

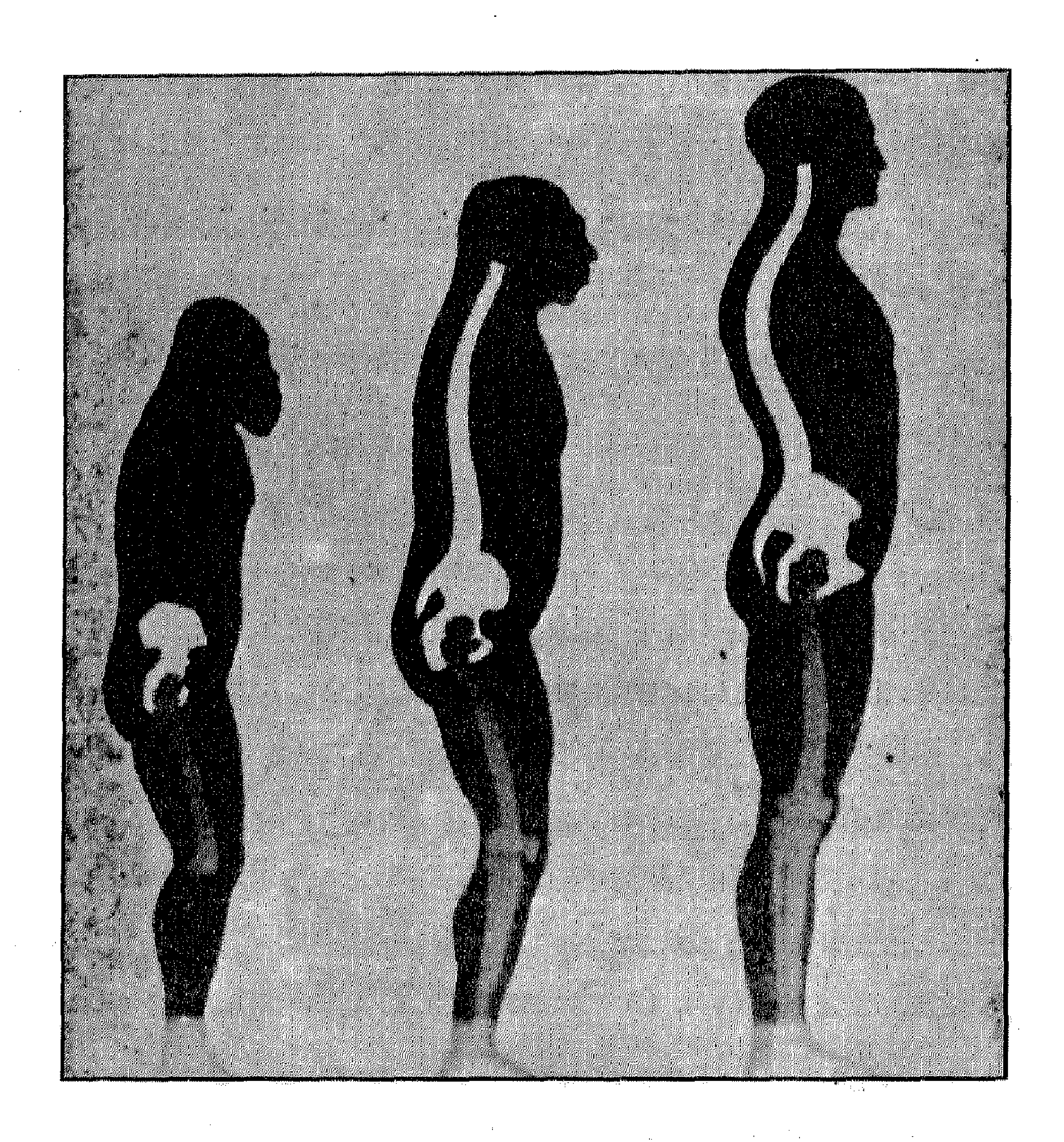
جاء فى معجم ألفاظ القرآن الكريم (مجمع اللغة العربية) أن كلمة تقويم تعنى تعديل وإزالة عوج، وجاء فى تفسير الجلالين **﴿فى أحسن تقويم﴾** تعديل لصورته، وجاء فى مصحف الشروق **﴿أحسن تقويم﴾** فى أعدل خلق وأحسن صورة، كما جاء فى الطبرى **﴿أحسن تقويم﴾** تعنى أحسن تعديل.. ومن تلك التفاسير نرى أن الإنسان لم يخلق خلقا مباشرا على صورته بل خُلق معدلا عن خلق يسبقه. وكما جاء فى معجم ألفاظ القرآن الكريم «كان معوجا فقومه» (شكل رقم ٦).

وفى ذلك يقول الحق سبحانه أيضا:

﴿يا أيها الإنسان ماغرك بربك الكريم * الذى خلقك فسواك فعدلك﴾ (الانفطار: ٦، ٧).

جاء فى تفسير الجلالين **﴿فعدلك﴾** بالتخفيف والتشديد، وجاء فى مصحف الشروق «عدلك» جعلك معتدلا معدل الخلق مقوما. وجاء فى

مختصـر معانى مفردات القرآن الكريم (مـحمد سند الطوخى) ﴿**فعدلك**﴾ أى جعلك مـعتـدل القامـة . . ويجب ألا نغفل أن المولى عـز وجل قال: ﴿**الذى خلقك فسواك فعدلك**﴾ ولم يقل الذى خلقك وسـواك وعـدلك، وهذا دليل



شكل (٦): الوضع المنتصب عن الآدميات[١]، ويرى من اليسار إلى اليمين: إنسان قردى جنوبى، وإنسان نياندرتال، والإنسـان العاقل الحديث. وهناك قدر من الخلاف حول ما إذا كان إنسـان نياندرتال كجـماعة مخـتلفا عن الإنسان العاقل بالـقدر الذى يبدو فى هذه الصورة.. بتـصريح من المتحف الأمـريكى للتاريخ الطبيعى ـ عن كتاب الأنثروبولوجيا العامة.

---

(١) لفظ آدميات خاطئ فى هذا المجال والأصح إنسانيات.

انقضاء زمن مـا ـ طال هذا الزمن أو قصر ـ بين خلق الإنسان واعتدال قـامته، كان الإنسان محنيا فعدله.

قال: لقـد خص الخالق الكريم الإنسـان بأن صوره فأحـسن صورته.. إذ يقول:

﴿الله الذى جـعل لكم الأرض قـراراً والسـمـاء بناءً وصـوركم فـأحـسن صوركم﴾ (غافر: ٦٤).

﴿خلق السـمـاوات والأرض بالحق وصـوركم فـأحـسن صـوركم وإليـه المصير﴾ (التغابن: ٣).

أجـاب: لم يخص الخالق الكريم الإنـسان بذلك دون باقى المخلوقـات إذ يقول جل شأنه:

﴿الـذى أحـــسن كل شىء خلـقــه وبـدأ خلــق الإنســان من طـــين﴾ (السجدة: ٧).

إن المشتـغلين بدراسة الحـشرات على سـبيل المثال لايملـكون إلا أن يخروا للأذقـان سُجّدا حين يشاهدون جـمـال صنع الخالق ودقـتـه فى تلك الكائنات الصغيـرة، بل منها المتناهية فى الصغـر، تحتاج مشاهدتهـا إلى آلات تكبير ربما لعديد مـن المرات. إن من يشاهد زركـشة جلودها وتوزيع شـعراتها مع تـباين أشكال تلك الأخـيرة وتنوعـها وتناسق أعـضائهـا لابد أن يتملكه العـجب بل الذهول. وربما يعلم ذلك أطـفال المدارس حين يشـاهدون الفـراشـات بجمـال ألوانهـا واختـلاف أشكالهـا (مـلاحق ٧، ٨، ٩).. ولا يقتـصـر ذلك على الحشـرات فقط بل على جمـيع خلق الله من حيـوان ونبات.. بل يمتد جـمال صنعه إلى الطبيعة كلها بل إلى الكون بأسره وفى ذلك يقول جل من قائل:

﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾.

قال: لقد كرم الله بنى آدم فى البر والبحر وفضله، إذ يقول:

﴿ولقد كـرمنا بنى آدم وحملـناهم فى البر والبـحر ورزقناهم من الطيـبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ (الإسراء: ٧٠).

أجاب: لقد كرّمهم الله بالعقل والروح اللذين لايمتلكهما غيرهم وليس بانفصالهم عن غيرهم من المخلوقات بل ربما كان تفوقهم على ماعداهم رغم انتمائهم إليهم تكريما أكثر.

قال: لقد خلق الله عز شأنه الإنسان بيديه.. ألم يقل لإبليس لِمَ لَم تسجد لمن خلقت بيديّ؟

أجاب: ليس الإنسان فقط.. ألا يقول تبارك اسمه:

﴿أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون﴾ (يس: ٧١).

﴿والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون﴾ (الذاريات: ٤٧).

ولايزال الإنسان ـ بعنجهيته ـ يرفض أن ينتمي لغيره من الحيوانات فأقول له متشبها بقول لقمان لولده: زميلي الإنسان ـ البشر ـ لاتصعر خدك لسلفك من الحيوان ولاتمش في الأرض مرحا إن الله لايحب كل مختال فخور إنك لن تخرِق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا وأقول للمعارضين جميعا قول العليم الخبير:

﴿مالكم لا ترجون لله وقاراً * وقد خلقكم أطواراً﴾ (نوح: ١٣، ١٤).

بين الإبل والإنسان والبشر

قال: أود أن أعود بك إلى مبدأ الكتاب، إلى عنوانه:

تقول: «قضية الخلق». . ولم تقل «خلق الإنسان».

أجاب: إن خطوات خلق الإنسان هى فى مجملها خطوات خلق غيره من الحيوان، وفى كتاب الله الكريم أدلة كثيرة. لم يفصل الحق سبحانه وتعالى خلق الإنسان عن غيره من الأحياء (كما سبق أن ذكرنا). . إذ يقول:

﴿وجعلنا من الماء كل شىء حى﴾ (الأنبياء: ٣٠).

إذن فجميع الأحياء قد خلقت من ماء، ويؤيد قرابة الإنسان لغيره من المخلوقات قوله تعالى:

﴿وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً﴾ (الفرقان: ٥٤).

﴿والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع﴾ (النور: ٤٥).

كما أن قرابة الإنسان للنبات نجدها فى قوله عز من قائل:

﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾ (نوح: ١٧).

لقد وضع الخالق الكريم الإنسان كواحد من الدواب المتعددة المختلفة إذ يقول:

﴿وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾ (الأنعام: ٣٨).

قال: جاء فى الذكر الحكيم قوله سبحانه وتعالى:

﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقت﴾ (الغاشية: ١٧). فما هى الإجابة عن هذا السؤال؟ وماالسبب فى ذكر الإبل دون سواها؟

أجاب: نعلم جميعاً أن الإبل تُخلق من ذكر من الجمال يباشر إحدى الإناث(*) فتندمج نطفة منه مع نطفتها مكوّنة نطفة أمشاجاً تعلق بجدار الرحم مكوّنة العلقة التى تتحول إلى مضغة إلى آخر المسار الذى تمر به أجنة الإنسان كما تمر به أجنة باقى الحيوانات الثديية الولودة.

ومعنى ذلك أن الإبل شأنها شأن الإنسان قد جعلها الله نطفة فى قرار مكين ثم خلقت النطفة علقة وتلك تحولت إلى مضغة مخلقة وغير مخلقة.

غير أن السؤال هو: من أين أتى الأب الأول للإبل؟

هل صنع الله ـ سبحانه وتعالى ـ تمثالاً له من طين ثم بث فيه الحياة؟ وهل خلقت ناقة من أحد أضلاعه كما يقول جمهور المفسرين عن خلق آدم وحواء؟

الإجابة: إنه لايوجد بكتاب الله الكريم أى إشارة عن خلق الإبل، وعلينا حينئذ أن نستمع إلى قول رجال العلم فى هذا الشأن.

يقول هؤلاء: إن الإبل شأنها شأن باقى الحيوانات وشأنها شأن الإنسان قد بدأ خلقها من بدء تكون الخلية الحية من طين ثم تحولت إلى كائنات عديدة الخلايا ومنها ظهرت الأسماك ومنها البرمائيات ومن الأخيرة ظهرت الزواحف التى نشأت منها الثدييات.

والإبل أحد الثدييات بدأت بحيوانات صغيرة الحجم (فى حجم الكلاب) تحمل أقدامها أربعة أصابع ثم تطورت على مدى ستين مليوناً من الأعوام إلى الإبل الحالية بأعناقها وأرجلها الطويلة، كما التحمت أصابع أقدامها وأحاطتها

(*) عند حدوث ذلك يصطف باقى الجمال لتكون ستاراً يغطيهما، وفى ذلك دليل على حياء الإبل.

تلك الوسادة اللينة المسماة بالخف، وبذلك يتمكن هذا الحيوان من السير بسرعة فائقة على الرمال.

قال: هل تعنى بذلك أن الإبل قد خُلقت هى الأخرى من سلالة من طين قبل أن يجعلها الله نطفة فى قرار مكين، وبذلك ينطبق عليها ماجاء عن خلق الإنسان فى القول الكريم: **﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين﴾**؟

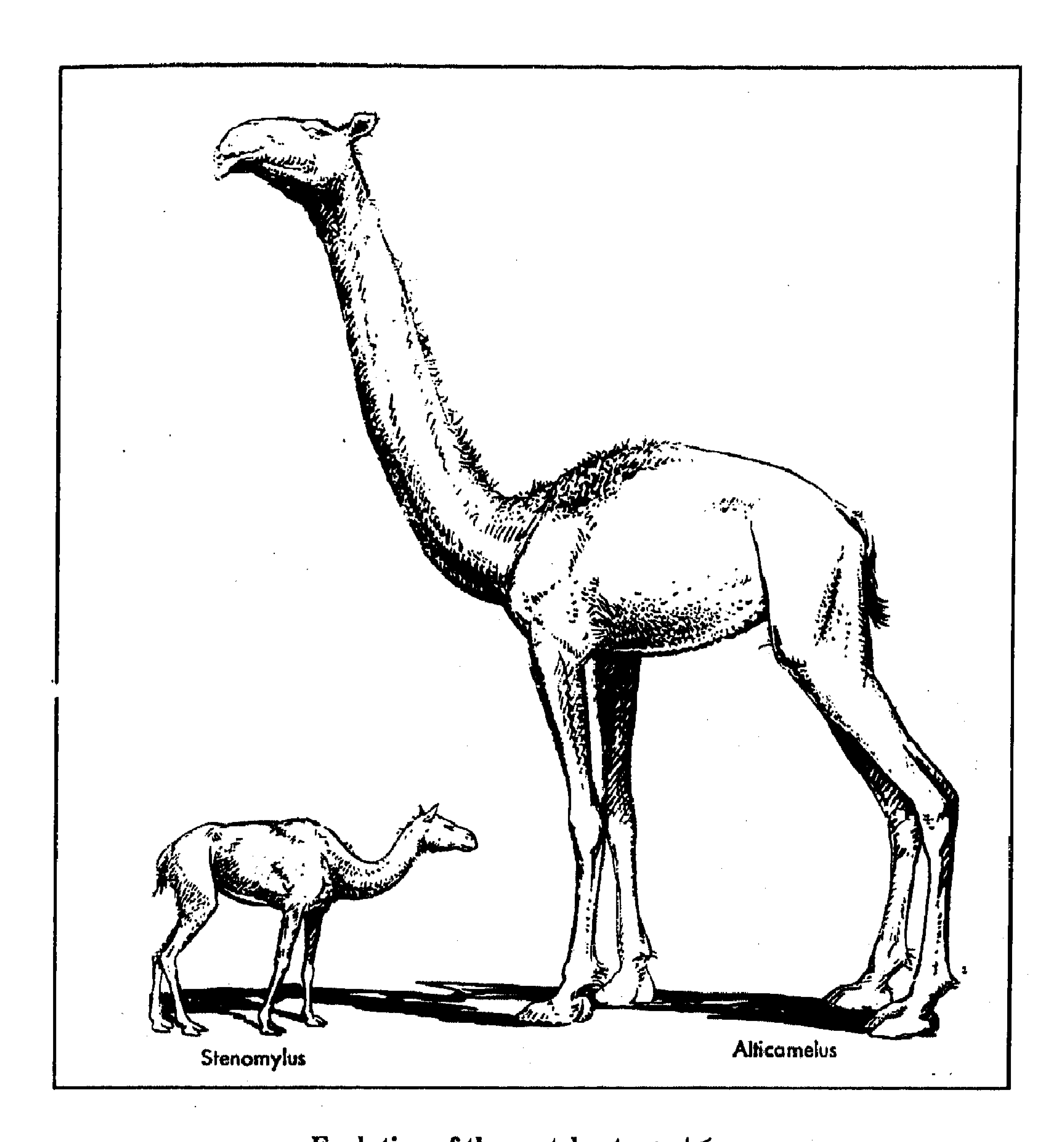
أجاب: نعم، بل ينطبق على خلق الإبل ماجاء عن خلق الإنسان فى قوله جل علاه أن الإنسان قد خُلق من تراب ومن طين ومن طين لازب ومن صلصال من حمأ مسنون ومن صلصال كالفخار ومن نطفة ومن علقة ومن مضغة مخلّقة وغير مخلّقة ومن ماء دافق، كما ينطبق عليها أيضاً قوله جل علاه: **﴿وبدأ خلق الإنسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾**، ولاينطبق عليها قوله جل علاه: **﴿ثم سواه ونفخ فيه من روحه﴾**.

تسألنى: لِمَ يطلب منا الخالق الكريم أن نبحث كيف خُلقت الإبل دون سواها؟

- فى رأيى أن المولى عز وجل ربما لايقصد الإبل فقط، بل يتخذها مثلاً ويقصد جميع المخلوقات، فمن غير المعقول أن يقول لنا - سبحانه وتعالى -: أفلا ينظرون إلى الحصان كيف خلق وإلى الأسد كيف خلق وإلى الذبابة كيف خلقت وإلى الثعبان كيف خلق.. إلخ جميع المخلوقات.

كما أن فى التوصل إلى الإجابة عن خلق الإبل إيضاحاً لأن جميع المخلوقات بما فيها الإنسان قد خلقت بكيفية واحدة.

وربما يكون الفرق بين خلق الإنسان وخلق الإبل أن الإنسان قد خلق من عجل، بينما خلقت الإبل صبورة على الجوع والعطش، صبورة على قيظ النهار وبرودة الليل ووعورة الصحراء. كما لاننسى قدرة الإبل على تخزين الماء لمدة طويلة داخل أجسامها. فضلاً عن أن تركيبها الجسمانى يمتاز بصفات متعددة لاتوجد فى كائنات أخرى كالسنام والشفة المشقوقة والخف.



Evolution of the vertebrates :عن كتاب

A History of the Backboned Animals Through Time

Second Edition 1969

by Edwin H. Colbert

إن آيات الخالق الكريم التى لاتفصل الإنسان عن باقى الحيوان كثيرة جدا يمكننا أن نضيف على ماسبق ذكره منها قوله تعالى:

﴿وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها﴾ (هود: ٦).

قد سبق أن بينا أن ذلكما المستقر والمستودع يوجدان فى الحيوان كما هما فى الإنسان.

قال: يصر المفسرون على أن المولى سبحانه وتعالى لم يخلق نوعاً من نوع آخر إذ يصرون على القول بأن آدم ـ عليه السلام ـ قد خلقه الله من طين وخلق حواء من أحد أضلاع آدم.. ويضيفون: أيعجز المولى سبحانه وتعالى أن يخلق من الطين آدما ومن آدم حواء، إن قدرة الله قدرة مطلقة.

أجاب: بنفس المنطق نقول.. وهل يعجز الله جل شأنه أن يحيل غرابا ينعق إلى بلبل يصدح أو حماراً ينهق إلى غزال يمرح؟

الإجابة: بلى، بل قادر على أن يخلق من غراب ينعق حمارا ينهق غير أن إرادة الله ليست عشوائية ولكنها تنفذ بتخطيط دقيق وحكمة فائقة وقوانين ثابتة وضعها جل شأنه بذاته العلية.

لقد خلق الله السموات والأرض فى ستة أيام، ألم يكن قادرا على خلقها فى ست ساعات، بل ست ثوان؟ تمكث أجنة الإنسان فى بطون أمهاتها تسعة أشهر، ألم يكن المولى جل علاه قادرا على أن يتم نموها فى تسعة أيام أو تسعة أسابيع فيوفر على المرأة جهدا وقلقا؟ إذا لم تكن أرحام الأمهات تتسع لوضع أطفالهن إناثا كاملات الأنوثة أو رجالا قد تم نضجهم، بل تضعهم أطفالا رُضَّعاً. ألم يكن المولى قادرا على أن يصل هؤلاء الأطفال إلى تمام النمو جسدا وعقلا فى أربعين يوما أو شهرا بدلا من أربعين سنة؟

عن كل هذه الأسئلة نجيب بأن الله قادر على كل شىء ولكنه يقول:

﴿إنا كل شىء خلقناه بقدر﴾ (القمر: ٤٩).

لقد خلق الله البشر آخر المخلوقات بعد أن خلق النبات والحيوان، غير

منفصل عنهم بل متصل بهم بقوانين ثابتة تجمعهم جميعا. وعن طريق هذا الاتصال يتمكن الإنسان من معرفة نفسه.

إن معرفة الإنسان بقوانين الوراثة قد أخذها كما ذكرنا عن نبات البسلة ثم توسعت معارفه عن طريق ذبابة يطلق عليها ذبابة الدروسوفيلا، بل إنه قد توصل إلى معلومات عن عوامل الوراثة التى يطلق عليها الجينات عن طريق دراسة البكتريا. ويقوم رجال العلم حاليا أو يحاولون الاستفادة بنقل الجينات من كائنات أخرى إلى الإنسان لإصلاح عيوب معينة أو لعلاج أمراض مستعصية. إن قرابتنا لنبات البسلة أو للذباب أو للبكتريا هى لحكمة وضعها الخالق الكريم لمصلحتنا نحن البشر.

أليس اشتراكنا مع البكتريا والطحالب والأسماك أو الضفادع أو الثعابين أو غيرها فى جينات معينة دليلا على اتصال بعضنا البعض فى شجرة واحدة من الأحياء تكون البكتريا والطحالب فى قاعدتها ويكون الإنسان البشر على قمتها؟

قال: لقدجاء بالقرآن المجيد اسم أبينا أنه آدم ـ عليه السلام ـ، كما جاء ذلك أيضا على لسان نبينا الكريم فلِمَ تريد لنا أن نغير اعتقادنا بل عقيدتنا وتعود بنا إلى الوراء إلى كائنات من البكتريا أو الطحالب؟

أجاب: فى رأيى أن الخالق الكريم لم يُرِد لنا ونحن نوع واحد بين ملايين من الأنواع من الأحياء خلقها بحكمة فى هذا الكون الواسع، لم يرد لنا أن نكون كلقطاء لانعرف لنا أبا أو أصلا فسمى لنا أبانا ونادانا يابنى آدم، بالضبط كما نسمى أنفسنا نحن الأفراد باسم ينتهى بالجد الثالث أو الرابع أو الخامس، ولاتنفى تلك التسمية أننا نعود إلى آدم، ومن شاء أن يبحث لنفسه عن جد أبعد من السادس أو السابع فليبحث.

وفى هذا المجال لاننسى ماقاله فضيلة الإمام الشيخ محمد عبده بأنه لايوجد بالقرآن الكريم نص قاطع بأن آدم أبو البشر بجميع أنواعه.

قال: هل يوجد دليل نراه رأى العين يوضح صحة التطور؟

أجاب: إن التطور فى الكائنات الحيوانية الولودة يحدث فى أرحام

الأمهـات، فى داخل ماتحـمله من الأجنة، فى داخل ماتحـمله تلك الأجنة من خلايا، فـى داخل ماتحمـله تلك الخلايا من كـروموزومـات نشأت من التـقاء أبوين، فى ماتحـمله تلك الكروموزومات من جينات، فـهل يمكن لأحد منا أن يرى تلك الجينات؟

عندما نشأ إنـسان بشر عن إنسان سابق له، وهذا عـن إنسان أسبق، وهذا الأخير عن كائن يسبقـه، إنما حدث ذلك عن طريق الجينات التى تحملها الأجنة فى أرحام أمهاتها.

إن علماء الأجنة وعلماء التشـريح يقولون أن الجنين فى الإنسان الحالى فى رحم الأم يمر بمراحل لايمكن أن نفرقها عن جنين السـمكة أو الضفدعة أو القرد حسب مراحل نموه (ملحق رقم ٦).

يقول رجال العلم فى ذلك Ontogony recapitulates phylogeny:

وتلك العـبارة تعنـى أن المراحل التى يمر بها جـنين فرد من نوع مـعين فى رحم أمه تلخص مراحل تطور ذلك النوع فى حيـاته على الأرض. ويستنتجون من ذلك أن مراحل تكوين الإنسان الفرد خلال ٩ أشهر فى رحم أمه هى نفسها مـراحل تطور الإنسان - كنوع - على مـدى يزيد على ٣ آلاف مليـون سنة[1]، فإذا مر الجنين بمراحل تشبه الأسمـاك والضفادع والقردة على سبيل المثال، ذلك لأن الإنسان كنوع قد مر بمراحل تشبه تلك الأحياء.

إن سـجل الحفـريات التى وجـدت فى باطن الأرض وتمثل الأحـيـاء التى عاشت فى حقب مختلفة من الماضى البعيد تزخر بما يؤيد تطور الأحياء.

لقد تطور الحـصان على مدى ستين مـليونا من الأعوام، وقد وضـحنا ما وجد للإنسان من حفريات من جماجم وعظام تختلف فى شكلها وفى تدرجها إلى أن وصلنا إلى الإنسان الحالى.

وهناك بعض الظواهر الـتى تحدث أمـام أعيـننا نمر عليـها مـر الكرام رغم

---

(١) يقدرون أن بدء ظهـور أول كائنات حيـة من خلية واحدة فى البـحار كان منذ ٣ آلاف ومـائة مليون سنة.

مايكون لها من دلالة.. على سبيل المثال قد تلد إحدى النساء طفلا له ذيل وقد تلد أخرى طفلا جسمه مغطى بالشعر، بل إن الإنسان الحالى وهو جنين فى بطن أمه يكون ذا ذيل يختفى قبل ولادته كما يكون جسمه مغطى بالشعر.

إن وجود هذا الذيل وتغطية جسم الجنين بالشعر دليل على انتسابنا نحن البشر إلى أصول من الكائنات كانت تحمل ذيلا ويتغطى جسمها بالشعر، وبذلك لايقتصر رجوعنا إلى الوراء إلى آدم ـ عليه السلام ـ بل يرجع إلى مراحل أبعد من ذلك بكثير.

ونخلص من ذلك.. أن الخطوات الأساسية فى خلق الإنسان كنوع على مدى مايزيد على ثلاثة آلاف مليون من السنين التى بدأت بكائنات بسيطة فى رحم أمه الأرض ويقول عنها الخالق الكريم: **﴿والله أنبتكم من الأرض نباتا﴾**، كما يقول: **﴿مالكم لاترجون لله وقارا * وقد خلقكم أطوارا﴾**.. ويقول: **﴿وبدأ خلق الإنسان من طين﴾**، ويقول أيضا: **﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾** يمثلها خطوات خلق الإنسان كفرد يتمها المولى جل شأنه فى تسعة شهور فى رحم أمه المرأة.

إن خلق الإنسان قد بدأ ببداية خلق سائر المخلوقات، وقد استكمل الله ـ سبحانه وتعالى ـ خلقه فى مرحلة تالية بعد أن استوفى خلق باقى المخلوقات من نبات وحيوان وإنسان سابق للبشر، ويتضح من ذلك أن مراحل خلق البشر تشتمل على مراحل خلق سائر المخلوقات فى سلم التطور.

ويتضح من آيات خلق الإنسان فى سورتى السجدة والمؤمنون أن المولى جل علاه قد استخدم أداة العطف (ثم) فى توضيح التطور من نوع إلى نوع، واستخدم (فاء العطف) فى توضيح تشكل الجنين فى رحم أم من إنسان أو حيوان إلى أن تضعه وليداً.

يقول المولى فى سورة السجدة: **﴿وبدأ خلق الإنسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين * ثم سواه ونفخ فيه من روحه﴾**.

فى ذلك القول الكريم نرى أن الإنسان بعد بدء خلقه من كائنات من خلية

واحدة من طين تطورت تلك المخلوقات سلالة وراء سلالة عن طريق الماء المهين وهو مادة الوراثة إلى أن سواه ونفخ فيه من روحه.

هذه المراحل قد وضحها المولى جل علاه فى سورة المؤمنون إذ يقول: **﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾**.

من هذا القول الكريم يتبين أن الله خلق الإنسان من سلالة من كائنات بدأ خلقها في صورة كائنات بسيطة من طين، كانت تلك الكائنات تتكاثر لاجنسياً بغير ذكور أو إناث وتشمل الحيوانات البسيطة عديدة الخلايا مثل الإسفنج والهايدرا. (وتشمل تلك المرحلة أيضاً النباتات غير المزهرة).

ثم انتقلت الأحياء إلى المرحلة التالية فى قوله جل شأنه: **﴿ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين﴾**، هنا انتقلت الأحياء إلى مرحلة الأسماك ثم البرمائيات ثم الزواحف. (وتشمل أيضاً النباتات المزهرة).

بعدها يقول سبحانه: **﴿ثم خلقنا النطفة علقة﴾**، وعندئذ انتقلت الأحياء إلى مرحلة أخرى هى مرحلة الثدييات التى تلد صغاراً(*). وأوضح سبحانه مراحل تشكل جنين هذه الأحياء فى قوله: **﴿فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً﴾**.

وهنا انتهت مرحلة خلق الحيوانات السابقة للإنسان. بعدها يقول جل علاه: **﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾** بما يعنى أنه بلغ بخلقه مرحلة إنسان يختلف عن جميع الحيوانات الولودة التى سبقته.

انتقل هذا الإنسان إلى مرحلة تالية بقوله جل علاه فى سورة السجدة: **﴿ثم سواه ونفخ فيه من روحه﴾**، وهنا أصبح الإنسان بشراً سوياً خليفة لله فى الأرض.

أى أن مراحل خلق الإنسان البشر قد صورها عز وجل فى صورة متكاملة

(*) تشترك الطيور أيضاً فى تلك المرحلة.

إذا أخذنا مدلول الآيات في سورتى السجدة والمؤمنون مجتمعتين، بما يوضح أنها مراحل ست نجملها فيما يلى:

١ ـ خلق من طين (كائنات من خلية واحدة) كما جاء في سورة السجدة.

٢ ـ سلالة من طين (كائنات عديدة الخلايا تتكاثر لاجنسياً) كما جاء في سورة المؤمنون.

٣ ـ نطفة في قرار مكين (حيوانات فقارية تضع بيضاً) «الأسماك ـ البرمائيات ـ الزواحف» كما جاء في سورة المؤمنون.

٤ ـ علقة (حيوانات ولودة) كما جاء في سورة المؤمنون.

٥ ـ خلق آخر (إنسان لم يصل لمرحلة البشرية بعد) كما جاء في سورة المؤمنون.

٦ ـ إنسان بشر (سواه ونفخ فيه من روحه) كما جاء في سورة السجدة.

وسألخص بعض مايقوله علماء التفسير الحاليون وما رأيت أن أعرضه حسب ماتوصل إليه رجال العلوم قديما وحديثا ويشمل ذلك ماأسموه علم الهندسة الوراثية..

في المبدأ نقول أن الخالق الكريم عز وجل قد خلق الكون كله من مادة وأحياء طبقا لقوانين ثابتة وضعها جل وعلا.. دليل ذلك قول العليم الخبير لمن يدعُون بأن المسيح عيسى ابن مريم هو ابن الله:

﴿وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له مافى السماوات والأرض كل له قانتون * بديع السماوات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ (البقرة: ١١٦، ١١٧).

كما يقول:

﴿بديع السماوات والأرض أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة﴾ (الأنعام: ١٠١).

وقد أجمع المفسرون على أن كلمة صاحبة تعنى زوجة.. ورغم أن الله سبحانه إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون إلا أنه قد ذكر أنه لم يكن له ولد لأنه لم يتخذ زوجة، أى أن من سنن الله في الكون ألا يولد مولود بغير

أبوين . . مستشهدا بأنه عز شأنه لم يتخذ زوجة ومن ذلك نرى أنه جل علاه يخلق مخلوقاته «بما فيها آدم وحواء» بقوانين ثابتة وفى ذلك يقول:

﴿إن ربى على صراط مستقيم﴾ (هود: ٥٦).

كما يقول:

﴿سُنَّة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسُنَّة الله تبديلاً﴾ (الأحزاب: ٦٢).

جاء فى الذكر الحكيم:

﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً * إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج﴾ (الإنسان: ١، ٢).

يقول المفسرون أن كلمة «الإنسان» فى الآية الأولى تعنى «آدم»، ويقولون أن عبارة «حين من الدهر» تعنى أربعين سنة، إذ يقولون أن المولى عز وجل قد خلق آدم من طين وتركه ليجف ليصبح صلصالاً كالفخار فى مدة أربعين سنة[1]. كما يفسرون كلمة الإنسان فى الآية الثانية بأنها أبناء آدم. . وفى رأيى أن عبارة «حين من الدهر» رغم أنه عز شأنه لم يوضح مدة هذا الحين إلا أن اقتران ذلك الحين بالدهر لايوحى بأن يكون القصد منه ٤٠ سنة فقط، علاوة على ذلك فإن قول المفسرين حين يعتبرون أن الإنسان فى الآية الأولى ليس هو الإنسان فى الآية الثانية، يعتبر تفسيرا متكلفا.

إن التفسير الذى يتمشى مع العلم أن الإنسان فى الآية الأولى هو إنسان لم يكن قد وصل إلى مرحلة الإنسان البشر الذى قد سواه الله ونفخ فيه من روحه.

لم يكن هذا الإنسان شيئا ذا قيمة. . ومن أمثلته إنسان بكين وإنسان جاوه وإنسان الترنسفال، وجميع هؤلاء بما فيهم الإنسان البشر قد خلقوا من نطفة أمشاج.

---

(١) جاء فى بعض كتب التفسير أن إبليس كان يتعجب لِمَ صنع الله هذا التمثال (قبل أن ينفخ فيه الروح) الأجوف (غير مصمت) وكان يدخل من فمه ويخرج من مؤخرته.

يقول العلى العظيم:

﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم ما لاتعلمون﴾ (البقرة: ٣٠).

من الآية السابقة ترى أن المولى عز وجل عندما تحدث مع الملائكة ذلك الحديث لم يكن قد خلق الإنسان البشر بعد، إذ أننا نعلم جميعا أن الملائكة لايعلمون الغيب، أى أنه قد كان على الأرض فى ذلك الوقت من يفسد فيها ويسفك الدماء، فكيف نفسر ذلك؟ يقول بعض علماء التفسير أن الجان كانوا المقصودين بذلك ويقول البعض الآخر أن الملائكة قد عرفوا ذلك المستقبل بعلم خاص وأن الله سيخلق إنسانا يفسد فى الأرض.

وأرى أن من يفسد فى الأرض ويسفك الدماء كان إنسانا سابقا للبشر، قد رأته الملائكة رأى العين، قد يكون إنسان بكين أو ترنسفال أو النياندرتال.. أما القول بأن الجان كانت تسفك الدماء فنعلم جميعا أن الجان لاجسد لهم ولا دماء، ولم يكن الإنسان البشر قد خلق بعد.

جاء فى الذكر الحكيم:

﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ (الأعراف: ١١).

يقول المفسرون أن المقصود بكلمة «خلقناكم» هو أن الله خلق أباكم آدم وصوره[١].

ألا يُعَد ذلك تفسيرا متكلفا؟

أرى فى تفسير ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد خلقنا (كإنسان لم يصل إلى مرحلة البشرية بعد وصورنا) قبل أن يخلق آدم، إذ أنه بمجرد أن تم خلقه أمر الملائكة بالسجود له.

وهذا يعنى أن المولى عز وجل قد خلق أنواعاً من الإنسان قد سبقت خلق البشر.

---

(١) تفسير الجلالين.

يقول الحق سبحانه:

﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون * والجان خلقناه من قبل من نار السموم * وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون * فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾ (الحجر: ٢٦ ـ ٢٩).

يعتبر المفسرون أن كلمتى إنسان وبشر مترادفتان، أى أنهما تحملان نفس المعنى أى أن البشر هم الإنسان، وأرى أن قواعد اللغة العربية توضح أن الإنسان كان قد خلق فعلا، عندما قال للملائكة أنه خالق (أى أنه يخلق أو سيخلق) بشرا من نفس مادة الإنسان، وعلى الملائكة حين يتم سواؤه والنفخ فيه من الروح العلية أن يسجدوا له. لقد أمر الله الملائكة بالسجود لبشر وليس السجود لإنسان.

أما القول بأن كلمة إنسان مرادفة لكلمة بشر.. فقد قال أحد أئمة الدعاة والتفسير ـ فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ـ بأنه لايوجد مرادفات فى كتاب الله الكريم، كل كلمة لها معناها الدقيق، وإن تشابهت الكلمات فى ظاهرها. وقد أوضحت الفروق من الناحية العلمية بين كلمات أناسىّ وناس وإنسان وأُناس وبشر.

ويؤيد رأينا فى عدم تطابق كلمتى إنسان وبشر أن الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم لم يطلق على أى من رسله وأنبيائه من آدم عليه السلام إلى خاتم المرسلين محمد ﷺ لفظ «إنسان».. ولنقرأ معاً قوله سبحانه عن نوح ـ عليه السلام ـ:

﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إنى لكم نذير مبين * أن لاتعبدوا إلا الله إنى أخاف عليكم عذاب يوم أليم * فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا﴾ (هود: ٢٥ ـ ٢٧).

﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون * فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم﴾ (المؤمنون: ٢٣ ـ ٢٤).

وعن هود ـ عليه السلام ـ:

﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرناً[1] آخرين * فأرسلنا فيهم رسولاً منهم أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون * وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم فى الحياة الدنيا ماهذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون * ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذن لخاسرون﴾ (المؤمنون: ٣١ ـ ٣٤).

عن صالح ـ عليه السلام ـ:

﴿كذبت ثمود المرسلين * إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون * إنى لكم رسول أمين﴾ (الشعراء: ١٤١ ـ ١٤٣).

﴿قالوا إنما أنت من المسحرين * ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين﴾ (الشعراء: ١٥٣ ـ ١٥٤).

عن شعيب ـ عليه السلام ـ:

﴿كذب أصحاب الأيكة المرسلين * إذ قال لهم شعيب ألا تتقون * إنى لكم رسول أمين﴾ (الشعراء: ١٧٦ ـ ١٧٨).

﴿قالوا إنما أنت من المسحرين * وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين﴾ (الشعراء: ١٨٥ ـ ١٨٦).

عن موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ:

﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين * إلى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوماً عالين * فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون﴾ (المؤمنون: ٤٥ ـ ٤٧).

عن يوسف ـ عليه السلام ـ:

﴿وقلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم﴾ (يوسف: ٣١).

---

(١) قوم عاد أرسل إليهم سيدنا هود (تفسير الجلالين).

عن محمد ﷺ:

﴿وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء﴾ (الأنعام: ٩١).

﴿ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت إلا بشراً رسولاً * وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً﴾ (الإسراء: ٩٣ ـ ٩٤).

﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىَّ أنما إلهكم إله واحد﴾ (الكهف: ١١٠، فصلت: ٦).

﴿هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون﴾ (الأنبياء: ٣).

﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون﴾ (الأنبياء: ٣٤).

عن رسل أُخر:

﴿واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون * إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون * قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون﴾ (يس: ١٣ ـ ١٥).

وعن الرسل عامة الذين أرسلوا بعد آدم:

﴿وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن فى الأرض جميعاً فإن الله لغنى حميد * ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم فى أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفى شك مما تدعوننا إليه مريب * قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السماوات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين * قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم﴾ (إبراهيم: ٨ ـ ١١).

﴿ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غنى حميد﴾ (التغابن: ٦).

من كل تلك الآيات نرى أن الله سبحـانه لم يطلق لفظ «إنسان» على نبى أو رسول من رسله صلوات الله عليهم إلى أبناء آدم بل كـان يصفهم بأنهم بشر مما يؤكد عدم مطابقة الإنسان للبشر.

جاء فى الكتاب المجيد:

﴿وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ (السجدة: ٧).

﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ (المؤمنون: ١٢).

يقول المفسرون أن معنى كلمة إنســان فى سورة السجدة أنه آدم عليه السلام ومعناها فى سورة المؤمنون أبناء آدم. وفى رأيى أن كلمـة الإنسان فى السورتين لها مـعنى واحد، بدأ خلق الإنسان من طين، مـن كائنات بدأت من طين وأنه خُلق فـعلا مـن سلالة من طين أى من ســلالة لتلك الـكائنات التى بدأت من طين.

يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿فلما تغشاها حـملت حملاً خفيفاً فمرت به فلمـا أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين﴾ (الأعراف: ١٨٩).

يقول بعض المفسرين فى قـول الله سبحانه **﴿لئن آتيتنا صالحا﴾** تعنى لئن آتيتـنا مولودا ذكـرا سويا، ويقـول آخرون إن آدم وحواء كـان يولد لهمـا أبناء مشوهون منهم من كان على صورة البهائم.

وإذا كان التفـسير الأخير صحـيحا فإنه يعتـبر صحيحا أيضـا من الناحية العلمية وأن آدم وحواء قد نشآ من كائنات أخرى لم تكن قد وصلت إلى مرحلة البشـر بعد، يؤيد ذلك القـول الحكيم: **﴿ولقـد خلقنا الإنسان من سـلالة من طين﴾**. ويجب ألا ننسى فى هذا المجال أن بعض النسوة إلى الآن قد يلدن أبناء مشـوهين منهم من يحمل بعض صفـات الحيوان، إذ أن عوامل تلك الصـفات (الجـينات) قد ورثهـا الأبوان أو أحدهمـا من أجـداد سابقين تعـود إلى أصل حيوانى، ولم تنحسر تلك العوامل بعد.

يقول الخلاق العليم:

﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض﴾.

يقول المفسرون أن الله اصطفى آدم ومن ذريته نوحا وآل إبراهيم وآل عمران.

ولكنى أرى أن آدم فى ذلك القول قد نص على أنه هو أيضا «ذرية» أى أنه ذرية لإنسان يسبقه وهذا يؤيد القول الكريم بأن الإنسان خلق من سلالة من طين.

ويجدر بالذكر أن نقول أنه قد جاء فى تفسير المنار، أنه قد نقل عن الإمامية والصوفية أنه قبل آدم المشهور عند أهل الكتاب وعندنا (سيدنا آدم) آدمون كثيرون وذكر أحد الإمامية أن الله تعالى خَلَق قبل آدم ثلاثين آدماً بين كل آدم وآدم ألف سنة. وإذا صح هذا فهل خلق المولى سبحانه وتعالى كل آدم منهم من طين منفصلا عن الآخرين؟

الإجابة المنطقية أنهم قد خلقوا من بعضهم البعض. يعتبر هذا الرأى صحيحا إذا اعتبرنا أن هؤلاء الأوادم هم أنواع مختلفة من الإنسان تسلسلت من بعضها البعض ومنبتها من كائنات من طين مثل الأنواع التى سبق ذكرها.

وهناك بينة أخرى من آيات الذكر الحكيم توضح أن آدم ـ عليه السلام ـ وذريته جميعا هم سلالة كائن سابق. قبل أن أبين ذلك عليك أن تجيبنى.. ماذا يعنى الخالق الكريم بلفظ إنس؟

أجاب: جاء فى معجم ألفاظ القرآن الكريم ـ بل فى جميع المعاجم ـ أن لفظ إنس يعنى الناس، وبعبارة أخرى إنهم الإنسان جميعه.

قال: يقول عز من قائل:

﴿يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾ (الأنعام: ١٣٠).

ثم يقول بعد ذلك فى نفس السورة:

﴿وربك الغنى ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم مايشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين﴾ (الأنعام: ١٣٣).

ومن ذلك يتضح أن الإنس قد أنشأهم الخالق الكريم من ذرية قوم يسبقونهم.

قال: ربما كان لفظ «إنس» يعنى أبناء آدم دون آدم.

أجاب: لو كان الأمر كما تقول، إذاً لقال المولى جل جلاله، كما أنشأكم من ذرية آدم.

أضف إلى ذلك.. يقول جل علاه:

﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات: ٥٦).

فلو كان آدم أباً للإنس دون أن يكون واحدا منهم، إذاً فلا هو من الإنس ولا من الجن، فمن يكون؟.. وهل يستثنى دون الجن والإنس عن عبادة الله عز شأنه ؟!

وهناك إضافة أخرى، يعتبر علماء الدين أن آدم رسول من الرسل، إذاً ففى قول الله سبحانه وتعالى للإنس **﴿ألم يأتكم رسل منكم﴾** تأكيد بأن آدم رغم أنه أبو الإنس فهو أيضا واحد منهم (من الإنس).

ونخلص من كل ماتقدم وبنص آيات الكتاب المجيد.. أن آدم وأبناءه من الإنس إنما هم ذرية قوم آخرين، قوم أثبت رجال العلم أنهم إنسان يسبق الإنسان البشر.

إنسان قال عنه المولى عز وجل فى سورة الإنسان:

﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾.

. كما قال عنه فى سورة المؤمنون أنه كان نطفة فى قرار مكين ثم علقة ثم مضغة خلقت عظاما ثم كساها الخالق الكريم لحما، وشأنه فى الخلق شأن الإبل التى يطلب منا الخالق عز شأنه أن ننظر كيف خلقت، وشأنه أيضا شأن باقى الحيوانات الثديية الولودة، ومن هذا الإنسان الأخير نشأ الإنسان البشر. وفى ذلك يقول جل من قائل فى سورة المؤمنون:

﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾.

قال: أرى واجبا علىَّ أن أذكرك بأن بعض المفسرين قد نهوا عن البحث فى خلق الإنسان وخلق السماوات والأرض قائلين أن من يقدم على هذا هو من الضالين المضلين لأن رأيه أن الإنسان لم يشهد خلق نفسه ولا خلق السماوات والأرض[1] مستندين إلى قول القوى المتين:

﴿ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وماكنت متخذ المضلين عضداً﴾ (الكهف: ٥١).

ويستطرد هؤلاء المفسرون بأن خلق الإنسان قد أوضحه المولى عز وجل فى آياته بأنه قد خلق الإنسان بدءا بآدم ـ عليه السلام ـ بأن خلقه من طين بعد أن جف وصار كالصلصال ولاينبغى لأحد أن يحيد عن ذلك التفسير.

وخلافاً للرأى السابق الذى طرحه بعض المفسرين فإن الآية السابقة (الكهف: ٥٠) توضح أن من لم يشهد خلق نفسه ولاخلق السموات والأرض هم إبليس وذريته، وأن الله سبحانه لم يتخذهم عضدا.. إذ يقول جل جلاله:

﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً * ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وماكنت متخذ المضلين عضداً﴾ (الكهف: ٥٠، ٥١).

من الآيتين السابقتين نرى بوضوح أن من لم يُشهدهم المولى الكريم خلق السماوات والأرض ولاخلق أنفسهم هم إبليس وذريته وأنه لم يتخذهم عونا. إننا لو أخذنا برأى بعض المفسرين بأن الإنسان هو المقصود فى تلك الآيات لوقعنا فى حرج شديد ومأزق خطير، إذ ذلك يعنى أن الله عز وجل يقول لنا لاتصدقوا شيئا إلا بعد أن تروه رأى العين وبذلك نعطى للملحدين وللكافرين سلاحا خطيرا يحاجوننا به. إذ يقولون أننا لم نر الملائكة ولا الجان لكى نؤيد وجودهم، بل إننا لم نر الله لكى نؤمن به.

إننا لو قبلنا التفسير السابق الذى يقول به هؤلاء المفسرون لكان حقا لقوم موسى ـ عليه السلام ـ أن يطلبوا منه أن يروا الله جهرة لكى يؤمنوا به:

(١) معجزة القرآن ـ محمد متولى الشعراوى.

﴿وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون﴾ (البقرة: ٥٥).

قال: لقد ذكرنا أن الآيات التى وردت بالكتاب المجيد فى خلق الإنسان آيات شتى إذ جاء بها أن الإنسان خلق من ماء ومن ماء مهين ومن ماء دافق وخلق من نطفة ومن علقة ومن صلصال ومن طين لازب ومن نفس واحدة، إذن فمن الواجب علينا أن نبحث عن التفسير الذى يجمع بين تلك الأقوال، إنه لايصح أن نتقيد بحرفية الألفاظ دون مراميها. فقد جاء أيضا أن الإنسان قد خلق من عجل، كما جاء أنه قد خلق من ضعف. إن البحث فى خلق الإنسان وخلق السماوات والأرض يوضح لنا عظمة الخالق الكريم وآياته الكبرى. وقبل أن أختتم حوارى معك لايفوتنى أن أذكر أن غالبية الناس يرون أن فى انتسابنا لغيرنا من الحيوان مسبّة وعارا.

أجاب: نقول لهؤلاء أن كتاب الله الكريم مفعم بالآيات التى توضح ذلك الانتساب.

يقول الحق سبحانه:

﴿قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ (العنكبوت: ٢٠).

ولما كانت كلمة الخلق تعنى (حسب تفسير مجمع اللغة العربية) - معجم ألفاظ القرآن الكريم - تعنى المخلوقات، فإن معنى ذلك أن جميع المخلوقات من نبات وحيوان وإنسان قد بدأت بداية واحدة ثم أخذت فى التفرع والتنوع وظهر فى النهاية الإنسان البشر، بل إن انتسابنا للنبات والحيوان هو الأساس الذى يبنى عليه وجودنا فأنسجتنا قد تكونت من أنسجتها، كما أن معرفتنا بأنفسنا تتم عن طريق معرفتنا بغيرنا من النبات ومن الحيوان الذى تعود جذورنا إليه.

إن قرابتنا للحيوان والتى يقول عنها الخلاق العظيم، وأنه خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا، تلك القرابة هى التى مكنت الأطباء من تجربة الأدوية الجديدة على حيوانات التجارب من الفئران البيضاء والأرانب والقردة وغير ذلك قبل استخدامها فى الإنسان.

إن دراسة الكائنات المختلفة من البكتريا إلى القردة العليا هى التى مكنتنا

من معرفـة الكثير من آيات الله فى خلق أنفسنا والتى يطالبـنا بها الله عز وجل حين يقول:

﴿وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾.

قال له صاحـبه: هل جاء بالحديث الشريف للرسول الكريم ﷺ، مـايشير بأن الله سبحانه وتعالى قد خلق البشر متطورين عن كائنات تسبقهم؟!!

أجاب: جاء بالحديث الشريف أن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض. جـعل منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن وبين ذلك، والخبيث والطيب وبين ذلك.

يعتبر المفسرون أن الله الكريم قد قبض قبضة من جميع تراب الأرض فأتى أبناء آدم مختلفين باختلاف وجه الأرض، ولو تمعنا فى الحديث الشريف نجد أن المولى سبحانه وتعالى قد قبض قبضة من جميع الأرض وليس من ترابها فقط. ولاشك أن الأرض حينئذ وقبل أن يخلق آدم ـ عليه السلام ـ كانت تشمل عالم المادة من سهـول وجبـال ووديان كما كـانت تشمل عـالم الأحياء مـن نباتات مختلف ألوانها ومذاقها ومن حيوانات شتى تختلف فى طباعها وصفاتها.

لقد خلق الخـلاق العظيم البشـر بداية بآدم من قبضـة قبـضها من جـميع الأرض بجميع محتوياتها من مـادة وأحياء.. وبذلك يمكننا أن نستنتج أن البشر لم يخلقوا من مادة الأرض ـ من ترابها وطينها فقط بل أيـضا من أحيائها فجاء أبناء آدم شـديدى التـباين لما يـحملون من عـوامل الصـفـات التى ورثوها عن أسلافهم من نبات وحيوان، فهذا أسد هصور وذاك قرد غيور، ذاك ثعلب ماكر وهذا ذئب غادر، ذاك أرنب رعـديد وهذا جواد صنديد، هذا سطحى مـتسلق وذاك دقيق متعمق، تلك زنبقة بيضاء وهذه وردة حمراء، تلك غصن بان وهذه شجرة لبـان، تلك ثمرة شهية وهذه شـوكة أبية، تلك نمرة مفـترسة وهذه قطة وديعة مستأنسة، تلك نعامة بلهاء وهذه حية رقطاء.

ولاعجب فقد خلقهم مولاهم من قبضة من جميع الأرض مادة وأحياء.

وجدير بالذكر قول رجل العلم أن عوامل الصفات التى يرثها الأحياء.توجد

على الكروموزومـات التى يحملهـا رأس الحيوان المنوى وتحـملها نواة البـويضة ويقولون أننا لو جـمعنا الحيوانات المنوية التى خلق مـنها جميع البشـر الحاليين والسابقين مازاد حجمها على قرص من الأسبرين وتبلغ حجم نويات البويضات مثل ذلك.

قال: جاء فى قول الرسول الكريم ﷺ أن الله سبحانه قد خلق آدم ـ عليه السلام ـ فى يوم الجمعة كما توفاه فى يوم الجمعة.. فهل معنى ذلك أن الله قد بدأ خلق آدم من طين، ثم أتم خلقه فى يوم الجـمعة بعد مـرور أكثر من ثلاثة آلاف مليون من الأعوام؟

أجاب: إن الله خلق الكون كله بما فيه من مادة ونبات وحيوان وإنسان فى ستة أيام، وقد جاء فى كتـاب خلق السموات والأرض للمؤلف أن الأيام الستة لاتعنى أياما بقياسنا نحن بل بقياس المولى الكريم فإنها تعنى ست مراحل، فإذا اعتبرنا المرحلة الأولى تعنى يوم الأحد والثـانية تعنى يوم الاثنين والخامسة تعنى يوم الخميس، فإن يوم الجمعة يعني المرحـلة السادسة، ولقد خلق الإنسان البشر فى آخر المراحل الست، أى أن آدم قد خلق فى يوم الجـمعة من أيام المولى جل وعلا وتـوفى فى يوم الجمـعة من أيامنا نحن البـشر.. لقـد خلق آدم فى يوم الجمعة من أيام السماء ومات فى يوم الجمعة من أيام الأرض. علاوة على ذلك فإن خلق آدم (الإنسان البشر) بالنسبة للأحياء جاء أيضاً فى المرحلة السادسة كما وضحنا. أى أنه يوم الجمعة أيضاً.

قال له صاحبه:

إذا كنتم تدعون أن الإنسان الحالى قد نشأ عن إنسان يسبقه وأن هذا الأخير سـلالة لكائنات أسبق.. فـهل يمكنك أن تعـود بنا إلى الوراء محـدداً أسمـاء هؤلاء، كائن قبله كائن إلى منبت خلق الإنسان؟

أجاب: إن مـاتطلبه هو المستـحيل بعينه. ذكـرنا أن العلماء يقدرون عـمر الأرض بأربعة آلاف وستمـائة مليون من السنين وأنهـا أخذت تبـرد مدة ألف مليون من الأعوام، ثم تحول الطين إلى طين لازب على مدى خـمسمائة مليون من السنين بعـدها أنبت الخالق الكريم أول خليـة حية؟ بمعنـى أول كائنات من

الأحياء. أخذت تلك الكائنات فى التطور والتشكل بدءاً من البكتريا والطحالب إلى الحيـوانات البسيطة مـثل الإسفنج والديدان البـحرية، وبلغت هذه الحقـبة ٢٥٠٠ مليون من الأعوام. وهنا بدأ ظهور الفقـاريات (منذ ستمائة مليون سنة) الأسماك والبـرمائيات ومنها ظهرت الزواحف مـنذ ٣٧٠ مليوناً من الأعوام.. ومن تلك الأخـيرة ظهـرت الطيور والثـدييات لمدة ٦٣ مليـوناً من السنين ومن الثدييات ظهـرت الرئيسيات التى تشمل القردة والقـردة العليا والإنسان منذ ٣٠ مليوناً من السنين.

وقـد توصل الـعلمـاء إلى تلك المعـلومـات عن طريق الحـفـريات التي وجـدت.. فيـما أطلق عـليه العـامود الجيـولوجى (وهى مناطق فى الأرض احتفظت بترتيب طبـقاتها دون تغير) كما أمكن حساب عـمر تلك الطبقات عن طريق اليورانيوم والكربون١٤ وغيرهما.

إن الإنسان الحـالي هو ثمرة الأحيـاء جميعـها، إن ثمرة البـرتقال لم تكن ورقة أو غصناً أو فرعاً أو ساقاً أو جذراً فى يوم من الأيام، ولكن الصحيح أنها كانت بذرة أنبتت شجرا، عندما تهيأت تلك الشجرة للإثمار أنبتت براعم زهرية تحولت إلى أزهار ثم إلى ثمار. وبالمثل لايمكننا القول بأن الإنسان كان إخطبوطاً ثم سمكة من أسـماك البياض أو البورى ثم ضـفدعة ثم ثعبـاناً إلى غير ذلك. ولكن الأصح أن نقول أن الإنسـان أنبته الـله من الأرض نبتاً من خليـة واحدة نبتت منها شـجرة الأحياء، وعندما تهـيأت تلك الشجرة لظهور الإنسـان البشر ظهرت الحيوانات الثديية فى مبدأ الأمر منذ ٦٣ مليوناً من الأعوام ومنها ظهرت الرئيسيات منذ ٣٠ مليون سنة.

قال: إذا كنتم تنادون بـصحة خلق الإنسـان متطوراً من كائنات سـابقة.. فهل سيتوقف التطور عندنا نحن البشر؟

أجاب: يعلم ذلك «عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال» الذى يقول:

﴿إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأتى بآخرين﴾.

غير أننا يمكننا أن نستقرىء ماقد يحدث (إن أراد الخالق المصور) أن الله إذا

أراد أن يهلك قرية أهلكها بفعل أبنائهـا. هب أن الإنسان الحالى قد ركب رأسه وتناحرت شـعوبه واستـخدمت القنابل الذرية التى نعلـم أثرها فى إبادة الحرث والنسل. نعلم أن الجنين البشرى فى رحم أمه يحمل ذيلاً يضمحل قبل أن يولد طفـلاً، غيـر أن نسـبة ضـئـيلة من الأطفال يـولدون بذيولهم. هب أن هؤلاء الأطفال ذوى الذيول أكثر قدرة على تحـمل الإشعاع الذرى عن باقى الأحياء.. عندئذٍ يكون مستـقبلنا نحن البشر أن نسترد ذيولنا التى نحـمل عوامل وجودها عن أجـدادنا السابقين. وربما سـتكون درجة تحـملنا تخـتلف باختـلاف أطوال ذيولنا. هناك مثل آخر.. لقـد علمنا ماتوصل إليه رجال العلم من مـعرفة كُنه مادة الوراثة التى يطلقون عليها اسم الجينات وهم يحاولون تجربة إدخال جينات من الحيـوان إلى الإنسان لعـلاج أمراض مـعينة، هناك قـول بأن بعض أصناف الشمبـانزى تحمل عوامل وراثية تكسـبها مناعة ضد مـرض الإيدز. لو افترضنا أنهم نجحوا فى إدخال جين معين أو أكثر من الشمبانزى إلى الإنسان وكان لهذا الجين علاقة بنـمو الشعر الذى يغطى الجـسم جميعه، وأن من ينتـقل إليه ذلك الجين سيغطى جسمه بالشعر شأن أسلافنا السابقين للبشر. وأخيراً لو افترضنا أن وباء الإيدز أو غيره من الأوبئـة قد اجتاحت العالم بأسـره يمكننا أن نستنتج أن من سيرثون الأرض ومن عليها هم هؤلاء الأخيرون.

ونحب أن نؤكـد أن الإنسـان فى مـثل تلك الأمـثلة التى ذكـرت لايخلق جـديـداً ولكنه يهـيىء الظروف الملائمـة لكى تُظهـر جـديداً من خلق الواحـد الأحد.

﴿إن الذين تدعـون من دون الله لن يخلقـوا ذباباً ولـو اجـتـمـعوا له﴾ (الحـج: ٧٣).

وأؤكد نقطة أخرى أن ذلك الخلق الجديد «بيـد الخالق الكريم» لايزال يعتبر من الناس، ومـن الإنسـان، ومن الإنـس، ومن بنى آدم لأن الله جل عـلاه يخاطبنا إلى يوم الدين بكل الألفاظ. كما يقول عز شأنه: **﴿هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء﴾**.

كما يقول: **﴿يا أيها الإنسان مـاغرك بربك الكريم * الذى خلقك فسواك فعدلك * فى أى صورة ماشاء ركبك﴾**.

وغنى عن الذكـر أن المولى الكريم قد يطورنا إلى الأفـضل، إما طـفرة أو تدرجاً عن طريق العوامل الوراثية التى نحملها فى مـستقرنا على كروموزومات الخلية وننقلها إلى ذرياتنا فى مستودعها ـ أرحام الأمهات.

وسواء ظللنا على أشكالنا، نحن البشر، أم ارتددنا إلى الأسوأ، أم تطورنا إلى الأفضل فمرجع ذلك إلى مشيئة خالق كل شىء، سبحانه إذ يقول:

﴿مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها﴾ (هود: ٥٦).

كما يقول:

﴿ومامن دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها﴾ (هود: ٦).

قال: هل تعنى أن الله إذا شاء جل جلاله أن يستخلف من بعدنا فسيكون هؤلاء من ذرية آدم؟

أجاب: حاشا لله، سبحانك ربى أن أقول ماليس لى به علم. إنما قصدت أن المولى إن شـاء أن يستخلف مـن بعدنا غيـرنا من بنى آدم، فهـو على ذلك قدير، وإن شاء أن يهلكنا ويستخلف من بعدنا مـايشاء غيرنا نحن بنى آدم فهو على كل شىء قدير، وسبحانه إذ يقول:

﴿والخيل والبغـال والحمـير لتـركـبـوها وزينة ويخلق مـا لا تعلمـون﴾ (النحل: ٨). صدق أصدق القائلين.

التطور حقيقة علمية

قال لـه صاحبـه: يقول علـماء الدين أن التطور مـازال نظرية لم ترقَ إلى مرتبة الحقيقة العلمية، ومن الخطأ أن نربط بين القرآن الكريم والنظريات التى لم تثبت صحتهـا بعد، إذ أنه لو ثبت عدم صحتها فى المستقـبل القريب أو البعيد فإننا نحمل القرآن تبعة هذا الخطأ.

أجاب: هذا القول يعتبر تجنيا على العلم ورجال العلم. ألا يختلف علماء الدين فى الكثـير أو القليـل من الآيات؟ بل أكثـر من ذلك ألا توجد مـذاهب مختلفة مـثل المالكية والشافعية وغـيرهما؟ إذا اختلف المفسرون فى تفـسير قول معين من كتاب الله الكريم أو اتفقوا جميـعا على هذا التفسير، وثبت بعد ذلك عدم صحة تفسيرهم، فهل سـيتحمل القرآن الكريم تبعة هذا الخطأ؟ لاشك أنه فى جميع تلك الحالات، لا ولن يصيب القـرآن الكريم أية شائبة، بل الصحيح أن نقول ببساطة أن العلماء بعضهم أو كـلهم قد أخطأوا فى التفسير. إن عظمة القرآن الكريم، وعظمة الدين الإسلامى أنه دين عقل، يحث على إعمال الفكر ومقارعة الحجة بالحجة، ولاتبعة على من أخطأ بل أكثر من ذلك يقول الرسول الكريم مامـعناه: من اجتهد وأصـاب فله أجران، ومن اجتهـد وأخطأ فله أجر واحد، ويقول الخالق الكريم:

﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً﴾ (الحج: ٤٠).

إن دفع الله الناس بعضهم ببعض لايقتصر على الدفع بالأيدى، ويشمل أيضا الدفع بالرأى.

قال: وماذا عن القول بأن التطور نظرية فقط؟

أجاب: إن التطور لم يعد نظرية فحسب بل أثبت رجال العلم أنه حقيقة، إن دلائل صحة التطور قد ذكرت فى الكتب التى يدرسها تلاميذ المدارس، لاداعى لأن أعدها لك. غير أن الحفرية التى عثر عليها علماء الحفريات فى سنة ١٩٧٤ في الحبشة والتى أطلق عليها اسم «لوسى»، قد أكدت صحة رأى العالم الأسترالى (ريمون دارت) الذى عثر على حفرية فى جنوب أفريقيا فى سنة ١٩٢٤ وسماها الإنسان القرد مما يؤكد علاقة الإنسان الحالى بالقردة العليا. لقد اعتبر العلماء لوسى شبه إنسان إذ أنها كانت تمشى على قدمين، لا على أربع وكانت أسنانها شبيهة بأسنان الإنسان غير أن حجم جمجمتها وشكل رأسها يشبهان القردة العليا مما يدل على أن حجم المخ الذى كانت تمتلكه يبلغ ثلث حجم مخ الإنسان الحالى. وكما سبق ذكره قد عثر على حفريات لأنواع من الإنسان تدرج فيها حجم المخ الذى كانت تمتلكه إلى أن وصل إلى حجم المخ لدى الإنسان الحالى، كما تدرج فى اعتدال قامته إلى أن صار معتدلا تماما. لقد عاشت لوسى منذ مدة قدرت بأربعة ملايين من السنين وقد انحدرت عن كائن أطلق عليه اسم درايبسكس عاش منذ عشرين مليونا من السنين وذلك الكائن هو الأصل الذى نشأت عنه أيضا القردة العليا الحالية.

قال: إذا كان التطور حقيقة علمية ذكرت فى كتب التلاميذ، فلماذا يعترض عليها حتى الآن الكثير، إن لم يكن الغالبية من رجال العلم؟

أجاب: إن ما ذكر عن خلق آدم وحواء بسفر التكوين من الكتاب المقدس يتعارض تماما مع نظرية التطور، أما ماذكر بالقرآن الكريم عن خلق آدم (وحواء) والإنسان عموما فقد فسره الغالبية العظمى (ماعدا البعض) بما يعارض نظرية التطور وبما يتفق مع ما جاء بالتوراة.

لقد قامت الجمعية العالمية للكتاب المقدس بالولايات المتحدة الأمريكية بإنهاء خصومة بين رجال العلم ورجال الدين، تلك الخصومة التى كانت قد احتدمت حتى وصلت إلى دور المحاكم بأن أبرزت قول رجال العلم بأن التطور حقيقة علمية قد أثبتها العثور على حفريات لأنواع من الإنسان تسبق الإنسان الحالى (الإنسان البشر). ثم أضافت أن خلق الإنسان سواء أكان عن طريق التطور أو عن طريق ماجاء بالتوراة، فإن الله - فى أى الأمرين - هو الخالق.

بذلك فقد خطا رجال الكنيسة (بالولايات المتحدة الأمريكية) إلى منتصف الطريق، فهل يخطو علماء المسلمين إلى نهاية الطريق بإعادة النظر فى تفسير آيات خلق الإنسان والتوصل إلى أنه لاخلاف بين مايقوله العلم وماجاء بكتاب الله الكريم؟

يقول موريس بوكاى بحق (دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة) أن القرآن هو الكتاب السماوى الوحيد الذى لايوجد به خطأ علمى.

إن التطور حقيقة لايزال يرفضها الكثيرون، ويرفضها الكثير من رجال العلم المسلمين. وأرى أن رفضهم ليس عن عدم اقتناع، بل عن رغبة فى عدم الاقتناع، رغبة مصدرها الخوف، الخوف من أن يكون فى اقتناعهم مساس بالدين نقلا عما يقوله المفسرون. فى الوقت الذى يقول فيه الخالق الكريم:

﴿مالكم لاترجون لله وقاراً * وقد خلقكم أطواراً﴾ (نوح: ١٣، ١٤).

قال: يقول المفسرون أن تلك الأطوار هى أطوار الجنين فى رحم أمه.. من نطفة إلى علقة إلى مضغة مخلقة وغير مخلقة.

أجاب: إن تشكل الجنين في رحم أمه لايعد أطواراً بل مراحل لتشكل النوع الواحد وليست تطوراً من نوع إلى نوع، وهذه المراحل يعلمها الإنسان حق العلم بل قد أمكنه عن طريق الآلات الحديثة أن يراها رأى العين، يراها فى أنثى تضع وليدا سواء أكانت هذه الأنثى امرأة أو قطة أو بقرة أو فأرة، كما يراها فى بيضة تضعها أنثى، سواء أكانت تلك الأنثى دجاجة أو ضفدعة أو أفعى. (ملحق رقم: ٦).

أما التطور من نوع إلى نوع فلم يشاهده الإنسان أو يعاصره، لقد حدث

قبل وجوده على ظهر الأرض ببضعة آلاف من ملايين السنين. ذلك التطور إن لم يكن قد رآه عامة الناس بأعينهم، فقد أبصره المفكرون ببصيرتهم، منهم فلاسفة العرب ومن أمثلتهم الفارابى وإخوان الصفا وابن مسكويه وابن خلدون.

قال: يقول المفسرون لم نقرأ فى كتب التاريخ، القديم أو الحديث، فى هذا الصدد أن قردا قد تحول إلى إنسان؟

أجاب: سبق أن ذكرت أن التطور لم يقل بأن قردا تحول إلى إنسان ولكنه يقول أن الإنسان والقرد قد انحدرا عن أصل واحد عاش ذلك الأصل منذ عشرين مليونا من السنين فى منطقة بحيرة فيكتوريا بأفريقيا. أما من يمكن اعتباره جَدًّا بعيداً للإنسان وهو من أطلق عليه اسم الإنسان القرد، فقد عاش فى الحبشة ومناطق أخرى بأفريقيا منذ ٤ ملايين من السنين. فهل فى كتب التاريخ القديم أوالحديث مايؤرخ لنا هذا الأمر البعيد؟!

إن الخالق الكريم قد حفظ لنا من الوثائق العديدة مايدل على أنه قد خلقنا أطوارا. إن من يقدر على قراءة تلك الوثائق هم بلا شك المتخصصون من رجال العلم. تلك الوثائق هى مانطلق عليه «الحفريات»، حفظها المولى جل شأنه فى الأحجار وفى الثلوج وفى القطران وغير ذلك.

قال: قد قرأنا أخيرا عن عالمين أستراليين يقولان بأن الإنسان هو الذى قد تحول إلى قرد، فما قولك فى ذلك؟

أجاب: يقول رجال العلم أن بعض الكائنات قد تتطور إلى الوراء. ومن أمثلة ذلك أن الخفاش وهو حيوان ثديى يحمل ويلد قد تطور إلى الوراء تشبهاً بالطيور، وكذلك الحوت وفرس البحر قد عاد كل منهما إلى أصله البعيد من كائنات تعيش فى البحر، وليس معنى ذلك أن الثدييات جميعها، كما نرى، قد تحولت طيورا وأسماكا.

يقول المولى عز وجل فى كتابه الكريم:

﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾ (البقرة: ٦٥).

إن من يشاهد إنسان الغابة على سبيل المثال فى حدائق الحيوان المكشوفة (تعيش فيها الحيوانات بغير أقفاص) لايتمالك إلا أن يحدث نفسه، بماذا يختلف هؤلاء عن الناس سوى بعض الصفات التشريحية القليلة وسوى أنهم يتصايحون؟ فهل هؤلاء من سلالة من قال لهم المولى الكريم:

﴿كونوا قردة خاسئين﴾ .. الله ورسوله أعلم.

قال: إذا كان رجال العلم كما ذكرت، لم يتفقوا جميعا - سواء أكان ذلك عن اقتناع أم عدم اقتناع - فلماذا لانستمر فى اتباع مايقوله علماء التفسير عن خلق آدم وحواء، إلى أن يتفقوا جميعا على صحة خلق الإنسان متطورا عن غيره من الكائنات؟

أجاب: إن معنى ذلك هو ألا نسمح للقرآن الكريم إلا أن يسير خلف العلم، فى حين أن عكس ذلك هو مايجب أن يكون، نحن نضع كتاب الله الكريم فى وضعه الصحيح سابقا متبوعا وليس تابعا مسبوقا.

من أمثلة ذلك، أنه بعد أن أثبت العلم كروية الأرض، راح المفسرون يقولون أن ذلك هو ماورد بكتاب الله الكريم، بعد أن كانوا يعترضون (بل منهم من يعترض إلى الآن) أقول ببساطة لم لا نتخذ من آيات القرآن الكريم نبراسا يهدى إلى حل الكثير أو القليل من المشكلات العلمية التى لم نتوصل إلى حلها بعد، وبذلك نطبق نحن المسلمين قول العزيز الحكيم:

﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم﴾ صدق الله العظيم.

قوله تعالى: ﴿كن فيكون﴾

قال له صاحبه: مازلتم تصرون على أن الإنسان قد خلق من كائن يسبقه، فى حين أن الدليل على خلقه خلقا مباشرا من تراب قد جاء فى قول الحق تبارك وتعالى:

﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ (آل عمران: ٥٩).

أى أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم خلقا مباشرا من التراب أحاله طينا ثم صلصالا بقوله كن فيكون.

أجاب: إنك تضطرنى لتكرار أقوال سبق ذكرها لقد سبق أن ذكرت أن الأمر «كن فيكون» لايعنى بالضرورة أن يتحول ماهو كائن إلى ماسيكون فى التو واللحظة بل قد يستغرق ذلك آمادا يعلمها المولى جل شأنه، آمادا يمر فيها بخطوات ومسببات بعدها يتحول ماهو كائن إلى ماسيكون. مثال ذلك القول الكريم:

﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً﴾ (الإسراء: ١٦).

أى أن الله الذى يقول للشىء كن فيكون لم يهلك تلك القرية إلا بعد أسباب مرت بها فحق عليها القول.

إن كلمتى «كن فيكون» لاتعنيان ألا يتبع ماهو كائن سنن الحياة التى فطر الله عليها كائناته.

يقول الخالق الكريم:

﴿وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له مافى السموات والأرض كل له قانتون * بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ (البقرة: ١١٦، ١١٧).

كما يقول:

﴿بديع السموات والأرض أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم﴾ (الأنعام: ١٠١).

فى سورة البقرة.. يقول الخالق الكريم ـ لمن يدعى أن الله اتخذ ولدا ـ أنه سبحانه إذا قضى أمراً فإنه يقول له كن فيكون، ويقول فى سورة الأنعام ـ لمن يدعى أن له ولدا ـ كيف يكون له ولد فى حين أنه سبحانه لم يتخذ زوجة..
من كل ماتقدم يتضح لنا أن الأمر «كن فيكون» لايتنافى مع الأسباب أو المسببات.

إن العلماء يقدرون الزمن الذى استغرقه خلق آدم من بدء خلقه من التراب بثلاثة آلاف وستمائة مليون من السنين(*) بحسابنا نحن الآدميين، ويعلم الله سبحانه وتعالى مقدار ذلك فى حسابه هو إذ يقول:

﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ (الحج: ٤٧).

كما يقول:

﴿فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ (المعارج: ٤).

لقد بدأ الله خلق آدم من تراب وقد مرت مراحل لانعلم مداها حتى قال له: كن آدم، فكان.. ويتفق ذلك مع قول العزيز الحكيم:

﴿وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ وقوله أيضاً: **﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾**.

(*) يقدر عمر الأرض بأربعة آلاف وستمائة مليون سنة، استغرقت ألف مليون سنة حتى بردت.

من كل ذلك نرى أن آدم قد خلق من سلالة من آباء وأجداد سابقين . .
وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض﴾ (آل عمران : ٣٣).

وهناك أمر آخر . . إن من يقولون أن آدم خلق خلقا مباشرا في التو واللحظة بقوله : **﴿كن فيكون﴾** يناقضون أنفسهم عندما يفسرون قول العزيز الحكيم : **﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا﴾**، يفسرون ذلك الحين من الدهر بأنه أربعون سنة ترك فيها تمثال آدم الذى خلق من طين لكي يجف ويصبح له رنين كالفخار، أى أن آدم لم يستغرق خلقه لحظات وتطلب جفافه أربعين سنة . لو أخذنا بهذا التناقض في الرأى لكان فى القرآن الكريم اختلاف كثير فى حين يقول المولى جل وعلا :

﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ (النساء : ٨٢).

إن التفسير المنطقى عن ذلك الحين من الدهر الذى لم يكن فيه الإنسان شيئا مذكورا هو ماسبق ذكره عن أنواع من الإنسان لم تكن قد وصلت إلى مرحلة الإنسان البشر خلق آدم ـ عليه السلام ـ ابنا لها، من سلالتها . . وفى ذلك يقول جل من قائل : **﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾**.

قال : إنك بذلك تقلل من قدرة الخالق الكريم فى قوله : **﴿كن فيكون﴾** حين تقول أن ذلك قد تطلب ملايين من الأعوام قد تم فيها خلق آدم ـ عليه السلام.

أجاب : إن الله جل وعلا لم يقض لآدم ولا لعيسى ـ عليهما السلام ـ فقط بل قضى أن يكون جميع المخلوقات مايكونون، لقد قضى أن يكون هذا نابليون وذاك نلسون وتلك نبوية موسى، قضى أن يكون هذا محمد على باشا وذاك محمد عبده، قضى بأن يكون ذاك عليا ـ كرم الله وجهه ـ وذاك على مبارك، بل قضى سبحانه أن تكون هذه شجرة برتقال وهذا ثعباناً وتلك ببغاء، كما قضى أن تكون هذه سحابة سوداء وتلك ليلة ممطرة.

إن إرادة الله تشمل الكون كله.. كيف تتم إرادته؟

على سبيل المثال قضى الله أن أكـون مهندسا زراعـيا، التحـقت بالتعليم الأولى ثم الابتدائى ثم الثانوى ثم الكلية التى تؤهلنى لذلك. ولكن متى قضى المولى الكريم بأن أكـون ذلك؟ هل هو يـوم أن ولدتنى أمى أم يوم أن حـملت بى، أم يوم أن خلق أبى آدم، أم قبل ذلك؟.. إذ يقول الخالق الكريم لزكريا ـ عليه السلام:

﴿وقد خلقتك من قبل ولم تكُ شيئاً﴾ (مريم: ٩).

كما يقول:

﴿خلق الإنسان من عجل﴾ (الأنبياء: ٣٧).

إن الخالق الكريم لم يقل للشىء «كن» فقط[1] بل يقول «كن فيكون» فى الأولى ينفذ الأمر فـورا، وفى الثانية ينفذ الأمر بعـد فاء العطف وهى فى اللغة العربيـة تدل على الترتـيب مع التعقـيب، ينفذ الأمـر بعد أن يتـخذ «مـاكان» الأسباب التى يتطلبها الأمر لتنفيـذ مايكون ـ تلك المسافة التى تمثلها فاء العطف بين ماكان ومايكون تختلف آمادها باختلاف الطرق التى يتحتم سلوكها[2].

ولا ننسـى هنا أن المولى جـل عـلاه لـم يقل (كن فكـان) بل قـــال (كن فيكون)، واستعمال الفعل المضارع بعد الأمر كجواب له يدل على المضارعة، بما يعنى استغراق الإجابة لزمن ممتد لايعلم مداه إلا الخالق الكريم.

علاوة على ذلك يقول الخالق عز وجل:

﴿إن مثل عيسى عند الله كمـثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ (آل عمران: ٥٩).

يقول الخالق الكريم: ﴿خلقـه من تراب ثم قال له كن فـيكون﴾ ولـم يقل جل شأنه (خلـقه من تراب وقال له كن)، إن اسـتعمـال (ثم) بدلاً من (الواو)

---

(١) كأن يقول كن ماقضيت أو كن ماأمرت.

(٢) قد أقول قمت من ميدان الدقى فميدان التحرير فـميدان رمسيس فشبرا أو أقول قمت من القاهرة فلندن فنيويورك فسان فرانسيسكو.

كأداة عطف يدل على أن المولى ـ جل علاه ـ أراد العطف مع التراخى بين الخلق من التراب وأمره (كن فيكون).

فمتى قال المولى ـ جل علاه ـ للتراب أن يكون آدم؟ هل قالها بعد بدء خلق التراب بفترة وجيزة أم من بعد أن تحول ذلك التراب إلى مخلوق بدائى أم بعد أن تحول ذلك المخلوق إلى حيوان ثديى (كما يقول رجال العلم) أم بعد أن أصبح إنسانا بدائيا لم يصل إلى مرحلة البشر بعد؟ يعلم ذلك المولى جل علاه.

ويقول الخالق الكريم: ﴿**وماأوتيتم من العلم إلا قليلا**﴾ صدق الله العظيم.

اهبطوا منها جميعا

قـال: يوجد بكتـاب الله الكريم آيات بينات تعـارض ماذكـرت عن خلق الإنسـان من الألف إلى الياء وتحـتم عليك أن تمحو مـاسطرت فى كتـابك من الغلاف إلى الغلاف.

ألم يخلق المولى سبحانه وتعـالى آدم وحواء فى الجنة، وأمرهما المولى عز شأنه ألا يأكلا من شـجرة معينة، لكى لايكونا من الظـالمين.. إذ جاء بالذكر الحكيم:

﴿وقلنا ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكـلا منها رغداً حـيث شئتـما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾ (البقرة: ٣٥).

﴿وياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا مـن حيث شـئتـما ولا تقـربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾ (الأعراف: ١٩).

ألا يتضح بجلاء من الآيتـين السابقتين أن آدم وحواء قد أوجـدهما الخالق الكريم فى الجنة ولم يخلقا فى الأرض؟

أجاب: يقول كثير من المفـسرين أن جنة آدم وحواء لم تكن جنة سماء بل كانت جنة أرض.

كما قال عنها فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى أنها مكان فى الأرض فيه كل متطلبات الحياة (آدم أبو البشر من المعصية إلى الرسالة).

إن لفظ جنة كما ورد فى الكتاب الكريم لايعنى كما ذكرت جنة السماء بل يعنى أنها حديقة أرضية، وجاء ذلك اللفظ مفردا ومثنى وجمعا:

﴿أيودّ أحدكم أن تكون له جنّة من نخيلٍ وأعنابٍ تجرى من تحتها الأنهار﴾ (البقرة: ٢٦٦).

﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً * أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً﴾ (الإسراء: ٩٠، ٩١).

﴿واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً * كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالهما نهراً﴾ (الكهف: ٣٢، ٣٣).

﴿ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً﴾ (الكهف: ٣٥).

﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله﴾ (الكهف: ٣٩).

﴿فعسى ربى أن يؤتينى خيراً من جنتك﴾ (الكهف: ٤٠).

﴿فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة﴾ (المؤمنون: ١٩).

﴿أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها﴾ (الفرقان: ٨).

﴿فأخرجناهم من جنات وعيون﴾ (الشعراء: ٥٧).

﴿لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال﴾ (سبأ: ١٥).

﴿كم تركوا من جنات وعيون﴾ (الدخان: ٢٥).

﴿ونزّلنا من السماء ماءً مباركاً فأنبتنا به جناتٍ وحب الحصيد﴾ (ق: ٩).

﴿فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العَرِم وبدّلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أُكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل﴾ (سبأ: ١٦).

إن جميع تلك الجنات كانت جنات أرض وكذلك كانت جنة آدم وحواء.. إذ أن الخالق الكريم قد خلق آدم ليكون خليفة له فى الأرض.. إذ يقول سبحانه وتعالى:

﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾ (البقرة: ٣٠).

وفى ذلك المقام.. يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى (آدم أبو البشرمن المعصية إلى الرسالة): «ويظن الكثيرون أن آدم بمعصية ربه أخرج نفسه وأخرجنا معه من الجنة، وكأن آدم هو الذى أخرجنا إلى التعب والكدح، وكان من الممكن أن نظل فى الجنة ننعم. وهؤلاء يظلمون أباهم لأن القضية تترتب على الإعلان الأول عن آدم، فالإعلان الأول عن آدم لم يقل إنى خلقت آدم للجنة ثم عصى ونزل إلى الأرض ولكنه قال: **﴿إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾**».

قال: قد جاء فى الكتاب الكريم أن آدم وحواء بعدما عصيا أمر ربهما وأكلا من الشجرة المحرمة أمرهما بالهبوط ألا يعنى ذلك، أنه أمرهما بالهبوط من السماء إلى الأرض.. يقول الحق عز شأنه:

﴿فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾ (البقرة: ٣٦).

﴿قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو﴾ (طـه: ١٢٣).

أجاب: إن الهبوط فى تلكما الآيتين لايعنى الهبوط من السماء إلى الأرض، إذ قد جاء أيضا فى كتاب الله الكريم:

﴿وإذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصراً فإن لكم ماسألتم﴾ (البقرة: ٦١).

ولاشك فى أن المولى سبحـانه عندما قال: **﴿اهبطوا مصرا﴾** فإنه لم يكن يعنى أن يهـبطوا من السماء إلى أرض مـصر. ويقـول بعض المفسـرين إن قول الخالق الكريم: **﴿اهبطوا منها جميعا﴾** قد يعنى اهبطوا مما كنتم فـيه من منزلة أكرمتكم بها.

إن آدم وحواء لم يخلقا فى السماء ولم تكن جنتهما جنة سماء.

من ذلك يتضح أن الحق جل شأنه عندمـا قال لآدم وحواء: **﴿اهبطوا منها جميعا﴾** لم يكن هذا هبوطا من السماء إلى الأرض.

لم يلد ولم يولد

من الصعب على المرء حين يقرأ قول الحق: ﴿**وبدأ خلق الإنسان من طين**﴾ وحين يقول جمهور المفسرين أن ذلك الإنسان هو آدم ـ عليه السلام ـ أن يوافق على أن آدم قد خُلق من أبوين كما تقولون.

أجاب: كأنما تريد أن نظل نتحرك فى دائرة مغلقة أو نضع على عيوننا عصابة سوداء وندور فى ساقية فى طريق لا ينتهى يبدأ ثم يعود. يقول جل جلاله: ﴿**وبدأ خلق الإنسان من طين**﴾ كما يقول: ﴿**هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً**﴾ ويقول: ﴿**ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون**﴾ فيقول المفسرون أن ذلك الإنسان هو آدم، كما يقول عز شأنه: ﴿**ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين**﴾ كما يقول: ﴿**إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج**﴾ فيقول المفسرون أن ذلك الإنسان هم أبناء آدم، وقد سبق أن ذكرنا أن ذلك القول يعد تفسيراً متكلفاً. إن المفسرين لايفرقون بين آدم الفرد والإنسان النوع. نعيد ونكرر بأن الإنسان فى جميع تلك الآيات إنما هو الإنسان النوع وليس آدم الفرد.

قال: يقول سبحانه وتعالى أيضاً أن آدم قد خُلق من تراب. ألا يعنى ذلك أن آدم قد خُلق بغير أبوين؟

أجاب: إن الله جل علاه لم يقل أن آدم فقط قد خُلق من تراب بل قال أن عيسى ـ عليه السلام ـ قد خُلق من تراب، بل إننا جميعاً أبناء ادم قد خُلقنا من تراب حين يقول عز من قائل:

﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب﴾ ويقول: **﴿يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب﴾** ويقول: **﴿أكفرت بالذى خلقك من تراب﴾**، من جميع تلك الآيات نرى أن آدم وأبناءه قد خُلقوا من تراب، وبمعنى آخر أن الإنسان كنوع قد خُلق من تراب.

إن قولنا بأن آدم قد خُلق من سلف سابق يوضحه ـ وكما سبق أن ذكرت ـ القول الكريم: **﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض﴾**، أى أن آدم ـ وبنص تلك الآية ـ ذرية سلف سابق وهناك دليل آخر على أن آدم قد ولد عن أبوين شأنه شأن باقى الكائنات الحية.

يقول جل علاه عن ذاته العلية: **﴿ليس كمثله شىء وهو السميع البصير﴾** (الشورى: ١١)، كما يقول: **﴿قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد﴾** (الإخلاص: ١ ـ ٣)، إن الله لم يلد وهذا رد على المدعين أن المسيح ابن الله وأن عزيراً ابن الله كما أن الله لم يولد، والله ليس كمثله شىء ـ لايماثله فى تلك الصفة كائن آخر منذ بدء الأحياء إلى نهاية الخلق ـ إن جميع الأحياء بما فيها آدم قد وُلدوا عن أبوين لأن الله هو الواحد الأحد الذى لم يولد. وصدق أصدق القائلين: **﴿لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد﴾**.

خاتمـــة

قال لصاحبه: لم أتبين إلى الآن ماذا تقصد بهذا الكتاب ومن تخاطب؟

أجاب: أما القصد فهو أن أصحح خطأ شائعا يقوله الجميع بما فيهم مفسرو القرآن الكريم أن التطور يعنى أن قردا تحول إلى إنسان والصحيح أن الإنسان والقرد يرجعان منذ عشرين مليوناً من السنين إلى أصل واحد، خرج من ذلك الأصل فرعان: الأول خرجت منه فروع متعددة أنتجت أنواعاً مختلفة من القردة، أما الفرع الثانى فقد تسلسلت منه أنواع من أشباه الإنسان ثم أنواع من الإنسان إلى أن ظهر الإنسان الحالى، الإنسان البشر. إن قرابة الإنسان إلى القرد تعادلها قرابة الغنم للماعز أو القط للنمر أو الكلب للثعلب.

أما من أخاطب. . فإننى لا أخاطب فى هذا الكتاب المؤمنين البسطاء الذين لاشك لديهم بأن الله سبحانه وتعالى هو الواحد الأحد وأنه جل شأنه قد خلق آدم عليه السلام من تراب إذ قال له كن فيكون. هؤلاء ليسوا فى حاجة إلى ماأقوله.

إننى أخاطب فريقين: الأول فريق المسلمين المثقفين الذين قد تلقوا والذين يتلقون فى دور العلم أن الإنسان قد خلق متطورا عن حيوان يسبقه يقولون خطأ أنه القردة. وفى نفس الوقت يستمع هؤلاء إلى أحاديث أصحاب

الفضيلة المفسرين فى الإذاعة والتليفزيون، كما يقرأون فى الصحف أن آدم - عليه السلام - قد خلق من طين بغير أبوين وأن حواء قد خلقت من أب بغير أم (آدم). حينئذ تبدو أمامهم هوة عميقة سحيقة بين مايقوله العلم ومايقوله الدين.

إننى أخاطب هؤلاء لأوضح المفهوم الصحيح للتطور كما أوضح أنه لافجوة ولاخلاف بين العلم والدين، ولكن الخلاف يكمن بين ماينادى به رجال العلم ومايقوله مفسرو آيات الكتاب الكريم، أبين لهم وأؤكد قدسية آيات الكتاب المجيد كما أؤكد عدم قدسية تفسير تلك الآيات وأنه لافجوة ولاخلاف بين العلم والمفهوم الصحيح للدين فكلاهما من لدن العليم الخبير.

أما الفريق الثانى الذى أخاطبه فهو جمهور الكافرين والملحدين الذين ينادون بعدم وجود خالق لهذا الكون وبأن الكون خاضع لسلطان العلم ومستقبله بتقدمه. أخاطب هؤلاء موضحا مابالكتاب الكريم من كنوز من العلم جاءت على لسان نبى أمىّ منذ أربعة عشر قرنا من الزمان، وأن ما قد توصلوا إليه أخيرا جدا فى كثير من المجالات مسطور بذلك الكتاب الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وقبل أن نفترق.. أرجو أن نتمسك سويا بقول مأثور «الخلاف فى الرأى لايفسد للود قضية»، كما أهيب بعلماء المسلمين أن يكفوا عن اتهام من ينادى بصحة التطور بالكفر أو الإلحاد، بل إن داروين نفسه لم يكن كافرا أو ملحدا.. يقول عبدالكريم الخطيب فى كتابه «قصة آدم ويوسف عليهما السلام» (ص ٣٠ - ٣٢) مايلى:

«داروين» الذى أثار هذا الإعصار العاصف فى عقول رجال الدين - من كل دين - لم يكن منكرا لله، بل إنه فيما أرى من أشد الناس إيمانا به، وشهودا لله فى آياته التى رآها رأى العين فيما أبدع الخالق وصور.

يقول «داروين» فى حديثه عن أصل مذهبه: «إن المشابهة وأسبابا أخرى تدعونا ضرورة إلى الاعتقاد بأن الأحياء أصلها واحد، وألا فاصل جوهرياً بين العالمين، عالم النبات، وعالم الحيوان».

ثم يقول: «إنى أرى فيما يظهر لى أن الأحياء عاشت على هذه الأرض جميعها من صورة واحدة أولية، نفخ الخالق فيها نسمة الحياة»[1].

ودارون الذى أقام الدنيا وأقعدها بنظريته تلك، ليس هو أول من قال بهذا القول، ولا أول من نظر تلك النظرة إلى الحياة ومافيها من أحياء، وإن يكن له فضل فى هذا الأمر فهو فضل العرض الواضح، القائم على التجربة، المستند إلى البرهان المشهود، على حين كان مفهوم هذه النظرية عند من سبقه قائما على الأقيسة المنطقية، والبناء الفلسفى للوجود، أو على الزكانة والحدس.

من أجل هذا كانت مقولات «دارون» فى هذا المجال مطبوعة بطابع القوة والجرأة، إذ كان يبنى مقولاته على معطيات التجارب الحسية التى يراها رأى العين، ومن أجل هذا أيضا كان لمذهبه هذا الدوى الذى ملأ أسماع العالمين، وشغل عقول العلماء والفلاسفة ورجال الدين فى كل أمة، ومن كل دين.

وإذا كان لأحد أن يقف من دارون موقف الهلع والخوف على معتقده الدينى، فليس هو المسلم الذى يعترف دينه بالعقل، وبحقه فى البحث والنظر، وفى احترام مؤدى البحث والنظر الذى لايقوم على هوى ولايستند إلى سلطان غير سلطان الحجة والبرهان.

ثم إنه إذا كان لأى دين أن يجافى مقومات «دارون» وأن يضيق بها فليس هو الدين الإسلامى الذى تكاد تنطق آياته بما أعيا دارون والعلم الحديث الوقوف عليه، من أسرار الخلق وقدرة الخالق وعظمته.

ومع مانعرف من أن القرآن الكريم ليس كتاب علم، وأن الرسالة الإسلامية لم تجئ لتقرير حقائق علمية، فإن فى عرضه لمشاهد الكون وفى كشفه عن مظاهر الوجود لمحات مضيئة، وإشارات مشرقة، يجد فيها العلم مستندا لمقولاته، ومجازا لحقائقه.

ولو أن العقل الإسلامى لم يصب بتلك النكسات التى اعتقلته زمنا طويلا فى غياهب الجهل والظلام لكان له دور القيادة والمبادأة فى محاولات العلم والفن، ولما رضى بهذا الفتات الذى يلتقطه من فضلات العقل الأوروبى.

---

(١) مذهب النشوء والارتقاء - الكتاب الأول ـ جـ ١، ترجمة إسماعيل مظهر، ص ٤٧.

وهذا مايقوله علماء الغرب أنفسهم، ويذكروننا به وقد نسيناه.

استمع إلى مايقوله «جوستاف جرونيباوم» فى كتابه (حضارة الإسلام) عن نظرية النشوء والارتقاء، وعن سبق علماء المسلمين إليها.. يقول: «وعندما يعبر الجاحظ، والمسعودى، وإخوان الصفا، عن اعتقادهم فى النشوء والارتقاء متصورين تصاعدا تدريجيا.. من المعادن إلى النبات، ومن النبات إلى الحيوان، ومن الحيوان إلى الإنسان، كانوا فى ذلك يزكنون حدسا».. أى أن الرأى لم يكن وليد تجربة، وإنما كان عن لمحة ذكاء، وصفاء وجدان.

وينقل «جرونيباوم» عن «النظام العروضى» المتوفى سنة ١١٥٦ نظرية متكاملة عن النشوء والارتقاء.. ونصها هو الآتى:

«وبذلك علت الآن مملكة العالم العضوى متفوقة على العالم غير العضوى.

وهكذا اقتضت حكمة الخالق الواسعة أن ترتبط المملكتان إحداهما بالأخرى».

وأخيرا.. وليس آخرا، فى رأيى أن هذا الكتاب يسد فجوة بين العلم والدين، وآمل أن يزيل الجفوة بين علماء الدين ورجال العلم.

قال: ورغم كل ماقدمت وماقلت فإننى مازلت لاأرى ماترى.

أجاب: لم أشك ولا أشك لحظة فى حقك ألا ترى ما أرى.. وأن للقارئ أن يرى مايرى.. وصدق من قال: «رأيى صواب يحتمل الخطأ ورأى من يخالفنى خطأ يحتمل الصواب».. وصدق أصدق القائلين إذ يقول:

﴿وفوق كل ذى علم عليم﴾.

مابعـــد الخاتمـــة
دوللى والاستنساخ والحمأ المسنون

قال له صـاحبه: طالـعتنا الصحف ووكـالات الأنباء أخيـرا بنبأ التـجربة الناجحة التى قام بها رجال العلم باستنساخ النعجة دوللى، أرجو أن تقوم بإلقاء الضوء على تلك التجربة.

أجاب: إن الاسـتنساخ معناه إيجـاد صور مطابقة تمامـا لأصل معين وفى مجال الأحياء فى بدء ظهور الحياة قام الخالق الكريم باستنساخ تلك الأحياء مدة قدرها العلـماء بثلاثة آلاف مليـون من السنين إذ كانت الكائنات بسـيطة تتكون أجسامها من خلية واحدة هى البكتريا والطحالب وفى أواخر تلك الحقبة ظهرت كائنات بسيطة عديدة الخلايا تكاثرت بنفس الطريقـة ـ الاستنساخ ـ ومن أمثلتها النباتات غير المزهرة والإسفنج والديدان البحرية والأسماك النجمية.

قال: وكيف تتكاثر الأحياء بالاستنساخ؟

أجاب: إن الخلية الحـية قد أنعم الله سبـحانه وتعالى عليهـا بقدرتها على التكاثر بأن تنقسم الخليـة إلى خليتين وكل منهمـا إلى اثنتين أخريين وهكذا.. وجميع تلك الخـلايا هى صورة طبق الأصل من سابقتهـا وبذلك يستنسخ الفرد الأصلى إلى أفراد متعددة سواء كان جـسمه يتكون من خلية واحدة أو من عدة خلايا.

نعلم أن نواة الخلية هي عماد حياتها وفى داخل النواة عدد من الكروموزومات المزدوجة يختلف باختلاف الأحياء، وتلك الكروموزومات تحمل عوامل الصفات ـ الجينات ـ وعندما تنقسم الخلية ينقسم كل كروموزوم طوليا إلى اثنين يذهب كل فرد إلى خلية جديدة وبذلك تحمل تلك الخلية نفس العدد من أزواج الكروموزومات، بذلك لايختلف الفرد الجديد عن الأصل بل هو صورة مطابقة له ويسمى التكاثر بتلك الطريقة تكاثرا لاجنسيا (خضريا) حيث لاذكور ولا إناث.

قال: نعلم أن دوللى نعجة أنثى فكيف تستنسخ بتلك الطريقة؟

أجاب: عندما بدأ الخالق الكريم تكاثر الأحياء بالذكور والإناث كان ذلك عن طريق جهاز خاص هو الزهرة فى النبات والجهاز التناسلى فى الحيوان، هو أعضاء التذكير والتأنيث فى زهرة النبات وهو ـ أساسا ـ الخصيتان والمبيضان فى ذكور وإناث الحيوان والإنسان، توجد فى تلك الأعضاء خلايا يطلق عليها الخلايا الأمية تكون تلك الخلايا كالعادة مزدوجة الكروموزومات فى النواة. تنقسم تلك الخلايا انقساما يطلق عليه من الناحية العلمية انقساما اختزاليا بأن تنقسم النواة «مزدوجة الكروموزومات» إلى نصفين يذهب كروموزوم من كل زوج إلى خلية، فإذا فرضنا أن الخلية الأصلية للكائن تحتوى كل منها على ثلاثة أزواج من الكروموزومات فإن تلك الخلية تنقسم إلى خليتين تحتوى كل منها على ثلاثة أفراد فقط من الكروموزومات وتسمى تلك الخلايا الجديدة خلايا جنسية أو جرثومية وهى الحيوان المنوى والبويضة فى الحيوان والإنسان.

وعندما يتقابل الذكر مع الأنثى تندمج الخلية الجرثومية للذكر والخلية الجرثومية للأنثى وبذلك تستعيد الخلية الناتجة زوجية الكروموزومات «ويطلق عليها اسم الزيجوت فى الإنسان والحيوان»، وبذلك يحمل الفرد الناتج نصف عوامل الوراثة من الأم والنصف الآخر من الأب، عندما يتكون الزيجوت وهى الخلية الأولى التى ينتج بتكاثرها الفرد الجديد يكون انقساما عاديا غير اختزالى.

وكما سبق أن ذكرنا تحمل تلك الخلية التعليمات التى تتبعها لتنتج فردا جديدا بجميع أنسجته وأعضائه وأجهزته عن طريق تكوين خلايا جديدة

متخصصة على مراحل نمو الجنين ليكون فردا كامل التكوين. . وعلى سبيل المثال فإن خلية الكبد تختلف فى تفاصيلها الدقيقة عن خلية العظام.

نعود إلى النعجة دوللى. . يقول العلماء أن عدد الكروموزومات فى خلية الغنم ٢٧ زوجا (أساسيات علم الوراثة ـ الدكتور عبدالعظيم طنطاوى والدكتور على حامد). وعند تجربة استنساخ النعجة دوللى أخذ العلماء إحدى الخلايا من ضرع إحدى النعاج المراد استنساخها، وهى خلية تامة التكوين مزدوجة الكروموزومات ونقلوا تلك الخلية إلى بويضة نعجة أخرى بعد انتزاع النواة منها وبذلك حلت نواة الخلية الأولى مكان النواة ببويضة النعجة الثانية. ورغم أن الخلية التى أخذت من الضرع خلية متخصصة، إلا أن العلماء قد أمكنهم تحويلها إلى خلية نشطة يمكنها أن تنتج جميع الأنسجة اللازمة لتكوين الفرد الجديد من بدايته ربما عن طريق ومضة كهربائية، بذلك أمكن استنساخ النعجة دوللى طبق الأصل من الأم التى أخذت خليتها وزرعت بالأنثى التى حملت ووضعت المولودة دوللى.

قال: ومادخل الحمأ المسنون فيما تقول؟

أجاب: إن الحمأ المسنون مفرد حمأة وكل حمأة لها شكل معين كما يقول المفسرون، وينطبق ذلك على الخلية الحية وبتكاثر الخلايا تتكون الأنسجة وهى أربعة أنواع: الضام والعصبى والعضلى والطلائى وجميعها صلصال من حمأ مسنون، إن وحدة الخلق فى جميع المخلوقات من نبات وإنسان وحيوان هى الخلية «الحمأ المسنون» ووحدة الخلق دليل وحدة الخالق.

قال: وهل قام الإنسان بعملية استنساخ قبل استنساخ دوللى؟

أجاب: لقد قام المزارعون باستنساخ النباتات من أمد بعيد عن طريق عملية تسمى التطعيم بالعين أو بالقلم أو باللصق. وفى تلك العمليات يؤخذ جزء من النبات المراد استنساخه ويلصق بنبات آخر من فصيلته، وبذلك ينمو الطعم مكونا نباتاً جديدا مماثلا طبق الأصل للنبات الذى أخذ منه، أى أن تلك الطريقة يستعمل فيها جزء من النبات تحتوى خلاياه على كروموزومات مزدوجة. وحديثا جدا أمكن لرجال العلم استنساخ النبات باستخدام نسيج من الخلايا

وإكثار هذا النسيج على بيئة صناعية (بدلا من التربة الزراعية) لينتج نباتا جديدا كاملا مماثلا للأصل. وبعبارة أخرى يمكننا القول بأن هذا الاستنساخ يتم عن طريق صلصال من الحمأ المسنون (نسيج من الخلايا الحية)، علاوة على ذلك أمكن للعلماء إكثار النباتات باستعمال خلية واحدة (من الحمأ المسنون).

قال: وهل يمكن الاستفادة بما توصل إليه العلماء من تجربة النعجة دوللى على الإنسان؟

أجاب: فى رأيى يمكن الاستفادة باستنساخ الخلايا المتخصصة وبذلك يمكن استنساخ أنسجة معينة يمكن أخذها من خلايا صاحبها المتخصصة.

قال: عندما نشر هذا الاكتشاف أمسك الناس بقلوبهم فاغرين أفواههم متسائلين: وماذا بعد؟ هل سيتمكن العلماء بعد استنساخ دوللى، أنثى من الغنم، أن يقوموا باستنساخ زليخة وماتلدة وراشيل إناثا؟ وحسن ومرقص وكوهين ذكورا من البشر؟

أجاب: لاأرى مايدعو إلى ذلك إلا أن يقوم شخص عقيم أو امرأة لم تتزوج باستنساخ أنفسهم كما أنه يجب ألا يغيب عن الذهن أن هتلر وحتشبسوت وشجرة الدر هم جميعا حصاد لعوامل وراثية تفاعلت مع ظروف بيئية قد شب وترعرع وعاش فيها كل منهم، وتلك الأخيرة مستحيلة إعادتها لكى نحصل على نسخ مطابقة، وأكثر من ذلك قد يحصل المستنسخون على نسخ مشوهة مثل هازلر ـ لخبطشوت ـ شجرة شر أو مر.

وعلاوة على ذلك فهناك تساؤل كبير: لقد أوضح الخالق الكريم أن الإنسان البشر جسد وروح، روح هى نفخة من العلى القدير، وقد أوضح العلماء أن الجسد بتفاصيله مسطور على كروموزومات الخلية على جيناتها فهل الروح هى الأخرى مسطورة على كروموزومات الخلية؟

لايسعنا إلا أن نقول قول الخالق الكريم:

﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ صدق الله العظيم.

قال: لقـد ذكرت لى سابقـا أن النوع وحدة بيولوجـية تتناسل مع بعضـها ولاتتناسل مع نوع آخـر، فـالقط لايمكنه أن ينتج نسـلا مع الثعلب، والأسـد لايمكنه أن ينتج نسـلا مع النمر أو مع الفـيل. وقد قرأنا أخـيرا أن العلمـاء قد أمكنهم إنتاج حيوانات مختلـطة من أمثلتها الكلب المقطقط (الذى يحمل بعض صفات القطط) والقرد المثعلب وغيرهما، فكيف يتم ذلك؟

أجاب: لم يـتم ذلك عن طريق تزاوج أنثى القط مع ذكر الكـلب أو ذكر القرد مع أنثى الثـعلب ولكن قد تم عن طريق نقل بعـض الجينات (الماء المهين) من القط إلى بويضـة أنثى الكلب ومن الثـعلب إلى بويضة أنثى القـرد، ويدل ذلك على أن مادة الوراثة (الجـينات) فى جميع المخلوقات واحـدة إذ أن بويضة الأنثى فى كلتا الحالتين لم تطرد الجينات التى أدخلت إليه.

قال: أليس فى ذلك تشويه لمخلوقات الخـالق الكريم؟ إن أخشى ما أخشاه أن يمتد ذلك العـبث إلى الإنسان فنرى على سبـيل المثال الرجل المديّك، يمشى «منتـفش الريش» إذ التحق بشـركة كـاك يحن إلى مالطه، لايرضـخ لتقالـيد، ولايرهبه عرف. ونرى المرأة الممعزة تسرف فى الماء وتنظر لزوجها حائرة وتقول بعد تفكير عميق: أحبك جديا.

أجاب: إن العلماء لم يقوموا بتلك الـتجارب على سبيل المزاح أو الفكاهة بل لقصد معين أن الكلب المقطقط ليس هدفا بذاته ولكنه محطة فى الطريق إلى هدف. إن الهـدف ـ على مايبـدو ـ هو نقل جـينات من الإنسان إلـى كائنات حيوانية أخـرى للحصول على نسيج إنسانى معين ثم إعـادة زراعته فى الإنسان للتغلب على مشكلة معينة.

قـال: ألا يعـد ذلك تلاعـبـا فى مـادة الوراثة يعـرض الإنسـان، بل ربما الإنسانية جميعها لأخطار شديدة، وبالأخص إذا أسيئ استعمالها؟

أجـاب: إن السكين فى يد ربة البيت نعـمـة بل ولية للنعم من فـيتـامين وبروتين وسكر ودهون، وتلك السكين بذاتها نقمـة فى يد زوجة تخطط لفريق قومى لتـأديب الأزواج. إن مسئوليـة هيروشيما ونجـازاكى ليست مسئـولية من

المراجـع العربيـة:

- القرآن الكريم.
- حديث نبوى.
- الكتاب المقدس ـ العهد القديم.
- الكتاب المقدس للطالب: الجـمعية العالميـة للكتاب المقدس (ميتـشجان) ١٩٩١ (بالإنجليزية).
- تفاسـير القـرآن الكريم: أبوالسعـود، ابن كثـير، الجلالـين، الجواهر، الطبرى، القرطبى، المنار، الواضح · عبدالله بشير.
- مختار تفسير القرطبى ـ توفيق الحكيم.
- مخـتصـر معانى مـفردات القـرآن الكريم ـ محمـد سند الطوخى ـ دار الاعتصام ـ ط ٢، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
- تفسير سورة البروج والطارق ـ محمد متولى الشعراوى.
- المصحف المفسر ـ محمد فريد وجدى.
- مصحف الشروق.
- المنتخب من تفسير القرآن ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- أبى آدم . . قصـة الخليقـة بين الأسطورة والحقيـقة ـ الروافـد الثقافـية ـ القاهرة ـ ١٩٩٨ .
- آدم أبوالبشر: من المعصية إلى الرسالة ـ محمد متولى الشعراوى.

● أساسيات علم الوراثة ـ عبدالعزيز طنطاوى و على حامد محمد ـ دار المعارف (١٩٦٣).

● الأنثروبولوجيا العامة ـ رالف ل. بيلز، مارى هويجر. ترجمة د. محمد الجوهرى، د. السيد محمد الحسينى ـ دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ ١٩٧٦.

● التطور وأصل الإنسان فى منظور إسلامى ـ محمد فوزى جاب الله، المطبعة العالمية، ١٦ و١٧ شارع ضريح سعد، القاهرة.

● جريدة الأهرام بتاريخ ١٦/ ٣/ ١٩٩٧.

● خلق الإنسان ـ دراسة علمية قرآنية ـ الجزء الأول ـ من سلالة من طين ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٨٨.

● خلق الإنسان بين العلم والقرآن ـ حسن حامد عطية، مؤسسات عبدالكريم بن عبدالله، الطبعة الأولى، تونس ١٩٨٧.

● خلق السموات والأرض فى ستة أيام فى العلم والقرآن ـ حسن حامد عطية، مؤسسات عبدالكريم بن عبدالله، الطبعة الأولى، تونس ١٩٩٢.

● دارون ونظرية التطور ـ شمس الدين آق بلوت، ترجمة أورخان محمد على، دار الصحوة، القاهرة.

● دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ـ موريس بوكاى ـ لبنان (١٩٧٦).

● الرجل والمرأة والجنس ـ كمال مرعى، مطابع الأخبار (١٩٨٦).

● رحلة البيجل ـ سمير حنا صادق، المجلس الأعلى للثقافة (١٩٩٧).

● طبيعة الحياة ـ فرانسيس كريك، ترجمة أحمد مستجير، عالم المعرفة ١٢٥ (سلسلة كتب ثقافية شهيرة يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت).

● العلوم الطبيعية فى القرآن ـ يوسف مروة ـ دار ومكتبة الهلال ـ بيروت.

- في ظلال القرآن ـ سيد قطب «دار إحياء التراث العربى، بيروت ١٩٧١».
- قصة السموات والأرض ـ محمد جمال الدين الفندى، محمد يوسف حسن، كتاب الشعب، دار مطابع الشعب ـ القاهرة.
- قصتا آدم ويوسف عليهما السلام ـ عبدالكريم الخطيب ـ دار الفكر العربى، مطبعة المدنى، ٦٨ ش العباسة، القاهرة، ١٩٧٢.
- معجزة القرآن ـ محمد متولى الشعراوى ـ كتاب اليوم ـ يونيو ١٩٨١.

المعاجـــم:

- معجم ألفاظ القرآن الكريم ـ مجمع اللغة العربية ـ ١٩٧٠.
- تاج العروس فى جوهر القاموس.
- المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم، محمد منير الدمشقى، مكتبة التراث الإسلامى للطباعة والنشر والتوزيع ـ ١٤ ش صفية زغلول، القصر العينى، القاهرة.
- معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، محمد إسماعيل إبراهيم.
- ملحق جريدة الأهرام الصادر بتاريخ ٧/ ٢/ ١٩٩٧.
- ملحق جريدة الأهرام الصادر بتاريخ ١١/ ٤/ ١٩٩٧.

INSIGHT

Where We Came From

Above all else, Genesis says this: God did it

The LORD God formed the man from the dust of the ground and breathed into his nostrils the breath of life, and man became a living being. 2:7

The biology teacher displays a chart showing six animals. At one end is an ape standing upright, its hands swinging below its knees. At the other end, a rather hairy, stooped man in skins. "These are the stages of human evolution," the teacher declares, "over a period of several million years."

One agonized student shoots up his hand. "I believe in the Bible," he stammers, "that God made the earth and that the first man was Adam."

The teacher lets him finish, then dismisses his view. "Everybody is free to have his own religious beliefs. But science has proven that evolution is a fact."

Scenes like this have thrown confusion over the first three chapters of the Bible. It's impossible to read about Adam and Eve without wondering how they fit in with the bones anthropologists proclaim as "earliest man."

The Main Point

These differences stir up controversy, even court cases. Certainly they are important issues. It's unfortunate, though, that they distract attention from the main truth Genesis teaches.

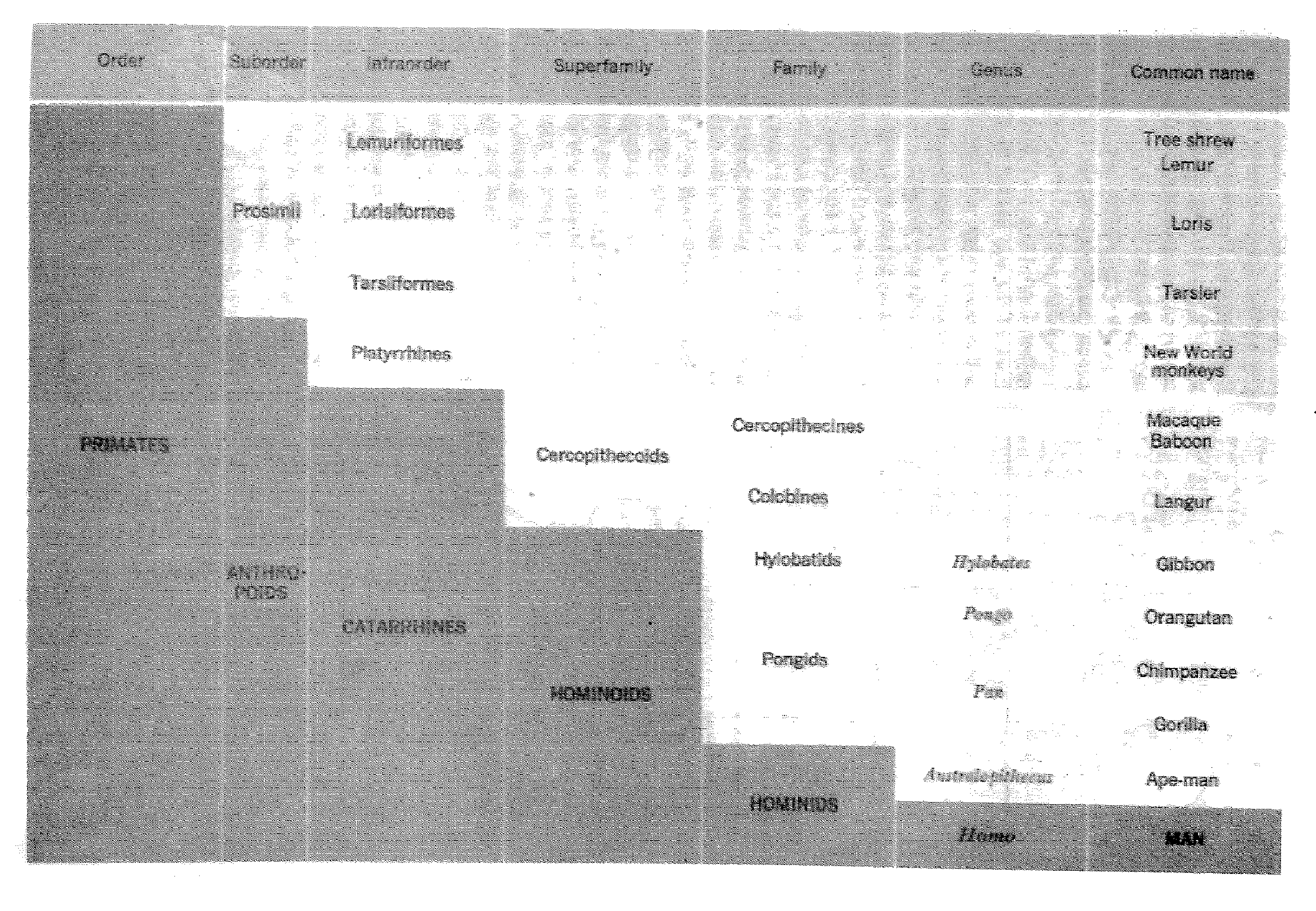
Above everything else, its witness is this: God did it. We are not here by accident, nor are we here merely to please ourselves. We owe our very existence to God. Every helium atom, every spiral galaxy, every living creature exists because God wants it to. Genesis 1-3 is the artist's signature on the painting, saying, "This is mine."

God Made Us Good

Genesis 1-3 pays humanity its highest compliment. After making all the glories of the world, God topped off his work with man and woman. He put them in charge. Unlike the animals, they were like him, "in his image." "Very good," he said to himself when he had finished. With humans he quit, satisfied.

Nobody, including God, has been satisfied with human beings since then. We were made good, but we disobeyed God right from the beginning. We've been suffering the consequences ever since. Genesis helps us understand why the universe is so flagrantly lovely, and yet so tragic. It is lovely because God made it. But it is tragic because he trusted it to us—and we failed.

Life Questions: People say they can see God reflected in stars, forests, sunsets. What about people? How can you see God's artistry in them?



Order	Suborder	Infraorder	Superfamily	Family	Genus	Common name
PRIMATES	Prosimii	Lemuriformes				Tree shrew Lemur
		Lorisiformes				Loris
		Tarsiiformes				Tarsier
	ANTHROPOIDS	Platyrrhines				New World monkeys
		CATARRHINES	Cercopithecoids	Cercopithecines		Macaque Baboon
				Colobines		Langur
			HOMINOIDS	Hylobatids	*Hylobates*	Gibbon
				Pongids	*Pongo*	Orangutan
					Pan	Chimpanzee
						Gorilla
					Australopithecus	Ape-man
				HOMINIDS	*Homo*	MAN

ملحق (٢)

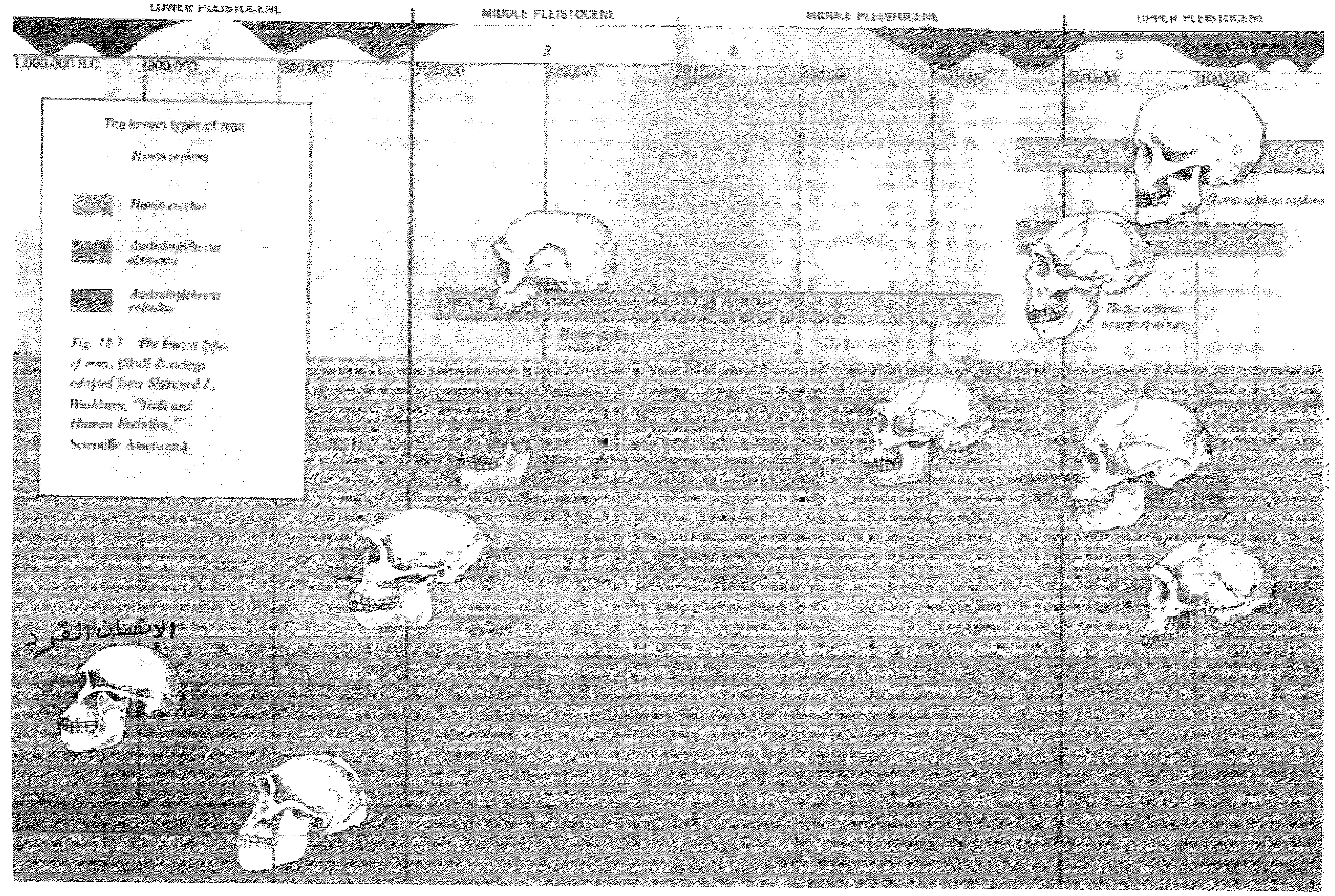


Fig. 12-1 The known types of man. (Skull drawings adapted from Sherwood L. Washburn, "Tools and Human Evolution," Scientific American.)

تطور الجمجمة من الإنسان القرد إلى الإنسان الحالى عن كتاب :

Anthropology : The Study of Man (1966)

Evolution of Man Between Science and Religion

BY HASSAN HAMED ATTIAH

Struggles between scientists and religious authorities concerning creation of man are taking place in many parts of the world. Scientists consider man as a mere primate of the class Mammalia, contemporary living with its close relatives of the high apes.

Evolution of man from man-like ancestors along some million years in quite well documented by newly discovered fossils of which the lately discovered "Lucy" was a great enterprize.

Although the American paleontologists Gould and Eldredge created a new theory in evolution which they named punctuated equilibrium, yet, in the words of Gould "Evolution is a fact like apples falling out of trees. Darwin proposed a theory, natural selection, to explain the fact. Newton's theory of gravitation was eventually superseded by general relativity. But apples didn't stop in midair while physicists debated the questions."

Muslim authorities (like Christians) oppose the theory of evolution, yet, there are many verses in Quraan, muslims Holly Book, which agree with Darwin's theory if we simply give up literal and inherited interpretations. In fact, in Quraan, there are terms which are tightly equivalent to the scientific taxa "Hominoids, Hominids and Homo".

In Quraan, evidence is quite clear that God created many "types" of man, the latest of which is "Bashar." That term in Arabic language means with plain skin i.e., devoid of hair. So, the question to paleontologists is "when had modern man lost hair to become a Bashar, a Homo catharodermatos?" (a term I suggest to notify devoid of hair). Had man lost hair prior to attaining fullest size of brain or the contrary, or else the two events coincided. A question of prime importance to get an answer.

Editor's Note: Currently residing in Cairo, Egypt, Dr. Hassan Attiah is Emeritus Professor at the Plant Protection Research Institute. He has held the position of Sub Director of the Plant Protection Research Institute as well as a professor of economic entomology at Sulimania University and a consultant at the University of Florida, U.S.A. This item is one of many articles Dr. Attiah has written.



BRITISH MUSEUM (NATURAL HISTORY)
Cromwell Road London SW7 5BD
Telegrams: NATHISMUS, LONDON SW7
Telephone: National 01-589 6323 ext.______
International +44 1 589 6323

Our ref: CBS/MB

25th October 1983

Mr Hassan H Attiah
4 Dr Mohamed Shahin Str
Agouza
Cairo
Egypt

Dear Mr Attiah

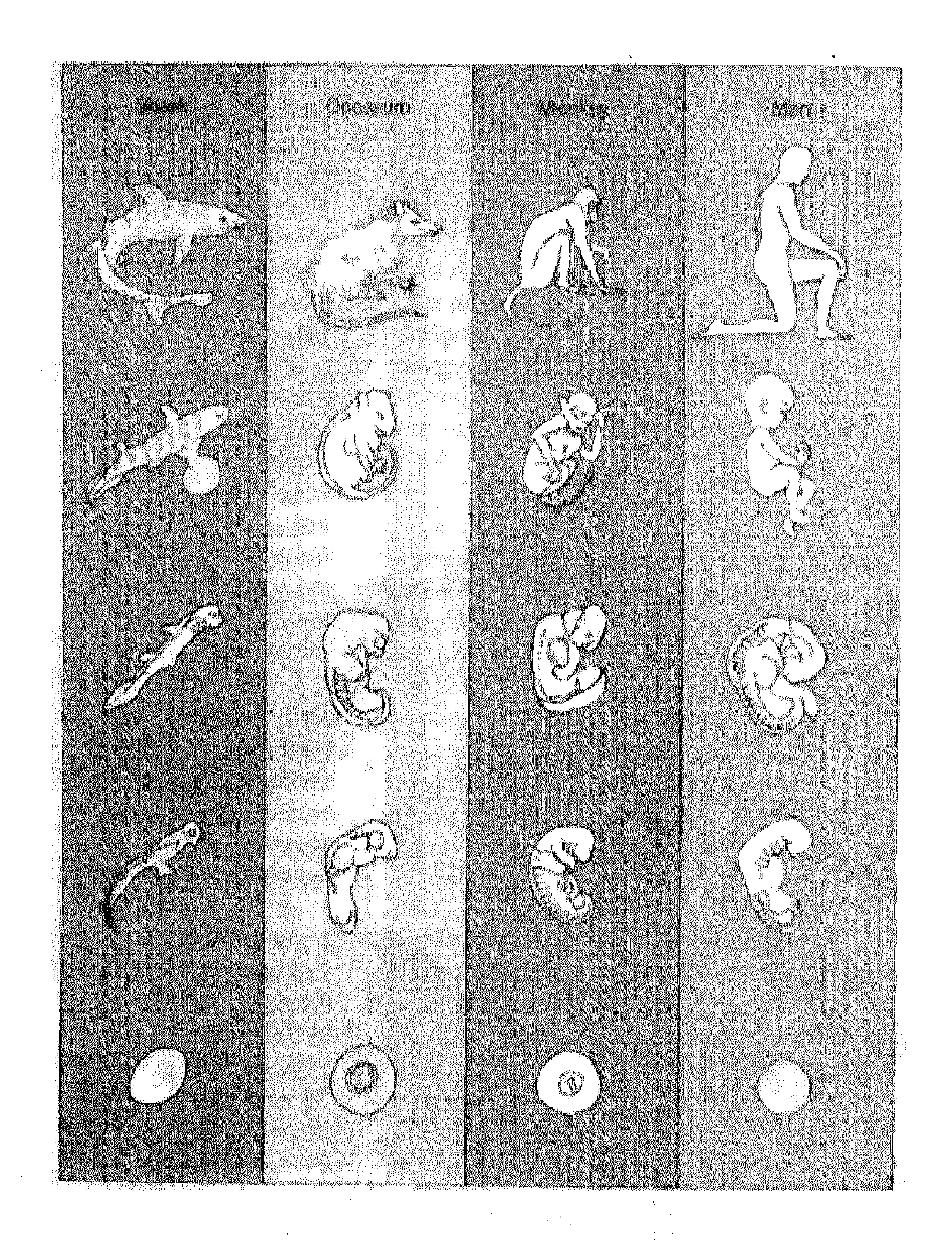
I am replying to your enquiry regarding the evolution of the brain, and the loss of body hair. From fossil evidence it is only possible to provide information on the former question. Structural changes in the brain which distinguish humans from apes may have begun developing as long ago as 2 million years, but the evolution of the brain to a modern size (and capability?) seems only to have occurred within the last 300,000 years. Indirect evidence suggests that loss of body hair may have occurred when hunting behaviour became important to early humans, but the exact date of this is a matter of dispute. It may have occurred by 1.5 million years ago with the appearance of Homo erectus.

Yours sincerely

C.B. Stringer

C ~~B~~ Stringer (Dr)

ملحق (٥)



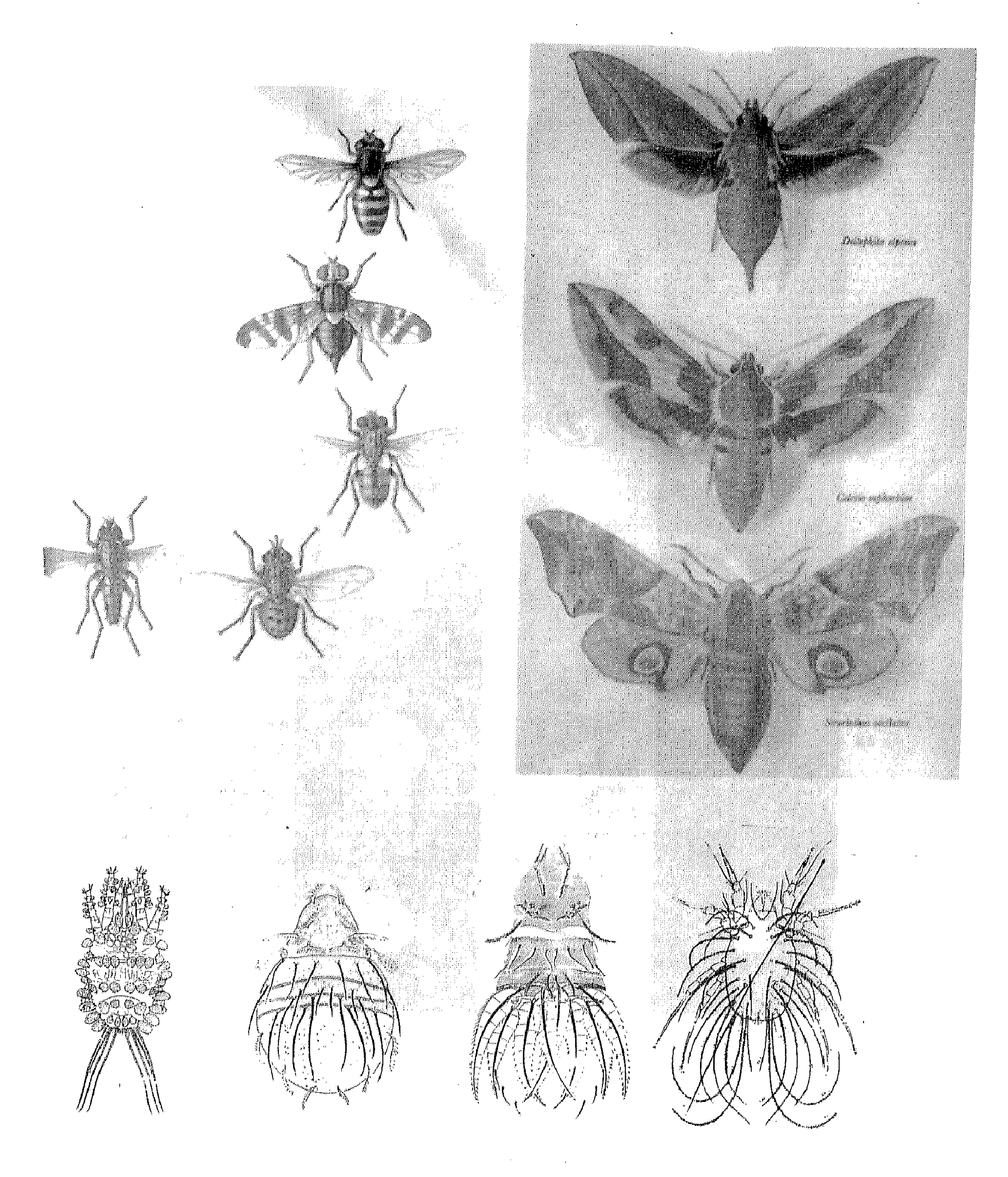
ملحق (٦)

(مراحل تشكيل الجنين)من اليمين إلى اليسار :

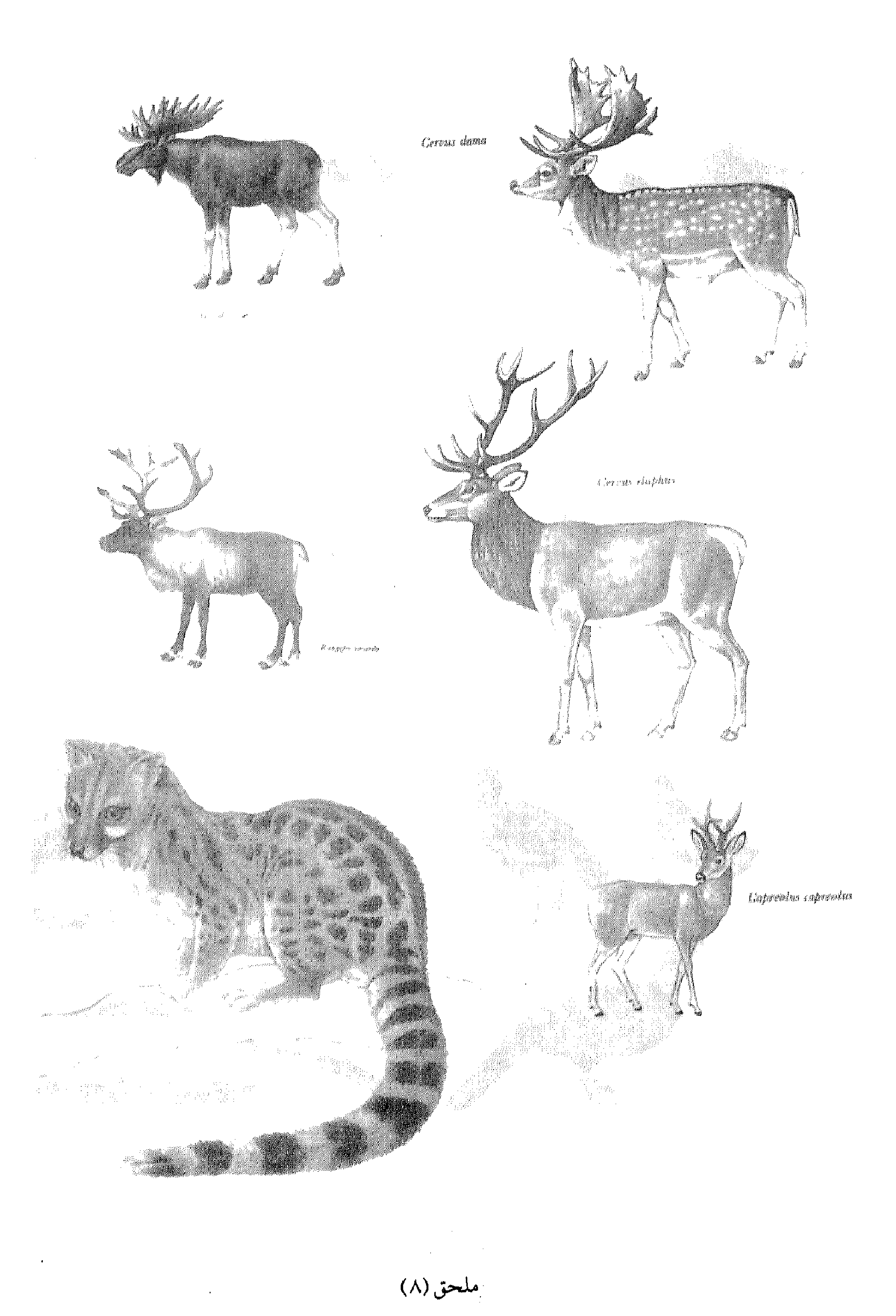
الإنسان ـ القرد ـ الكنجارو ـ سمكة القرش .

عن كتاب : Anthropology

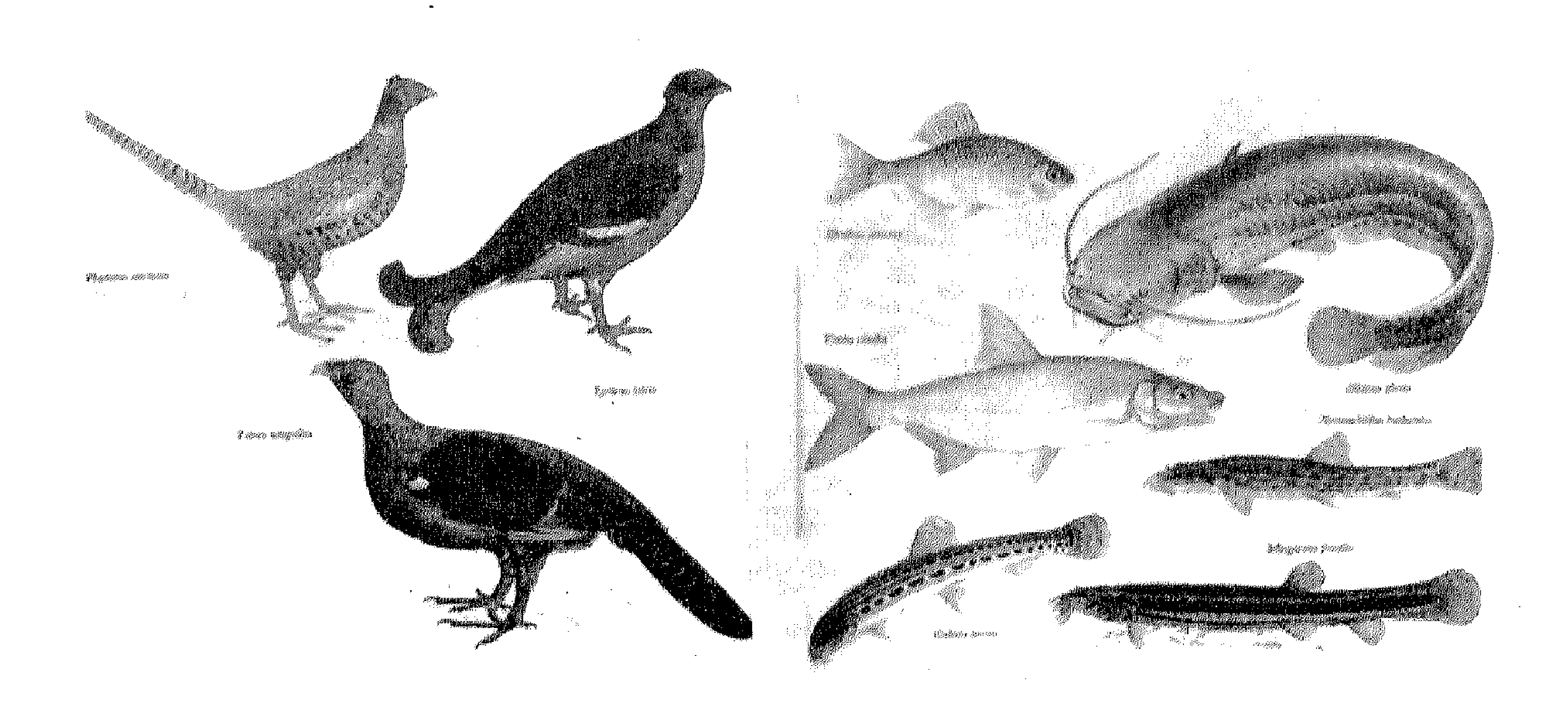
The Study of Man (1966)



الصف الأخير : بعض أنواع الأكاروس من أقرباء الحشرات ، وهى كائنات ميكروسكوبية لا ترى تفاصيلها إلا بعد تكبيرها مئات المرات .



ملحق (٨)



ملحق (٩)

المحتويات



7 & 10 شارع السلام أرض اللواء المهندسين
تليفون : 3256098 - 3251043



ينادي الكثير من علماء التفسير أن نبتعد بالقرآن الكريم عن مجال العلوم مؤكدين أنه ليس كتاب علم.

وينادي آخرون بألا نلجأ إلى القرآن الكريم في بحث أي موضوع علمي إلا بعد أن يؤكد رجال العلم صحته.

وكلا الفريقين يُغمط القرآن الكريم حقه ويتجاهل ما به من كنوز علمية تثير الدهشة.

كما يجعله الفريق الثاني منهم (على الدوام) مسبوقا لا سابقا تابعا لا متبوعا.

لقد آن لنا أن نهدم هذا السد العالي بين العلم والدين ذلك السد الذي أقامه المحدثون من علماء المسلمين.

إن معطيات العلم الحديث مهما بلغت من دقة لايمكن أن تتعارض مع ما تفسر به تلك الآيات خاصة إذا لم يستند ذلك التفسير إلى أساس علمي.

إن هذا الكتاب ينادي بأن يكون القرآن الكريم - كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

المرجع الأول لكل من يبحث في مشكلات تتعلق بالإنسان ذاته أو بما يحيط به في هذا الكون السرمدي الواسع.

يقول الحق عز من قائل ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق. أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾.

ولا شك أن رجال العلم هم المؤهلون لتلك الرؤية.

الناشر

دار الخيال - القاهرة - لندن

